حمزة محمد بوقري

1

مكتبة الدراسات



القصة القصيرة في مصر

و.. محمود تيمور

مكتبة الدراسات

(١)

القصة القصيرة في مصر
"ومحمود تيمور"

حمزة محمد بوقري

الطبعة الأولى

جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ
ابريل ١٩٧٩ م

الرياض

اهـداء

إلى الأعزاء من زملاء تلك الحقبة من الحياة . .

إلى رفقاء الجامعة أُهدي هذه الصفحات . .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لا استبعد ان تجد هذه الصفحات من يقرؤها بالرغم من شعوري بأن هذه البضاعة لا تمثل النوع الرائج هذه الأيام ... ومهما كان ضيق الدائرة التي ستدور فيها ومحدودية عدد قرائها ... فانني احس بأنني مدين لهذا النفر من القراء بشيء من الايضاح .

منذ اكثر من عشرين عاما ـ قُدِّمتْ هذه الدراسة للحصول على درجة علمية ... من إحدى الجامعات العربية ـ ولكن الظروف السائدة في الوطن العربي يومئذ والعلاقات المتوترة بين بعض الأقطار العربية ـ وطبيعة العمل الرسمي الذي كنت امارسه آنذاك . حالا دون تمكني من السفر لحضور مناقشة الرسالة ـ فارجىء الموضوع ـ ثم نسيته تدريجيا ... واستقرت هذه الاوراق على رف ـ حقيقة لا مجازا ـ الى عهد قريب حين طلبها الصديق صاحب المكتبة الصغيرة الاستاذ عبد العزيز الرفاعي لنشرها ... فوافقت ـ محاولا التخلص بذلك من طلب آخر يتعلق بمجموعة من القصص والروايات القصيرة بدأت في ترجمتها ونشرها منذ عام ١٣٧٤هـ ـ في البلاد السعودية اولا ثم في مجلة الاذاعة ثانيا ـ ولم اتمكن من جمعها او جمع مسوداتها ـ بالرغم من الحاحه ـ المستمر وتسويفي المستمر ايضا لمدة بلغت حوالي ثلاثة اعوام .

ولم أكن اتصور ان الامر سينتهي الى شيء فحجم الرسالة اكبر من الحجم المعتاد للمكتبة الصغيرة وموضوعها - لا يدخل في باب « التراث » الذي يهتم به - كما لا يدخل ايضا في باب الادب المحلي - الذي يحاول تعميمه وتيسيره للقراء - ولذلك كانت دهشتي كبيرة حين طلب الي ان اكتب مقدمة الموضوع توطئة لنشره - وكان علي ان اعيد قراءة الرسالة - او اجزاء منها . . . قبل ان اكتب المقدمة المطلوبة ففعلت . . . وللحقيقة فان بعض ما قرأته لم يعجبني . . . ولم يَرْقَ في نفسي الى المرتبة التي تؤهله للنشر .

ولو طلب الي اليوم أن اكتب موضوعا كهذا لكتبته بطريقة أخرى مختلفة تماما - وللخصت اجزاء منه . واضفت اجزاء أخرى . . . ولجعلت حجم الرسالة مختلفا عما هي عليه . فما قيل في الجزء الأول من البحث يمكن أن يقال في حيز اصغر « إلا اذا كان الكم مقصودا لذاته » . . . كما ان الموضوع كله قد يكون مما لا يروقني اليوم ان اكتب فيه - ولكن فارق السن كما اتصور - له دخل في كل ما تقدم . . . وهذه الرسالة كتبت - يوم كنت قريب عهد بالجامعة ، ومقاعد الدراسة ، وعقلية الطالب ، ولا بد ان ينظر اليها من هذه الزاوية . . . ومع ذلك فقد ادهشني الجهد الذي بذل فيها ، فلا بد انني قضيت مئات الساعات في قراءة آلاف الصفحات سواء كانت صفحات كتب او مجلات قديمة او حديثة وهذا ما ينبغي ان اسجله لنفسي ، فلعله الشيء الوحيد الذي سرني حين عدت بذاكرتي الى الخلف . . . . قرابة ربع قرن من الزمان .

ولا انكر - بالرغم من سوء ظني بهذه الاوراق - انني سعيد بأن اراها مطبوعة . . . فهكذا البشر . . . يسعدهم أن يعلموا أن جزءا منهم ، لقي شيئا من الحفاوة والاهتمام

والشكر الجم للعزيز الرفاعي مع المعذرة على هذه المقدمة « غير المشجعة » لاحد منشوراته .

حمزة محمد بوقري

الحياة في مصر ـ في القرن التاسع عشر ـ واثرها في نشأة الاقصوصة وتطورها

تاريخ كل امة سلسلة متصلة الحلقات متتابعة السير ، كل حلقة منها نتيجة لما قبلها ومقدمة لما بعدها ، فليس في التاريخ فجوات ولا صدف ، وانما هي حوادث آخذ بعضها برقاب بعض ، لهذا فان من المتعذر علينا ـ ونحن نستعرض مختلف نواحي الحياة في الفترة التي شملت القرن التاسع عشر لنصل من ذلك الى نتائجها في الاقصوصة ـ من المتعذر علينا ان لا نلم وبسرعة بمقدمات ذلك العصر منذ عهد محمد علي منشيء الاسرة العلوية .

على ان قدوم محمد علي نفسه كان بسبب حادث آخر ، لا يقل اهمية عنه ان لم يزد ونقصد به الحملة الفرنسية التي كانت سببا رئيسيا من اسباب الانقلاب الذي حدث في مختلف نواحي الحياة في مصر ـ في القرن التاسع عشر ـ واوائل القرن العشرين ، ولسنا بسبب دراسة هذه الحملة ، وشرح نتائجها ، وانما يكفينا ان نقول انها نبهت الاذهان الى ان في الدنيا علما غير العلم الذي يتلقاه المصريون ، وفنا يختلف عن فنونهم ، وحضارة لا تشبه حضارتهم ، وحياة ليس بينها وبين حياتهم من تشابه ، فوقفوا من ذلك موقف الدهشة والاستنكار اول الامر ـ كما نرى في كثير من صفحات الجبرتي ـ ولكنهم لم يلبثوا وبمرور الزمن ان اخذوا يستسيغون هذه الامور شيئا فشيئا حتى كان عصر اسماعيل الذي عرف بانه قرب مصر الى اوربا كثيرا .

وعصر محمد علي يمتاز الى جانب الفتوحات العسكرية الكثيرة التي شهدها بنشاط الحركة الفكرية نشاطا كبيرا لا ينكر ، اذ انه بجانب استقدامه للعلماء والاطباء الغربيين ، اوفد البعوث المختلفة الى اوربا ، فكان أفراد هذه البعوث هم الرسل الذين نقلوا الى مصر ، كثيرا من جوانب التفكير الغربي ، والحياة الاوربية .

لهذا لا نعجب ان يعتبره امثال بروكلمان ، اعظم الشخصيات التي عرفها الاسلام الحديث شأنا[1] ولم ينس له انه وجه همته في الوقت نفسه الى النهوض بالبلاد من الوجهة الاقتصادية فلم يكتف بتجميل القاهرة والاسكندرية بعدد كبير من المباني بل انه فوق ذلك انشأ مرفأ الاسكندرية . . الخ . كما تحدث عنه مرة ثانية بقوله « وعلى الرغم من جميع الاخطاء التي حفلت بها سياسته الانانية فليس من شك في ان الفضل يرجع اليه دون غيره ، في فتح ابواب مصر لمؤثرات الحضارة الاوربية »[2]

ويكفينا ـ ونحن نتحدث عن اثر عصره في حياة مصر ان نستعرض جهود شخص واحد مثل رفاعة الطهطاوي ، لنرى اي أثر تركته هذه البعوث في نفوس افرادها ، والى اي مدى تشبعوا بالروح الغربية واعجبوا بمبادىء الثورة الفرنسية والديمقراطية الاوربية ، فهو قد شهد ثورة الايام الثلاثة المجيدة في باريس على شارل العاشر ووصفها وصفا طريفا دقيقا ، وعني عناية خاصة بالدستور الفرنسي ونقله الى العربية ، قبل التعديل ايام شارل العاشر وبعده زمن لويس فيليب[3] . كما انه اعجب بالنظام المتبع في فرنسا وقال : « الفرنساوية مستوون في الاحكام على اختلافهم في المظهر والمنصب والشرف والغنى ، فلذلك

---

١ ـ ص ١٥ ج ٤ تاريخ الشعوب الاسلامية .

٢ ـ ص ١٤ نفس المرجع .

٣ ـ ص ٨١ ـ الفكر العربي الحديث ـ رئيف خوري .

كان جميعهم يقبل في المناصب العسكرية والبلدية ، كما انه يعين الدولة من ماله على قدر حاله ، وقد ضمنت الشريعة لكل انسان التمتع بحريته الشخصية حتى لا يمكن القبض على انسان الا في الصور المذكورة في كتب الاحكام[1] .

وقد اعجب بالحرية الممنوحة للفرنسيين ـ في الحديث عن السياسة والدين ـ واعجب بالضمانة الممنوحة للاملاك الخاصة ولم يستطع الا ان يقول في مقدمة تعريبه للدستور « فيها امور لا ينكر ذوو العقل انها من باب العدل » .

وفي مرة اخرى ذكر عن الفرنسيين انك لا تسمع من يشكو ظلما ابدا والعدل اساس الملك بل انه ليؤيد ما رآه ببعض الحكم والامثال الشرقية .

ولم يكد يفرغ من تعريب الدستور حتى قال : « فاذا تأملت رأيت اغلب ما في هذه الشرطة نفيساً » .

وانه ليتمنى لو كانت مرتبة الفرد في بلاد الاسلام كما هي في تلك البلاد ، اذن لطابت النفس على حد تعبيره . وبالرغم من محافظة هؤلاء المبعوثين الأول ، وتمسكهم في كثير من الامور بشرقيتهم فأنهم بدون شك قد تأثروا تأثرا كبيرا بسبب بعض النظم والعادات المعقولة التي لا تتعارض مع ماضيهم .

ولا بد ان هذه الفئة على قلتها في بادىء الامر اخذت تقارن بين بلادها المحكومة حكما مطلقا وبين فرنسا ، بين الفرد الذي ليست له حرية في شيء مطلقا ـ حتى في الارض التي كان يملكها ثم تحولت الى الباشا وبين الفرد الآخر الذي لم يكن يحق لانسان ان يسطو على امواله ـ الا طبقا للقانون وبعد اجراءات كثيرة .

ولا بد ايضا ان تحدث هؤلاء النفر من الناس عن احاسيسهم هذه مع ذويهم واقاربهم ـ فادخلوا الى نفوسهم على الاقل الشك في صحة تلك الاوضاع

---

١ ـ ص ـ تخليص الابريز .

التي كانوا يعيشون فيها .

ولقد كان من نتيجة هذه البذرة البسيطة التي بذرها محمد علي ، ان اخذ الوعي ينتشر بين طبقات المصريين تدريجيا ، صحيح ان شيئا من ذلك لم تظهر نتائجه على نطاق واسع في عهد محمد علي ، ولكن هذا لا يمنع انه حدث في المستقبل نتيجة لتلك البذرة التي اخذت تنمو في المستقبل .

ولم يعق ركب التقدم والوعي ، ان عصر عباس كان عصر رجعية ونكسة ، وان عباسا لم يعرف عنه انه ساهم في نهضة او فتح معهدا علميا ، بل اكثر من ذلك اغلق كثيرا وألغى ديوان المدارس « وزارة المعارف » ، كأن البلاد لم تعد في حاجة اليه ـ لم يعق ذلك ركب التقدم لانه وان يكن قد اوقف حركة البعوث ولم يرسل سوى ١٤ طالبا ، الا ان الارساليات الاجنبية في مصر كانت منتعشة في عصره لكثرة ما كان يمدها به من الاموال الطائلة[1] .

اما عصر اسماعيل فقد حوى النقيضين ، المساهمة في اعمار البلاد اول سني حكمه ثم دفعها بخطوات سريعة نحو الخراب وقد كان للاسباب الآتية اثر في الحوادث الكثيرة التي حدثت في عهده .

١ ـ تنبه الوعي مع انتشار التعليم وكثرة الصحافة كما سنرى .

٢ ـ مجيء جمال الدين الافغاني في هذه الفترة بالذات سنة ١٨٧١ . ولا يستطع انسان ان ينكر جهوده في الاصلاح وتنبيه المصريين الى حقوقهم .

٣ ـ اعلان الدستور العثماني سنة ١٨٧٦ منبها الافكار الى حقوق الشعب وضرورة مراعاتها .

٤ ـ ازدياد الحالة سوءاً بكثرة الديون وبداية تدخل الدول الاجنبية في شؤون مصر الداخلية .

---

١ ـ ص ٤٤، ٤٥ ج ١ عصر اسماعيل ـ عبد الرحمن الرافعي .

لهذا كله لا نعجب لما حدث اثناء ذلك في مجلس شورى النواب من معارضة صريحة للحكومة في المجلس سنة ٧٦ ، كما لا نعجب ان تأخذ الردود على خطبة العرش اشكالا مختلفة عن السابق وتتخذ سنة ١٨٧٩ ـ وضعا قويا مثبتا للمبادىء الدستورية [١] .

كما يساعد الرأي العام الذي بدأ يتكون على ذلك فكان يكره وزارة نوبار باشا ـ لانها تحتوي على وزيرين اجنبيين ساعدا على ان يتجرأ المجلس ـ على دعوة الوزير الانجليزي لمناقشته ، كما يتجرأ على الاعتراض ـ على بعض المراسيم ، وتبلغ قوة المجلس درجة يرفض معها تنفيذ امر انهاء اعماله الذي اصدرته وزارة محمد توفيق باشا بايعاز من الوزيرين الاجنبيين [٢] .

وقد كانت نهاية حكم اسماعيل وتولي توفيق والثورة العرابية التي دلت على تحول خطير في نفسية الشعب وانتشار الوعي لديه ، كان كل ذلك سببا في الاحتلال الانجليزي الذي جثم على صدر مصر كالكابوس الثقيل فكانت له اضراره السيئة بمصر وباقتصادياتها وكرامتها وثقافتها وتاريخها وكل شيء فيها ، ولكنه كان في نفس الوقت سببا غير مباشر للتقدم العلمي والثقافي ، ولانتشار الوعي السياسي بصورة أقوى ، لانه اضطر المصريين ان يبحثوا عن متنفس لهم في الصحف والمجلات والمنشورات السرية ، ولانه هيأ لنشوء الاحزاب ، وتكتل الطبقات الشعبية حولها ، فقد ظل الحزب الوطني يؤدي رسالته بعزم واصرار مطالبا بالحرية لمصر ، واخراج المستعمرين منها ، وتبعه انشاء حزب الاصلاح ثم حزب الامة ١٩٠٧ وقد كان حزبا معتدلا يدعو الى التطور التدريجي . . . الخ .

وجاءت حادثة دنشواي ثم الحرب العالمية الاولى ، وكل هذا أثر وتأثر ، بالشعب وتفاعل معه ، وتسبب في ظهور تطور كبير في افكار المصريين وثقافتهم

---

١ ـ ص ١٨٠ ، ١٨٤ ، ١٩٠ ، ١٩١ ج ٢ عصر اسماعيل ـ عبد الرحمن الرافعي .
٢ ـ ص ١٩٢ ، ١٩٥ ، ٢١٠ ، ٢١٣ ـ عصر اسماعيل ـ عبد الرحمن الرافعي .

وطريقة حياتهم .

وعندما انقضت الحرب ، تطلع المصريون الى حريتهم ووجدوا في مبادىء ولسون ما يضمن لهم هذه الحرية ، ولسنا بسبيل تاريخ ما حدث بعد ذلك ، وكيف انتهى الامر بالافراج عن سعد ورفاقه[1] . ولكننا نستعرض ذلك لندلل على مدى التطور الذي حدث في نفس الشعب مما أثر في الادب عموما ، ومنه الاقصوصة ، التي كانت حديثة عهد بالحياة في شرقنا العربي .

ولعلنا باستعراض مختلف وسائل الثقافة في ذلك العصر ، نستطيع ان نعرف الاثر الذي تركته في الادب وفي الاقصوصة .

واول ما سنتحدث عنه هو الطباعة ، ولعلي لا اكون مغاليا اذا قلت ان الطباعة كانت انجح الوسائل ، التي اثرت في مصر وفي نشأة الاقصوصة ، فهي اولا قد مكنت القائمين على شؤون الثقافة من نشر التراث العربي والاسلامي ، وذلك وحده دليل قوي على نهضة الامم ، اذ غالبا ما تبدأ النهضات باعادة نشر التراث القديم واحيائه ، فقد نشرت في اوائل ما نشر كتب كثيرة مثل - (المثل السائر) ، (الاغاني) ، (تاريخ ابن خلدون ومقدمته) ، (العقد الفريد) ، (فقه اللغة للثعالبي) ، (وفيات الاعيان) ، (احياء العلوم) ، (تفسير الرازي) ، (نفح الطيب) ، (قانون ابن سينا) في الطب[2] .

كما طبعت خلال الحرب العالمية الاولى عدة كتب هامة مثل صبح الاعشى ، والخصائص ، ديوان ابن الدمينة والمكافأة لابن الداية ، والاصنام لابن الكلبي . ومن الكتب التي اخرجتها دار الكتب نهاية الارب ، والنجوم الزاهرة وديوان مهيار[3] .

---

١ - ص ٤ ، ٥ ج ١ ثورة سنة ١٩١٩ الرافعي .

٢ - ص ٢٦٥ : ٢٦٧ ج ١ عصر اسماعيل - الرافعي .

٣ - ص ١٦٨ ج ١ في الادب الحديث - عمر الدسوقي .

وقد كانت نتيجة حركة بعث التراث العربي هـذه ان اطلـع ، المهتمـون بالادب على نوع من فنون القول كانت البذرة التي انبثقت منها الاقصـوصة ونعـني بها المقامات ، وسنرى ذلك في وضوح اثناء الحديث عنها .

كما كان من ثماره ، الاطلاع على نوع من الاساليب في التعبير بعيدة عن الزخرف الفني الذي تلطخ به الاسلوب النثري في العصـور الاخـيرة ، فحـدث التطور الثاني بالتخلي عن اسلوب المقامة كما سنرى ايضا .

وثاني هذه الفوائد التي جنتها النهضة من الطباعة ، هـو افسـاح المجـال لعدد كبير من الاقاصيص والقصص الغربية التي اصـبحت مثـلا يحتـذى لـكتاب العرب .

وثالثها هو انتشار الصحافة الـتي تعتمـد اعتمادا تـاما على الـطباعة ، ولا يستطيع انسان ان ينكر ما قدمته الصحف من فوائد لنشر الاقصوصة .

ومما يؤكد هذه الحقيقة اننا نجد انه حتى قبل ان تصدر الوقائع المصرية ، كانت تصدر « الجرنال » التي كان يطبع منها في كل يـوم مـائة نسـخة بـالعربية والتركية ، وكان هذا الجرنال يضـم الاخبار الرسمية الحكومية وبعض اقاصيص مـن الف ليلة وليلة[1] .

وقد كانت للسوريين يد كبرى في نشأة الصحافة وتطورها في مصر ، وقد ذكر الدكتور محمد يوسف نجم : اننا لـو احصـينا صـحف السـوريين في مصر في ذلك العصر ، لبلغت مائة ، نص هو على اكثر من خمسين منها[2] .

كما كانت الظروف السياسية تؤثر على الصحف ، قوة وضـعفا فـي عصر كرومر مثلا ، نجد انه ترك الحرية للمطبوعات عموما وخاصة الصـحف فـلم يـكم افواهها ، ويقيدها بقانون خاص ، وتركها للقانون العـام ، بـالرغم مـن وجـود

---

١ ـ ص ٢٩ تطور الصحافة المصرية ـ ابراهم عبده .

٢ ـ ص٣٨ : ٤١ القصة في الادب العربي الحديث .

قوانين ، شديدة كانت قبل كرومر ، فلم يلغها هو بل اهملها ، وعلى هذا كان للكتاب ورؤساء الاحزاب الحرية ، في انشاء الصحف والمجلات ، من غير حاجة الى استصدار رخص خاصة من قلم المطبوعات .

واكبر دليل نقدمه على ذلك عدد الصحف فقد أُتي الى مصر ، وعددها لا يزيد على سبع وعشرين صحيفة - وفي عام ١٩٠٣ - اصبحت ١٧٦ صحيفة [1] .

وبعد رحيل كرومر لم تستطع لا الحكومة ولا قوات الاحتلال مواجهة الحرية الصحفية التي كانت ممنوحة للكتاب فاعادوا سنة ١٩٠٩ قانون المطبوعات القديم الذي صدر على اثر فشل حركة عرابي ، وقد كان ذلك القانون يعطي لوزير الداخلية الحق في انذار الصحف وتعطيلها من غير محاكمة او دفاع ، وقد حوكم بمقتضاه الشيخ عبد العزيز جاويش ، بسبب ما كتبه في ذكرى دنشواي ، وحكم عليه بالسجن ثلاثة اشهر .

كما انذرت جريدة اللواء ثم عطلت ، وحبس محمد فريد الزعيم المعروف مدة ستة اشهر لانه كتب مقدمة ديوان وطنيتي ، وحبس الشيخ جاويش سنة مع الشغل لنفس التهمة اذ كتب مقدمة اخرى للديوان [2] .

ولا ننسى ان انشاء الصحف تعرض بادىء الامر لمقاومة رجال الدين في عصر محمد علي ، واحتجوا على ذلك بانه ربما ورد فيها اسم الجلالة ، والنبي والقرآن ، في الوقت الذي ستطبع فيه بحرف او مداد ، ربما تركب من مواد تنافي الطهارة [3] .

ومع ذلك فلم يلتفت الى معارضتهم ، واخذت الصحف تنتشر بشكل

---

١ - ص ٦٤ ، ٦٥ ج ٢ في الادب الحديث - عمر الدسوقي .

٢ - ص ٢٨ ، ٢٩ ج ٢ في الادب الحديث - عمر الدسوقي .

٣ - ص ١٠٠ تاريخ تكوين الصحف المصرية - قسطاس الياس عطاره طسنة ١٩٢٨ اسكندرية .

واسع في جيمع انحاء القطر المصري ، حتى لقد احصى الكونت فيليب دي طرازي في كتابه الخاص بتاريخ الصحف ، ما صدر في القاهرة وحدها منذ تأسيس الوقائع سنة ١٨٢٨ الى سنة ١٩٢٥ ـ فذكر انها بلغت ٤٩٦ صحيفة وارتفع هـذا العـدد سنة ٢٩ الى ٥٤٣ [١] كما ذكر ان الصحف التي صدرت في الاسكندرية حتى سـنة ١٩٢٥ بلغت ١١٥ صحيفة [٢] .

كما بلغ عدد المجلات في القاهرة وحدها حتى سنة ١٩٢٥ ، ٤٢٤ مجلة ، وبلغ مجموع ما صدر من الصحف والمجـلات في المملـكة المصريـة آنــذاك ١٣٩٨ صحيفة ومجلة [٣] .

وليست كل هذه الصحف مما يهمنا الاشارة اليـه ، فقـد اخـذت بعضـها في التخصص في مواضيع لا تمت الى الادب او الاقصوصة بسبب كالطب والسـياسة والقانون ، والعلوم وغيرها ، وانما الذي يهمنا هو تلك الصـحف الـتي سـنتحدث عنها لمساهمتها ، في خلق الاقصوصة المصرية وتطورها .

كما انه لا يهمنا ان نتحدث عن الاتجاهات التي سارت عليها الصحف ، نتيجة للصراع بين الانجليز والقوى الـوطنية في مصر ، فـذلك شـأن البـاحثين في التيارات السياسية .

وثاني الوسائل الثقافية التي كانـت لهـا اهميـة في ذلك العصر ، المدارس فقد كان لها أثر مباشر وغير مباشر على الاقصوصة التي نتحدث عنها ، فقد اتاحت الفرصة بكثرتها لعدد كبير من الناشئة للتعلم والاطلاع على الآداب الغربية ، ونجـد في هذا الشأن ، نوعين من المدارس كانتا تساهمان في هذا الاتجاه .

١ ـ المدارس الاجنبية من فرنسية وبريطانية وامـريكية ، والاولى فتحـت

---

١ ـ ص ١٦٢ : ٢١٢ ج ٤ ط بيروت سنة ١٩٢٣ .
٢ ـ ص ٢١٤ : ٢٢٨ ج ٤ ط بيروت سنة ١٩٢٣ .
٣ ـ ص ٢٧٤ ، ٣١٦ ، ٤٩٠ ـ المرجع السابق .

أول مدرسة منها سنة ١٨٤٤ على يد الآباء العزاريين - ثم جاء الفرير سنة ٥٤ وتبعهم راهبات المحبة ، اللاتي انشأن مدرسة لتربية البنات بالقاهرة سنة ١٨٥٩ ثم ببولاق المنصورة ، وبريطانيا فتحت اول بعثة تبشيرية لها وهي البعثة الاسكتدلندية البروتستانية مدرستها ١٨٤٠ بالاسكندرية ، ثم تلتها اخرى سنة ١٨٦٠ فأسست مدرسة لتعليم البنات .

ومثلهما الامريكان - وقد بدءوا نشاطهم منذ سنة ١٨٥٥ في عهد سعيد باشا[1] .

وقد بلغت المدارس الاوربية في عهد اسماعيل مجتمعة ٧٠ مدرسة[2] .

ولا يستطيع انسان ان ينكر ما يمكن ان تقدمه هذه المدارس من افساح المجال امام الطلبة والطالبات للاطلاع على الآداب الغربية ومن بينها الاقصوصة .

٢ - المدارس الوطنية .

وهذه ايضا بدأت عملها منذ عهد محمد علي - واستخدمت في بعض الدراسات اللغات ، مثل الانجليزية والفرنسية والايطالية وكان اهتمامه بالتعليم عاما ، فأنشا المدارس الابتدائية والثانوية والعالية على السواء ، وقد احصى الرافعي عدد هذه المدارس بالتفصيل[3] .

ولا ننسى في هذا المجال البعوث التي كان يرسلها الى فرنسا للتزود من مناهل العلم هناك ، وقد بلغت البعثات التي ارسلها هو تسعا[4] .

وليس من شك في ان هذه البعوث وتلك المدارس ، اثرت في الحياة الفكرية والثقافية لمصر ، واتاحت لها فرصة الاطلاع على انواع الادب المختلفة

---

١ - ص ١٢ ، ١٣ ج ٢ في الادب الحديث - عمر الدسوقي .

٢ - ص ٢١٥ ، ٢١٦ ج ١ عصر اسماعيل - عبد الرحمن الرافعي .

٣ - ص ١٦٧ : ٣٧٤ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٣ : ٤٤٥ ج ٣ تاريخ الحركة القومية .

٤ - ص ٤١٩ ج ٣ تاريخ الحركة القومية - الرافعي .

الموجودة لدى الغربيين ، مما ظهرت آثاره واضحة بعد عصر محمد علي وفي عصر اسماعيل وما بعده على وجه التحديد .

ولا ننسى بطبيعة الحال الجامعة وما ادته من خدمات كبيرة مما كان له آثاره الواضحة ، في الحياة العامة حتى اليوم .

وثالثة الوسائل الثقافية التي وجدت في ذلك العصر الجمعيات الادبية والعلمية وهي قسمان .

١ ـ جمعيات اجنبية ـ وهذه كانت مهمتها علمية في الغالب لا تتصل اتصالا مباشرا بالناحية التي نتحدث عنها ـ[١] .

٢ ـ الجمعيات العربية ـ وهي كثيرة متعددة لسنا بسبيل حصرها ـ ولهذا نكتفي ـ بذكر بعضها وما له من اثر على الثقافة عامة ، فجمعية المعارف مثلا سنة ١٨٦٨ ، اسست لنشر الثقافة بواسطة التأليف والطباعة والنشر وكانت لها مطبعة طبعت فيها عددا من الكتب الهامة ، مثل اسد الغابة ، وتاج العروس ، تاريخ ابن الوردي ، والبيان والتبيين ، ورسائل بديع الزمان وغيرها[٢] .

وهكذا ساهمت في حركة البعث التي تسببت في ظهور المقامة مرة اخرى ، لتكون تمهيدا لظهور الاقصوصة الحديثة .

ومثلها الجمعية التي انشأها علي باشا مبارك برئاسة رفاعة الطهطاوي ، فقد نشرت كثيرا من الكتب القديمة واحيتها . ثم تكونت بعدها جمعية جديدة لنشر الكتب القديمة ايضا واحيائها ، فاخرجت عددا من الكتب التاريخية والفقهية .

وفي سنة ١٩٠٠ تكونت هيئة برئاسة الشيخ محمد عبده لنفس الغرض ، فاخرجت كتابي اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز للجرجاني ، ونشرت المخصص لابن

---

١ ـ راجع ص ٩١ ج ٤ تاريخ الآداب العربية ـ جرجي زيدان .

٢ ـ ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ ج ٢ ـ عصر اسماعيل ـ الرافعي .

سيده في ١٧ جزءا .

ويكفي لنعرف القيمة التي ادتها للثقافة عموما ان نذكر ان جرجي زيدان ذكر انها بلغت حوالي ١٦٠ جمعية ما بين جمعيات لنشر الكتب وجمعيات للترجمة والتأليف . . . الخ[1] .

ورابعة هذه الوسائل ، خزائن الكتب ، او المكتبات سواء المكتبات العامة او الخاصة او مكتبات مصالح الحكومة وغيرها .

وهذه الوسيلة ليست جديدة على العرب فقد عرفوها في عصور الازدهار والتقدم سواء في الشام او العراق او مصر ، او الاندلس . وقد بلغت مجلداتها آنذاك مئات الألوف ، وتجاوز بعضها المليون ولكن الحوادث التي تعاقبت على العالم العربي والاسلامي ، شتتتها وقضت على كثير منها ، حتى جاء عصر هذه النهضة فاخرجت من مخازنها ، وطبعت وعمت الفائدة منها ، طلاب العلم ودارسيه .

وكان لمحمد علي ، فضل اكبر في ذلك فقد رأى بعد أن تكاثرت الكتب المطبوعة ان يقيم لها مستودعا - في بيت المال القديم بجوار المحكمة الشرعية - خلف السيد الحسين ، وظلت في مكانها حتى عصر اسماعيل ، فجمع فيه ما كان في المساجد ، والتكايا ، وأضيف اليها ، الفا كتاب من المخطوطات الفارسية والتركية والعربية ابتاعتها الحكومة التركية ثم اوعز الى علي باشا مبارك بتأسيس مكتبة خديويه ففعل وخرجت دار الكتب للناس ، وبعدها تأسست المكتبة الازهرية سنة ١٨٧٩ وقد كانت نواتها ما في الجامع الازهر من كتب شأنه في ذلك شأن بقية المساجد الاسلامية ، ثم اضيفت اليها كتب عديدة ، واخذت في الاتساع يوما بعد يوم .

---

١ - ص ٩٢ : ١٠٤ ج ٤ تاريخ الآداب العربية .

وليس بالامكان حصر جميع تلك المكتبات العامة بطبيعة الحال ، فيكتفي بهاتين المكتبتين لاهميتها .

اما اهم مكتبات المدارس والجمعيات ، فنجد مكتبة الحقوق ، مكتبة مدرسة الطب ، والجامعة المصرية والمجمع العلمي المصري ، الجمعية الجغرافية .

والمكتبات الخاصة نجد في مقدمتها ، المكتبة التيمورية لاحمد تيمور باشا ، والمكتبة الزكية ، لاحمد باشا زكي وامتدت هذه اليقظة الى الاقباط ، وقد كانت لهم كتب كثيرة تغص بها الاديرة ، كما كانت الحال في مساجد المسلمين ، وعندما جاء عصر النهضة وتسرب كثير من كتبها الى الخارج عن طريق المستشرقين تنبه الرهبان الى ذلك ، وبدءوا في انشاء المكتبات المصرية[1] .

وقد ادت هذه الوسيلة ايضا كسابقاتها ، خدمة كبيرة للثقافة وساهمت في اتاحة الفرصة لعدد كبير من المواطنين للاطلاع ، ومن ثم التأثير في سير الحياة .

المجتمع ـ والأدب : ـ

من المجتمع يستقي الاديب مادة ادبه ، ومن حياة الناس اليومية ينسج رواياته واقاصيصه ، لهذا فان علينا ان نعرض صورة للمجتمع في مصر ، في تلك الفترة التي اخذت الاقصوصة تظهر فيها .

ذلك ان المقامة في اول امرها ثم في تطورها ـ واخيرا عندما اصبحت لدينا اقصوصة ـ كان المجتمع ـ هو الرافد الاكبر لموضوعات هذا الانتاج فيها ، بل لقد اصبح وتحت المقاييس الفنية الحديثة ، اكبر شائبة تشوب تلك الاقاصيص ، اذ جعل كثير من الكتاب يعالجون مشاكله ، ويبحثون لها عن حلول فيتكلفون لذلك ما يخرج بهم عن الخط الذي ينبغي لهم ان يسيروا فيه .

---

١ ـ ص ٢٤٦ج ١ عصر اسماعيل للرافعي وص ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٢٢ : ـ ١١٩ـج ١ تاريخ آداب اللغة العربية ـ لجرجي زيدان .

وهذه الصورة التي سنرسمها للمجتمع سنجدها ممثلة في الاقصوصة ومقدماتها ، ولكن تتفاوت درجة استعمالها من اديب لآخر ، وربما لم تظهر بعد ملامحها في ما سنعرضه من تلك الاقاصيص لاننا سنتوخى الايجاز وضرب الامثال دون الاستقصاء والاحصاء .

والمجتمع في مصر ، قبل النهضة الاخيرة كان يعج بكثير من النقائص ، التي اخذ المثقفون في محاربتها بقدر طاقتهم ، فمشكلة الجهل مثلا والامية ، كانت منتشرة بين طبقات الشعب وافراده وخاصة ، في الارياف ، وجاء افتتاح المدارس ومناقشات الكتاب ، والصراع بين مختلف الآراء حول جدواه فبينما ترى طبقة بقايا الاتراك ، والمماليك ان الفلاح لا يصلح لشيء ، وانه ينبغي ان يترك خلف ماشيته مغلق العين ترى الفئة الجديدة من المثقفين الواعين ان يترك له المجال ليتعلم ويتثقف فيرتفع بمستوى حياته ولترتفع من جراء ذلك حياة امته .

وقد ناقشت بعض الأقاصيص التي سنعرض لها هذه المشكلة ، والمجتمع كان يحفل بكثير من النقائص ـ التواكل والكسل ـ وكانت تتحكم فيه طبقة من ادعياء الدين الذين يستغلونه ، كما كان يسير وراء كثير من الاوهام ويتشبث بمعتقدات فاسدة حول الاولياء وكراماتهم ، ومقدرتهم على النفع والضر ، وكل هذه امور ضارة بكيان الامة ومقوماتها .

وحدث في ذلك صراع ايضا بين طبقة المثقفين الجدد وطبقة الذين يعيشون على الماضي واوهامه مهما كان ذلك الماضي خاملا .

وقد ناقشت الاقاصيص هذه المشاكل مناقشة كبيرة ، ولعل محمود تيمور نفسه . اكثر من تحدث عن هذا الموضوع وافرد له عدة اقاصيص ، بعضها ناجح وبعضها متخلف توخى فيه الاصلاح والتوجيه اكثر مما توخى الاصالة الفنية ، والدراسة النفسية لابطاله .

ودخول المدنية الحديثة ، بكل ما فيها من خيرات وسوءات احدث رد فعل كبير لدى المصريين ، فوقفوا ازاء كل جانب من جوانبها وكل ظاهرة من ظواهرها موقفين مختلفين موقف المتحمس لها الداعي اليها وموقف المعارض لها المتمسك بقديمه .

ودخلت المرأة في نطاق هذه المشكلة ، وبحث وضعها ، سواء في الصحف والمجلات ، وسواء في الشعر او القصص ، وكرس ادباء مثل المنفلوطي بعض انتاجهم للدفاع عن الحجاب وتعداد مساوىء السفور ، وظلوا يدعون الى الابقاء على الماضي كما هو .

بينما انبرت فئة اخرى وخاصة من السوريين والسوريات الذين كان لهم تأثير كبير في الحياة الثقافية في ذلك العصر ، انبرت للدفاع عن المرأة وحقوقها .

واصبحنا نقرأ كثيرا من الاقاصيص ، عن فتيات جاهلات كان جهلهن سببا في شقائهن في الحياة وصيرورتهن متاعا مهملا لا يساهم في شيء ولا يشترك في أمر .

كما اصبحنا نقرأ اقاصيص ، عن جنايات الآباء على البنات ومضار تضييقهم عليهن ، والنتائج السيئة التي يمكن ان تحدث نتيجة لذلك ، والمقارنة بين هذا الوضوع وبين ما يمكن ان تكون عليه حياتهن لو تركت لهن الحرية ، يعشن كما يشأن ويتزوجن من احببن .

وملئت تلك الاقاصيص بالنهايات المرعبة فكم فتاة انتحرت لان اسرتها زوجتها بمن لا تحب ، وكم زوجة خانت زوجها مع عشاقها ،لانها لم تطق الحياة مع من فرضت عليها الحياة معه .

كما ان كثيرا من المشاكل السياسية والعقائدية مثل فكرة الاسلامية ،

والقومية ، الى مقاومة الانجليز ، اخذت سبيلها الى الانتاج القصصي -على نحو او آخر- وخاصة في الطور الثاني من اطوار المقامة .

وقد كان كرومر على رأس مؤيدي الدعوات الجديدة ، فكان يقول ان المسلم غير المتخلق باخلاق اوروبية لا يصلح لحكم مصر ، كما ان المستقبل الوزاري ، للتربية الاوروبية[1] .

وقد ايدته في ذلك صحف مثل المقطم والمقتطف ، وقد كانت الاخيرة تعرف المصريين بالمذاهب العالمية وتحاول ان تدخل الشك الى نفوسهم فيما ورثوه من عقائد وافكار ، وقد سارت هذه الدعوة في كل اتجاه ، فترددت صيحات تدعو الى الحرية الشخصية واخرى الى الحرية السياسية .

واصبح من المألوف ان يكتب مثل الاستاذ عبد القادر حمزة في المقتطف تحت عنوان خطر علينا وعلى الدين داعيا الى فصلهما عن بعض ، حتى بعض الذين تربوا تربية دينية ، اسلامية مثل رفاعة الطهطاوي نجده في كتابه المرشد الامين للبنات والبنين -وقد كانت رحلته- الى باريس هي السبب في ذلك اذ ان المرأة الفرنسية اعجبه نشاطها في المجتمع فقال عنها ان للنساء تآليف عظيمة ، ومنهن مترجمات للكتب من لغة الى اخرى . . . الخ[2] .

واذا هو أيضا يمسه تيار التمدن مسا خفيفا جداً واخيراً قيض للمرأة نصير قوي وضع مشكلاتها امام البحث ، ونقلها الى الميدان العام وجعلها موضوعا للحديث على كل لسان ، ونعني به قاسم امين الذي كتب « تحرير المرأة » و« المرأة الجديدة » .

---

١ - ص ٢٤٧ ج ١ الاتجاهات الوطنية - الدكتور محمد حسين .

٢ - ص ٨٩ الفكر العربي الحديث - رئيف خوري .

وقد حاول ان يوفق بين الاسلام ، ومتطلبات العصر الحديث ، كما بحث مشاكل الحجاب والطلاق والجهل فتعرض أحيانا لسخرية رجال الدين .

أما في كتابه « المرأة الجديدة » فقد حاول ان يناقش كل موضوع مناقشة علمية ـ وتعرض لفكرة ان المرأة مخلوق ناقص العقل والتفكير وانها ضعيفة امام شهواتها[1] .

وهناك مشاكل اخرى كثيرة ، تتعلق بمقومات المجتمع ، بعضها كان دخيلا عليه نتيجة الاحتكاك بالاجانب وبعضها نبع منه ، نتيجة لظروف كثيرة مختلفة ، وقد اثرت هذه المشاكل في المشتغلين بالادب عموما ومنهم كتاب الاقصوصة ، فمشكلة مثل مشكلة الخمر والانفاق عليه ، عالجها اكثر من كاتب ، وصور نتائجها السيئة على الشخص نفسه ، والنهاية السيئة التي سينتهي اليها امره من انصراف الناس عنه ، وتبديد ثروته وضياع مستقبله ومستقبل ابنائه .

كما عالجوا مشاكل اخرى مثل الفقر واليتم والتشرد وغيرها من ظواهر الضعف التي كانت مخيمة على المجتمع نتيجة لعوامل كثيرة من انانية لدى بعض الطبقات وجهل لدى اخرى .

وقد نشأت نتيجة لظروف مختلفة مشكلة تتصل بطريقة التعبير نفسها ، ونقصد بها اللغة وقد عالج هذه المشكلة الشعراء بطريقة اوضح واخذ كل منهم يدافع عن الفصحى ، او يدعو الى العامية اما كتاب الاقصوصة ، فقد اشتركوا في الامر بطريقة عملية ، فاخذ بعضهم يكتب بعض الحوار في اقاصيصه باللغة العامية ، وبعضهم تمسك بالفصحى ، والفريق الثالث استعمل الفصحى المبسطة والقريبة من ذوق الجماهير .

والحقيقة ان اثارة هذه المشكلة كانت نتيجة لعاملين مختلفين اولها ،

---

١ ـ ص ٢٨٤ : ٢٨٦ ج ١ الاتجاهات الوطنية في الادب العصري الحديث ـ الدكتور محمد حسين .

ركاكة اللغة الفصيحة التي كانت اول عصر النهضة ، وثانيهما محاولة الانجليز هدم احد المقومات التي تربط العرب بعضهم ببعض .

فالسير وليام ولكوكس مثلا ، يلقي خطبه سنة ١٨٩٣ في نادي الازبكية بعنوان « لم لا توجد قوة الاختراع لدى المصريين » وجعل السبب في ذلك استخدام اللغة الفصحى فدعا الى اللغة العامية ، واستشهد على جدوى ذلك بترك الاوروبيين للغة اللاتينية .

وتبعه سنة ١٩٠١ مستر ويلمور ، احد قضاة مصر الذي الف كتابا تناول فيه هذه المسألة ثم جاء اسكندر معلوف من سوريا وزعم ان سبب تأخر المصريين هو تمسكهم بالفصحى[1] .

النقل والترجمة

لم يكن للترجمة حظ يذكر قبل عصر محمد علي ، فقد مر عصر المماليك باكمله دون ان يكون فيه اي جهد للترجمة . سواء من العربية ، او التركية ، او اليهما وقد كانت الاسباب الداعية لذلك كثيرة فمنها تحول شؤون التجارة بين مصر والخارج عن طريق السويس والبحر الاحمر ، الى طريق رأس الرجاء الصالح ، كما ان الفوضى التي كانت سائدة في مصر آنذاك ، وعدم الاستقرار حالا دون الاتصال المنظم بالثقافة الغربية[2] .

ولم يكد يأتي محمد علي الى الحكم وتستقر الاحوال نسبيا لتوليه ، حتى اصبحت الترجمة عاملا ثقافيا هاما في ذلك الوقت ، وكانت جهود محمد علي وحرصه على الترجمة وسرعتها ـ سببا في ازدهار تلك الحركة واضطرادها ، ومظاهر ذلك مختلفة كثيرة : ـ

---

١ ـ ص ٤١ ج ٢ في الادب الحديث ـ عمر الدسوقي .

٢ ـ ص ١ حركة الترجمة في مصر ـ جاك تاجر ط دار المعارف ـ مصر .

١ ـ يروى عنه مثلا انه حين اهدى اليه كتاب في الجغرافيا استدعى كبير مترجميه وسأله عن الوقت اللازم لترجمته ـ وعندما علم ان ترجمته تستغرق ثلاثة اشهر احضر سيفه وقسمه الى ثلاثة اقسام وكلف ثلاثة من المترجمين بالعمل فيه في وقت واحد لتتم ترجمته في شهر واحد[١] .

٢ ـ كان يشجع المترجمين ويستحثهم على العمل ، ويقدم لهم المكافآت السخية والجوائز العالية ، ويطبع مترجماتهم تشجيعا لهم ومن ثم يأمر بتوزيعها ، على المدارس والدواوين الحكومية .

وعندما عادت البعثة الاولى من فرنسا استقبل افرادها في القلعة ، وقدم لكل منهم كتابا باللغة الفرنسية حول المادة التي درسها ، ومنعهم من الخروج حتى يكملوا ترجمتها ، ومن ثم امر بطبعها في مطبعة بولاق وتوزيعها بعد ذلك[٢] .

٣ ـ كان يتبع بعض الكتب التي تهتم بمواضيع معينة فلا يكاد يسمع عنها ، حتى يبعث بمن يشتريها ويحضرها له لترجمتها والاستفادة منها[٣] .

وقد كان يقوم بهذه الترجمة له اربع فئات :

١ ـ الاجانب الموجودون في مصر ، من السوريين والمغاربة .

٢ ـ اعضاء البعثات التي كان يرسلها الى اوروبا بعد عودتهم الى الوطن .

٣ ـ خريجو مدرسة الالسن في مصر .

٤ ـ الموظفون .

ويمكن ان نقسم الكتب التي تمت ترجمتها في عصر محمد علي الى المجموعات الآتية :

١ ـ الطب البشري والبيطري وما يتصل بهما كالطبيعة والكيمياء والنبات

---

١ ـ ص ١٦ ـ حركة الترجمة في مصر .

٢ ـ ص ٥٣٧ ، ٥٣٨ ج ٣ ـ تاريخ الحركة القومية ـ عبد الرحمن الرافعي .

٣ ـ ص ١٧ حركة الترجمة ـ جاك تاجر .

والحيوان .

٢ ـ الرياضة ـ جبر وهندسة وحساب وميكانيكا .

٣ ـ العلوم الحربية والبحرية .

٤ ـ العلوم الاجتماعية ـ كالتاريخ والجغرافيا [١] .

وقد اضاف على هذه الاقسام جرجي زيدان

١ ـ العلوم القضائية او الحقوقية .

٢ ـ العلوم الاقتصادية .

٣ ـ الأدب .

وذكر ان هذه الثلاثة كان النقل منها ، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ـ اي بعد محمد علي كما ذكر ان اغلب العمل فيها كان فرديا ، بخلاف الاولى ، التي كان العمل فيها رسميا تقريبا ، ترعاه الدولة وتنفق عليه [٢] .

وكانت الترجمة الى اللغتين العربية والتركية فالكتب الحربية ترجمت الى التركية لان معظم طلابها كانوا من ابناء الاتراك والمماليك ، ومثلها بعض الكتب التي ترجمت الى التركية لمحمد علي نفسه اما الباقي فكان يترجم الى العربية [٣] .

كما ان الترجمة وخاصة في عهد محمد علي ، كانت من العربية الى غيرها ، وان كان ذلك في نطاق اضيق بكثير من نطاق الترجمة الى العربية .

ونجد في هذا المجال كتابا مثل الف ليلة وليلة وغيرها [٤] .

وقد كانت الترجمة تتم بسرعة كبيرة ، وخاصة في عهد محمد علي ، فنجد انهم ترجمو ٦٧ كتابا في مختلف المواد من الفرنسية الى العربية والتركية في خلال

---

١ ـ ص ٤٥ تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي ـ الدكتور جمال الشيال .

٢ ـ ص ١٨٦ ج ٤ .

٣ ـ ص ٤٦ تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في مصر ـ الدكتور جمال الشيال .

٤ ـ ص ٤٢ ، ٤٥ حركة الترجمة في مصر ـ جاك تاجر .

عام واحد ، ثم عقد اجتماع اختير منه ١٤ كتابا وتقررت طباعته[١] .

ويجب ان نلاحظ ان الادب لم يحظ بالرعاية الكاملة في عصر محمد علي ، فما اقل ما ترجم فيه بالرغم من اننا نجد في بعض المدارس مثل مدرسة بولاق بعض الكتب الادبية كالكوميديا الالهية لدانتي ، وعدة نسخ من بعض كتب فولتير ورسو ، مضافا اليهما ، مجموعة من القصص الفرنسية[٢] .

وان كنا نجد لامثال رفاعة بعض الجهود في ذلك اذ ترجم بعض الشعر الفرنسي لشعراء مجهولين كما ترجم وهو في السودان ، بعد وفاة محمد علي ، مواقع الافلاك في وقائع تلماك[٣] .

ويبدو ان السبب في ذلك هو اهتمام محمد علي بالنواحي المادية عسكرية وغيرها ومحاولة نقل ما يفيد منها الى اللغة العربية ، وقد كانت طبيعته العملية والعسكرية هي في اغلب الظن التي صرفته عن الاهتمام بالناحية الادبية .

أما العلوم العقلية كالفلسفة والمنطق ، فان الترجمة فيها كانت ضعيفة اذ قيست بالمترجمات الاخرى ، وتكاد الكتب التي ترجمت فيها تعد على اصابع اليد الواحدة مثل ، تاريخ الفلاسفة اليونانيين ونبذة في الفلسفة الطبيعية ، تنوير الشرق بعلم المنطق ، كنز البراعة في مبادىء الفلسفة[٤] .

ويمكننا ان نلخص خصائص الترجمة في ذلك العصر فيما يأتي :

١ ـ لم تذكر في الغالب اسماء المؤلفين الذين ترجمت كتبهم ، ويكتفي بان يقال مترجم عن الافرنسية مثلا مع ذكر المترجم .

٢ ـ لم تعرف اسماء الكتب الاصلية ، فقد كانوا كثيرا ما يضعون للكتاب اسما

---

١ ـ ص ٣٨ نفس المرجع .
٢ ـ ص ٩٧ تاريخ الترجمة والحركة الثقافية ـ الدكتور الشيال .
٣ ـ ص ١٢٩ ، ١٤٥ ـ المرجع السابق .
٤ ـ الملحق الاول من كتاب الدكتور الشيال وص ٧٩ من حركة الترجمة في مصر ـ جاك تاجر .

مسجوعا لا يمت لأصله بصله .

٣ـ كانت تعرض الكتب على بعض المصححين لتعديل لغاتها ، وكانوا احيانا يعرضونها على مترجم ومصحح في وقت آخر بل ربما راجعت الكتاب لجنتان او ثلاث .

٤ـ لم يكن المترجمون متخصصين فكثيرا ما يترجم طبيب في الجغرافيا مثلا ، وترجمات رفاعة قد شملت كل ميدان تقريبا .

٥ـ خلت الكتب المترجمة في الغالب من المحسنات البديعية وخاصة السجع ، وان كانوا احيانا يترجمون بعض المحسنات الاجنبية الى شبيهاتها في العربية[1] .

٦ـ كانت الترجمة تتفاوت بين بعض المترجمين والبعض الآخر ، وقد كان في بعضها ركاكة وخاصة بالنسبة للذين لم يكونوا متمكنين في اللغتين العربية والمترجم عنها .

وقد اطلنا قليلا في استعراض حركة الترجمة هذه بالرغم من انها لا تحوي شيئا من ترجمة الاقاصيص وذلك لنبين ان هذا التراث من المترجمات فتح عيون المثقفين وخاصة في عصر اسماعيل ، على التراث العربي ، ومنه الاقصوصة ، فبدؤا في ترجمتها ، وكانت الصحف هي الاداة الوحيدة في بادىء الامر لتلقي تلك الاقاصيص ونشرها .

الغرض من ترجمة الاقاصيص في ذلك العصر

كان مفهوم المثقفين الذين اخذوا في ترجمة الاقاصيص في ذلك العصر ، ينقسم الى قسمين او يسير في اتجاهين .

اولهما ـ يرى ان الغرض من الاقاصيص هو التفكهة للقراء لا غير ، وهم ينصون على ذلك صراحة في مقدمة الاقاصيص التي ترجموها ـ سواء اكانت مترجمة عن الانكليزية ، او غيرها .

---

١ ـ ص ٥٠ ، ٢٠٩ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ـ تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي ـ الدكتور جمال الشيال .

وبطبيعة الحال كان لهذا التفكير في فهم القصة آثاره في اختيار نوع الاقاصيص التي تعرض للقارىء ،فلم يكن المترجم ليهتم بأن يكون المستوى الفني للقصة رفيعا . . او ان تكون الحوادث التي يعرضها ، ممكنة الوقوع او ان يتوخى صدق الاداء الفني فيها ، أو عمق التحليل النفسي لابطاله ، اوحسن اختيار اللحظات التي يكتب فيها المؤلف قصته كل هذا لم يخطر لمترجمي تلك الفترة على بال .

بل ان تسميتهم لها ، اصطبغت بهذا اللون ، فنجدهم يسمون هذه الاقاصيص نوادر غريبة[1] كما ان هناك كاتبا كان يترجم في (الفتاة) باسم نسيم ، ويسمي اقاصيصه هذه مقالات ، وينص على انه ترجمها تفكهة لحضرات القراء ، والعنوان الفرعي لهذه الاقاصيص يدل على ذلك فهو يسميها غرائب الصدف ، وهي لا تعدو ان تكون ثلاث مصادفات وقعت لثلاث فتيات[2] .

ويصرح (نسيب المشعلاني) وهو من اكثر المترجمين انتاجا في صحيفة (الضياء)- يصرح في بعض اقاصيصه انه ترجمها تفكهة للقراء[3] .

ومثل المشعلاني (ريكاردو افندي صلبا) الذي كان يترجم لفتاة الشرق ، وينص في اسباب ترجمته لاحدى اقاصيص « هوجو » انه ترجمها ، تفكهة لقراء (فتاة الشرق) ، وانه مثل بها العدل والاخاء في شخص شاب وفتاة - متحابين - وغايته من ذلك ان يبين ، فقدان العدل والاخاء بين الناس « كذا »[4] .

وكان هؤلاء المترجمون نتيجة لهذا الفهم - المحدود - في الغاية من كتابة الأقاصيص وترجمتها ، يعتمدون على الذوق الشعبي ، في اختيار ترجماتهم ، ما دام

---

١ - ص٣٨٨ : ٣٩١ الجزء الرابع من السنة الثالثة سنة ١٨٨٨ من اللطائف .

٢ - عدد ١١ السنة الاولى سنة ١٨٩٤ .

٣ - ص١١٩ وما بعدها الضياء السنة الرابعة سنة ١٩٠١ ، ١٩٠٢ .

٤ - ص٧٧ وما بعدها السنة الثانية سنة ١٩٠٨ سنة ١٩٠٩ من فتاة الشرق .

الغرض هو تفكهة القراء ، الذين كانوا خاضعين لنـوع مـن الثقـافة المرتبـطة بالخرافات والمغامرات . . . وبذلك أصبح الذوق الشعبي مـؤثرا ، وليس متـأثرا في الأغلب بمعنى ان الكاتب كان يبحث عن ما يتلاءم مع اذواق قرائه ، لا ما يـرتقي بهذه الأذواق . فانتشرت اقاصيص المغامرات ، التي ترضي هذا الذوق ، فـأصبحنا نقرأ اقاصيص بعنوان « شجاعة المرأة » وقت الشدة[1] و« الشهامة عند الرعاة »[2] .

ومثلها أقاصيص (طرزان الحقيقي) امرأة شربت لـبن دبـة في طفـولتها ، حلاق في امريكا يجمع ربع مليون جنيه بائع صحف يصـبح مليـونيرا ، الجـاسوسة الحسناء[3] .

وأقاصيص (نقولا الحداد) الـذي كان يـكتب في (اللـطائف المصـورة) تسير في نفس الاتجاه ، فاغلبها قصص بوليسية ومغامرات ، ويـكفي ان نقـرأ هـذه العناوين لاقاصيصه .

اختطاف الاميرال ـ ساعة حرب في ساحة حب ـ سر سام غليـوم وطيف بسمرك ـ النهاب الوهاب ـ مرغريت همزة الوصل ـ فضح المكيدة الألمانية ـ ابحثـوا عن المرأة[4] .

ويلتقي بهذا النوع من الاقاصيص ، اقاصيص المغامرات ، نوع آخر شبيه به هو النوع الذي يقدم اليك كثيرا من الغرائب ، والخرافات ، والاساطير ، الـتي تلائم قصص السذج والعوام .

فمرة نسمع عن عاشقين « انجلو وفرنسيسكا » يقصدان الـكونت المشـهور بصناعة الكيميائيات ليعيد لهما العامين اللذين مضيا من عمرهما . . وبـالفعل بعـد

---

١ ـ ص ٣٦٢ : ٣٦٥ الجزء الرابع السنة الثالثة سنة ١٨٨٨ من الضياء .

٢ ـ ص ٣٨٥ : ٣٨٧ من نفس الصفحة .

٣ ـ خيال الظل ـ السنة الاولى سنة ١٩٠٧ العدد ٤ .

٤ ـ راجع اعداد ٢٤ ابريل ١ مايو ٨ ، ١٥ ، ٢٢ منه ١٢ ، ١٩ يونيه سنة ١٩١٦ .

أن شربا الدواء الذي اعطاه لهما اخذا ينسيان بالتدريج ما حدث خلال العامين الماضين ، وعادا كما كانا هو ضعيف البنية وهي ضامرة . . الخ[1] .

ومثل انجلو وفرنسيسكا نجد « خيال العريس »[2] « وظل الفارس المجهول يزور الفتاة كأنه خيال حبيبها ثم خطفها فظنوا ان الجان هي التي اختطفتها » .

ويدخل ضمن التأثير الشعبي على هذه الاقاصيص ، ثلاثة مظاهر ، أولها : الاستشهاد بالشعر في تلك الاقاصيص المترجمة ، وثانيها : النهايات المعينة التي تشبه الاكليشهات في الاقاصيص الشعبية ، وثالثها : انتصار الخير على الشر مهما استفحل ومهما كانت قوته أول الأمر .

أما الاستشهاد بالشعر ، في الاقاصيص المترجمة ، فنجده في مثل اقصوصة « حفظ العهود »[3] يستشهد فيها بقول الشاعر :

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى
فكن حجراً من يابس الصخر جلمدا

وقول الآخر :

اما والذي ابكى واضحك والذي
أمات واحيا والذي امره الأمر
لقد تركتني احسد الوحش إن ارى
أليفين منها لا يروعهما الذعر

أما النهايات المعينة التي امتاز بها القصص الشعبي فنجدها في اقاصيص مثل « فالنتين »[4] فتزوج وعاشوا جميعا بالصفاء والنعيم .

---

١ ـ ص ١٧٧ : ١٨٤ الجزء الرابع من السنة الثالثة سنة ١٨٨٨ اللطائف .
٢ ـ ١١٣ : ١٥٨ الجزء الخامس من السنة الثالثة سنة ١٨٨٨ ٥ سبتمبر اللطائف .
٣ ـ ص ١٥٢ وما بعدها السنة الثالثة من الضياء سنة ١٩٠٠ : ١٩٠١ .
٤ ـ ص ٢١٤ ما بعدها السنة الثالثة (الضياء) .

ومثلها « وبعد ايام اقترن بها وعاشا بالرفاه والهناء »[1] . وتردد هذه المقاطع كثيرا . « وعاشا سعيدين يتمتعان بصفو الحياة على قدر ما يسمح لهما الدهر من الصفاء » .

« فعاشا أهنأ عيشة الى أن ادركهما هادم اللذات ومفرق الجماعات » .

بقي انتصار الخير على الشر في هذه الاقاصيص ، والشواهد على ذلك يخطئها العد . فنجد في (اللطائف) مثل جملة : أما انطونيو الشقي فشنق في باريس لاشتراكه في دسيسة ضد الحكومة ، وهكذا نال كل من الجانبين جزاء ما جنت يداه »[2] .

وفي (فتاة الشرق) نجد اقصوصة بعنوان « قلب بين دهائين »[3] يقول فيها « ولا يخفى على القارىء ماذا كانت خاتمة حياة « هس » وماذا كانت مكافأة مستر وبراو » .

ومثلها اقصوصة « فدى لعينيك »[4] منها « وبناء على كل ذلك حكمت المحكمة على بوسناس وبرأت روبرت . . الخ . ولعلنا بهذا التركيز الموجز استطعنا ان نعطي فكرة عن التيار الاول من التيارين اللذين لاحظنا انهما يسيطران على مفاهيم المترجمين في ذلك العصر .

أما التيار الثاني فيتمثل في فكرة استخدام الاقصوصة وسيلة من وسائل التعليم والتثقيف والتوجيه . وقد اتخذت هذه الغاية الطريق الصريح في بعض الاقاصيص بان ينص في نهاية القصة ، على التحذير من أمر او التحريض على آخر ، كما انها اتخذت ايضا الطريق الآخر طريق اعطاء النتيجة بقراءة الاقصوصة جملة .

---

١ - ص ١١٤ : ١٢٣ السنة الرابعة سنة ١٨٨٩ « اللطائف » .
٢ - ص ٧ : ١٩ السنة الرابعة .
٣ - عدد ٣١ مايو سنة ١٩١٥ .
٤ - ص ٣ ، ٤ في ٢١ يونيه سنة ١٩١٥ .

فمن الأقاصيص التي نص فيها على الغاية التعليمية من ترجمتها اقصوصة « العقد » الشهيرة لموباسان فقد ترجمتها (اللطائف)[1] وذكرت في نهايتها « فلتكن قصتها هذه عبرة للمتأنقات » .

ومثلها من نفس المجموعة اقصوصة « الزوجة » للكاتب الامريكي واشنطن ارفنج[2] التي بدأها المترجم بكلام تقريري عن الزوجة واحتمالها واحالتها الجحيم الى سعادة .

وشاركت (الضياء) ايضا في نفس الاتجاه فترجم (الياس افندي الغضبان) عن الفرنسية اقصوصة « كيف يصير الجماد انسانا »[3] التي رواها للقراء لما تشير اليه من ان اعظم المستحيلات في الدنيا اذا تولاها الانسان بالبصيرة الحاذقة وزاولها بالحكمة لا تلبث ان تحنو له .

وفي نفس (الضياء) نجد في كثير من الاقاصيص جملا مثل « والأقدار تأتي بالعجائب وللدهر احكام حارت فيها عقول الفلاسفة ومدارك الحكماء »[4] .

وعندما تترجم (فتاة الشرق) بعض الاقاصيص تذكر احيانا بعض الاسباب لترجمتها مثل اقصوصة « الزوجين » التي ترجمت عن الكاتب المشهور (كونان دويل) صاحب روايات (شرلوك هولمز) « لأنها رواية حكمية اخلاقية يليق بأن يجعلها المرء قاعدة لحياته الزوجية تضمن له السعادة المبتغاة »[5] .

كما ان (اللطائف المصورة) تنهي اقصوصة « الجزاء » من جنس العمل التي عربتها عن الانجليزية[6] بقولها « فليكن مما تقدم بيانه عبرة وذكرى للشبان الذين

---

١ ـ ص ٢٥٩ : ٢٦١ سنة ١٨٨٩ .

٢ ـ ص ١٩٣ : ١٩٨ الجزء الخامس السنة الثالثة سبتمبر سنة ١٨٨٨ .

٣ ـ ص ١٥٣ وما بعدها السنة الرابعة .

٤ ـ ص ١٩٢ السنة الاولى .

٥ ـ ص ١١٣ : ١٢٠ السنة الثالثة .

٦ ـ ص ٣ ، ٣ في ٣١ يناير سنة ١٩١٦ .

يحاولون بزواجهم الاتجار غير مكترثين للحب الصادق الذي هو واسطة عقد الزواج وطريق السعادة الزوجية » .

وإذا نظرنا الى هذه الاقاصيص من زاوية اخرى اعني من ناحية المعالجة الفنية وجدنا انها تمثل التيار الرومانسي تمثيلا كبيرا في جميع القطاعات التي طرقتها - فاذا تحدثت عن الشجاعة مثلا - كما حدث في اقصوصة « صبي لمبارديا » التي نشرتها (السفور) مترجمة عن الايطالية[1] . فانها لا تعرض لك إلا الصورة البطولية العارية من جميع المسببات الانسانية ، وتبرز لك بطولة ذلك الطفل بطريقة غير عادية ، فالخوف لا يجد الى نفسه طريقا ، ويظل في موقفه حتى يقتله الاعداء بعدها يظل الجنود يرمون عليه الزهور حتى يغطون جثته .

ومثلها اقصوصة مترجمة عن الاسبانية بقلم (خليل ابراهيم معيط) - نزيل البرازيل - عنوانها « امام الموت »[2] وهي تدور فوق البحر في باخرة تعبر الاتلانتيك ، وكان فيها دون باولو البطل الذي لف حول احدى الفتيات طوق الفلين لتنجو هي ، ويغرق ، بدون أن نعرف اي مبرر لهذه البطولة التي قام بها باولو ، فهي ليست حبيبة له او قريبة او حتى معجبة كما انه هو لم يطلعنا على شيء من عواطفه نحوها بل انهما لم يتقابلا على ما يبدو الا على باخرة الموت هذه .

ولا يشذ عن السمات العامة للأقصوصة المترجمة في ذلك العصر ، الا النزر اليسير ، واغلبه كان في الفترة التي تلت الحرب العالمية الاولى ، وفي بعض الصحف التي تولى امرها افراد مثقفون ثقافة منتظمة مثل (السياسة) فهي تمتاز بانها كانت تقدم اقاصيصها نقلا عن كتاب مشهورين مثل موباسان ، كوبيه ، بوردو . . . الخ - واغلبهم فرنسيون ، كما انها تمتاز بانها تقدم نوعا من القصص الذي يعتمد على التحليل النفسي . . وتتوفر فيه المقومات الاساسية للفن القصصي .

---

١ - عدد ١٩٨ سنة ١٩١٩ السفور .

٢ - ص ٩ ، ١٣ عدد ٢٣ اكتوبر سنة ١٩١٦ - اللطائف المصورة .

وأقرب مثل لذلك اقصوصة «على المائدة» لفرنسوا كوبيه ، التي ترجمها (توفيق عبد الله)[1] وتدور كلها حول خواطر انسان مفكر جلس حول مائدة العشاء يفكر فيما لا يفكر فيه الناس المنصرفون الى طعامهم في شراهة ونهم .

فالسمك يعيد الى ذهنه صورة صيادي بريتانيا . . الليل . . والامواج . . والموت الذي يقابل الصيادين حتى يخرجوه . . . ومنظر العقد يثير في ذهنه صورة غواص يعيش في اعماق البحار في سيلان .

حتى الخبز . . الذي لم يكونوا ليهتموا به . . لان لديهم ما هو أشهى منه . هذا الخبز يجعله يتذكر كم من المشقات تكلفها اناس عديدون في سبيله . . حتى قدم بهذه الصورة .

واخرى طريفة خلت من مميزات قصص ذلك العصر من مفاجأة رومانسية ، وتذكرك الى حد بعيد باقاصيص تشيخوف الساخرة ، فهي تقدم نفسية مستشار[2] وصل الى هذه المرتبة بتوصية صديق له واصبح مهوسا بها ، اذا اشترى صحيفة من بائع جرائد قال له : وانا كمستشار ارى كذا . . .-واذا قابل اي انسان قال له : وانك تعلم انني مستشار كذا . . . ثم هو يكتب التوصيات بالمئات . . وذلك ايضا بصفته مستشارا ، حتى وقع في يد متآمر على الحكومة . . الخ . وبالرغم من هذا فقصص المغامرات والخرافة لم تختف من الصحيفة بل ظلت ، كامتداد للتيار العام[3] .

---

١ - السياسة عدد ١٨ يناير سنة ١٩٢٣ .
٢ - عدد ٦ نوفمبر سنة ١٩٢٢ السياسة .
٣ - راجع عدد ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢٢ وعدد ١٦ ابريل سنة ١٩٢٣ .

المميزات العامة

بعد هذا العرض السريع لاقاصيص ذلك العصر المترجمة والتي نشرت في الصحف والمجلات يمكننا ان نلخص اهم ما يميز تلك الاقاصيص فيما يلي :

١ ـ ان الهدف من ترجمتها كان إما هدفا تعليميا او ترفيهيا .

٢ ـ ان معالجتها لاغلب الاقاصيص كانت معالجة رومانسية تعتمد على الاثارة والمبالغة .

٣ ـ انها كانت تعتمد على الذوق الشعبي ، فتتأسى به فيما تكتب ، محاولة ارضاءه .

٤ ـ ان جميع ما ترجم بصرف النظر عن اللغة المترجم عنها ، كان يشترك في تلك المميزات سواء اترجم عن الانجليزية او الفرنسية او الايطالية او الاسبانية وحتى الروسية ، وان كان الاغلب مترجما عن اللغتين الاوليتين .

٥ ـ لم يكن في تلك الاقاصيص ما يدل على انها مترجمة سوى اسماء الاشخاص او الاماكن التي جرت فيها الحوادث .

ترجمات الكتب

لم يقتصر بحثنا عن الاقاصيص المترجمة في ذلك العصر على ما نشر في الصحف على كثرته ، بل تعداه الى بعض المجاميع القصصية التي امكن العثور عليها ، ولا يستبعد على كل حال ان تكون هذه المجاميع ايضا مما سبق ان نشر في الصحف ثم جمع في الكتب.

ومهما يكن من أمر فانها تتفق مع الاقاصيص التي اطلعنا عليها من حيث الهدف والدافع . ويمكننا ان نجد في هذا المجال ، الاقاصيص التي اطلعنا عليها والتي نشرت بقلم المنفلوطي في كتابه العبرات . . كما نجد اقصوصة في مجموعة ما

تراه العيون لمحمود تيمور واخرى لطاهر لاشين في سخرية الناس ومجموعات كاملة مثل القصص العصرية ترجمة توفيق عبد الله .. الخ .

وليس هناك ما يدعو لاستقصائها او اعادة دراستها .. ونكتفي بأن ندرس منها ، نموذجين او ثلاث لايضاح الفكرة لا غير كأقصوصة الشهداء[1] التي مات فيها اربعة او ثلاث من اجل الحب ، والتي حفلت باللهجة الخطابية الوعظية ، لمعالجة بعض القضايا التي تهم المجتمع[2] ومثلها العقاب[3] والذكرى[4] والجزاء[5] .

ولا تختلف عن هذه الاقاصيص اقصوصة تشيخوف التي ترجمها طاهر لاشين بعنوان « الانفجار »[6] وقد حولها طاهر اقصوصة وعظية اخلاقية يتهجم فيها الابن على ابيه بكلام اعتقد ان تشيخوف لم يخطر له على بال ، مثل « يعني ان الواحد مادام بقى عنده قرشين مفيش قدامه غير الشهوة ... الشهوة ... الشهوة ... ربنا .. النبي .. الحلال .. الحرام .. ادي الكلام الفارغ اللي نسمعه منك ومن امثالك وانتو لا تعرفوا ربنا ولا ولي »[7] .

---

١ ـ ص ٤١ .

٢ ـ ص ٥٤ وما بعدها .

٣ ـ ص ١٧١ .

٤ ـ ص ١١٠ .

٥ ـ ص ١٤٤ .

٦ ـ ص ١١٢ : ١٢٨ سخرية الناس .

٧ ـ ١٢٤ السابق .

المقامة في مصر

لم تظهر الأقصوصة في مصر ، دفعة واحدة ولكنها مرت بدور يعتبر تمهيداً لظهورها على النحو الذي عرفت به لدى الغرب ، كما انها عندما كتبت على نحو الاقاصيص الاوروبية ، مرت بتجارب عديدة وخضعت لمؤثرات عامة .

وقد كانت المقامة هي الخطوة الاولى التي خطتها مصر في سبيل الاقصوصة ، ثم تطورت المقامة نفسها الى صورة اخرى ، تكاد تبعدها عن طبيعتها الاولى ولكنها مع ذلك احتفظت ببعض مقوماتها . وظهور المقامة يرجع في الحقيقة الى عاملين اساسيين :

أولهما : حركة بعث التراث العربي ، واحياء الكتب القديمة ، والعودة في النماذج الأدبية الى ما كان معروفا لدى العرب في عصر الازدهار ، في الشعر والنثر على السواء ، وقد كان للمطبعة دور هام في حركة البعث هذه ، فقد تولت نشر كثير من التراث العربي وتقديمه للناس .

ولم يكن للمطبعة في النصف الاول من القرن التاسع عشر جهود كبيرة في هذا المجال . ذلك ان اول مطبعة اهلية لم توجد في مصر إلا عام ١٨٦١ م ، انشأها الانبا كيرلس .

وفي نفس العام انشئت مطبعة وادي النيل[١] .

١ - ٦٠ ، ٦١ج ٤ - تاريخ الآداب العربية - جرجي زيدان .

كما ان مطبعة بولاق نفسها مرت بظروف سيئة بعد عهد محمد علي ، وحتى في عهده كانت تتولى في الاغلب طبع المؤلفات والمترجمات التي تخدم حركة محمد علي وتوجيهه للتعليم .

وقد كان عصر اسماعيل عصر ازدهار بالنسبة للطباعة فقد نهض بمطبعة بولاق ، وأسس مصنعا للورق ، وفي عهده انشئت مطبعة جمعية المعارف ، والمطبعة الاهلية القبطية ، والمطبعة الوطنية بالاسكندرية والمطبعة الوهبية .

وقد تولت هذه المطابع وغيرها حركة بعث التراث العربي[1] كما ان الجمعيات العلمية المختلفة تولت نشر عدد كبير من هذه المؤلفات القديمة . وفي كتابي « عصر اسماعيل » ، للرافعي و « تاريخ آداب اللغة العربية » لزيدان اشارات كثيرة لبعض هذه المطبوعات .

اذن فقد كان ظهور المقامة جزءاً من حركة البعث العربي . وإن كنا لا ننسى جهود المستشرقين في بعث المقامة بالذات فقد نشر (دوساس) مقامات الحريري في اوروبا وترجمها ايام الطهطاوي هنالك .

أما العامل الثاني فهو الصحافة ، وسنرى ان المقامات الحديثة في مصر ، قد نشرت اول ما نشرت في الصحف والمجلات وسبب اهتمام الصحف بها ، الى جانب العامل الاول هو ملاءمتها من حيث الحجم وطواعيتها لاستيعاب كثير من الموضوعات التي تهم ذلك العهد ، سواء اكانت موضوعات علمية أو ادبية ، او اجتماعية ، وبمعنى آخر استخدامها كمقالة ، والامر في هذا الموضوع ليس محتاجا الى استنباط او اعمال فكر ، فسنرى ان بعض الصحف تخلط بين المقالة والمقامة وتسمى الاخيرة مقالة .

ولم تكن مصر ، هي البادئة ببعث المقامة في العصر الحديث فقد سبقتها

---

١ ـ ص ٢٦٥ : ٢٦٧ ج ١ ـ عصر اسماعيل ـ عبد الرحمن الرافعي .

لبنان في التأليف الجديد على نسق المقامة على يد اليازجي والشدياق ، وذلك لظروفها الخاصة مما لا مجال لذكره هنا .

ولما كان الشدياق من بين الاثنين ، أحد الشخصيات التي وفدت على مصر ، وأثرت فيها ، فسنتكلم عن مقاماته التي ضمنها كتاب (الساق على الساق فيما هو الفارياق) ، كما سنتكلم عن كتابه نفسه عند الحديث عن الطور الثاني الذي خطته المقامة .

ومؤلَّف الشدياق مقسم الى اربعة كتب في كل كتاب منها وفي الفصل الثالث عشر بالذات مقامة واحدة فعدد المقامات في كتابه هذا اربع مقامات ، فالتي في الكتاب الاول عنوانها « في مقامة » والثانية « في مقامة مقعدة » والثالثة « في مقامة مقيمة » والرابعة « في مقامة محشية » .

والحقيقة الأولى التي يجب ذكرها عن الشدياق هي انه كان يكره السجع كرها شديدا بالرغم من انه كان يصطنعه احيانا وبالرغم من كتابته للمقامات .

« السجع للمؤلف كالرجل من خشب للماشي ، فينبغي لي ان لا اتوكأ عليه في جميع طرق التعبير لئلا تضيق لي مذاهبه او يرميني في ورطة لا مناص لي منها ، وقد رأيت ان كلفة السجع اشق من كلفة النظم[1] .

وفي مرة ثانية يتحدث عن مضار السجع بقوله « ان المؤلف فيهم بينما يذكر مصيبة احد من العباد في عقله او امرأته او ماله ، اذا به يتكلف لإيراد الفقر المسجعة والعبارات المرصعة وحشي قصته بجميع ضروب الاستعارات والكنايات . . . فنرى المصاب ينتحب ويولول ويشكو ويتظلم . والمؤلف يسجع ويجنس ويرصع ويوري ويستطرد . . . الخ[2] .

اذن فهو يكتب المقامات لغرض معين يمكن توضيحه من المقامة الاولى ،

---

١ ـ ص ٦١ ـ الساق على الساق .

٢ ـ ص ٧٥ ، ٧٦ ـ نفس المرجع .

فيقول انه مر عليه زمن لم يتكلف فيه السجع وخشي ان ينسى ذلك فقرر ان يختبر قريحته .

ولهذا السبب نجد مقاماته معقدة تعقيدا شديدا لانه تعمد كتابتها على ذلك النحو تعمدا ، وكل مقاماته الاربع يظهر فيها مقدرته وتمكنه من اللغة بجانب انتقاداته لغيره .

فالمقامة الاولى[1] تدور حول رأي قرأه لأبن حزم واراد ان يعرف رأى الناس فيه فلم يجد احدا يستطيع فهمه فشرح هو الموضوع اخيرا - فهي مقامة تعليمية اذن - ويبدؤها بالراوي الهارس بن هشام الذي حرف اسمه عن الحارث بن همام وعيسى بن هشام راويي الهمداني والحريري .

وفي استعراضه لآراء الناس حول فكرة ابن حزم يسخر من المطارنة فيقول على لسان احدهم « ولو كان بعبارة ركيكة كان ذلك علي اسهل من الجلوس على هذه الاريكة » ثم يعقب هو على ذلك بقوله « ونقص من عقله وفهمه ما زاد في لحيته وكمه » - كما انه يصرح بجهل معلمي الصبيان - اذ لم يتمكن احدهم من فهم فكرة ابن حزم ، ثم يستمر في سخريته ، ويعرض الامر على فقيه ثم يعرضه على شاعر ، ثم على كاتب امير ، فلم يستطع احدهم فهم الفكرة ، فيستنجد الهارس بن هشام بالفارياق (الشدياق) فيحل له الاشكال .

أما المقامة الثانية « في مقامة مقعدة »[2] فهي عبارة عن نقاش بين مسلم ومسيحي ويهودي وامَّعَةً والفارياق - حول الزواج والطلاق » .

ولعل هذه المقامة اعقد مقاماته بل اعقد مقامة قرأتها ، فبالرغم من ان صفحاتها لا تزيد على ست الا انه احتاج الى تفسير ما غمض من الفاظها ومعانيها

---

١ - ص ٨٣ وما بعدها .

٢ - ص ٢٣١ : ٢٣٦ .

الى فصل بأكمله يبلغ حوالي خمسين صفحة[1].

ومقامته الثالثة[2] تدور حول الحديث عن المرأة ، وكل من تحدث عنها عابها ، حتى جاء الفارياق فأنصفها بأبيات من الشعر .

كما ان المقامة الرابعة[3] « في مقامة محشية » حديث عن النساء مليء باللغويات ثم يتدخل الفارياق فيحل الاشكال .

هكذا نلاحظ الغرض التعليمي من كتابتها ، كما كان عليه الوضع في الأزمان السابقة .

هذا عن الشدياق ، اما عن من الفوا المقامة من المصريين فاننا نجد اولا ان مجلة (روضة المدارس) هي اول من اعتني بها في مصر ـ فيما نعلم ـ وهناك عدد من الكتاب كتبوا المقامة فيها ، وان كان لكل واحد منهجه ، ولكل طريقته في الاستفادة من جو المقامة لشرح ما يريد شرحه ، وسنستعرض اتجاه كل واحد منهم ، ولكننا قبل كل شيء نحب ان نؤكد ان المقامة هنا اختلطت بالمقالة فمقامات صالح مجدي كانت تسمى مقالات ، كما ان قطعة كتبها احمد وهبي ، سميت مقامة وصفية ومقالة في نور الغاز نيرة جلية ، مما يثبت ما اشرنا اليه سابقا .

وأول من سنتحدث عنه من كتاب المقامة هو صالح مجدي (بك) الذي سماها مقالات ، والطابع المميز لمقالاته ، هو التوجيه الخلقي والاجتماعي اذ يأخذ في الغالب حكمة من الحكم او مثلا من الامثال فيجعله عنوانا لها ثم ينسج قصة تدور حول هذا المعنى وتؤيده .

ففي العدد الثاني من السنة الاولى[4] نجد » الجزاء من جنس العمل »

---

١ ـ ص ٢٣٧ : ٢٨٦ .

٢ ـ ص ٤٦٤ وما بعدها .

٣ ـ ص ٦٠٥ وما بعدها .

٤ ـ ص ٥ : ٩ سنة ١٨٧٠ ويلاحظ انه لم يكتب اسم مؤلفيها ـ ولكنها بالتأكيد له لانها تسير في اتجاهه ولأنه في العدد الذي يليه ذكر فيه المقالة الثانية مما يدل علي ان هذه هي الاولى .

ويبدأها هكذا «كان لي جار من الكهول ، يخلب لسماع احاديثه العقول ، فقال لي ذات يوم ، وقد خلا ناديه من الناس ، ولم يكن معنا فيه احد من الجلاس : يا بني انه يختلج في صدري من منذ اربعين سنة ، سر ما جرى ذكره في هذه المدة الطويلة على الالسنة ، وهانذا عليك الآن اقصه وكما رأيته باسانيده انصه ، فاعر سمعك لمقالي ، والتقط منه نفيس اللآلي ، اني دعيت بمجلس انس ، الى وليمة عرس ، فبادرت بالاجابة ، عملا بما رواه عن النبي الصحابة» .

ثم يحكي القصة ـ قصة ذهابه الى بيت العرس ـ ومشاهدته رجلا دميا بعيدا عن الناس وبسؤاله عنه يعرف انه والد العروس ، وانه رجل بخيل ، ويحكي له خال الفتاة كثيرا من حكاياته ، كان يحج الى بيت الله للتجارة لا للتعبد ، وكان يرفض ان يحمل امه على احدى دوابه . . الخ .

وفي الليل عندما يبدأ الجميع في الذهاب يدعى الراوي الى المبيت هناك ، فيخرج عليه رجل طويل القامة ، قصير اليدين كبير الهامة ، عاري الجسد اصلع الرأس . . الخ . وبعد سؤال واستفهام هل هو جني ام انسي ؟ يتضح انه والد البخيل ، وانه قد سجنه منذ عشرين عاما وكبله بالحديد وزعم انه مات ليستولي على التركة ، وانه غفل عنه الليلة ، فخرج من محبسه ، فيحاول الراوي ان ينقذه ، فيقول له لا فالجزاء من جنس العمل ، وقد قتلت والدي من قبله وها هو دمه ملطخ للجدار . «فخرجت من داره عازما على عدم اخباره ، قائلا في نفسي : لا راد لما قضاه الله واراده ، راجيا منه سبحانه ان يختم لنا بالحسنى وزيادة» .

وفي العدد الذي يليه[1] نجد المقالة الثانية بعنوان «في التصريح بحميد الاخلاق والتلويح بالتوبة عن الاعتراض على الرزاق» وهي حكاية رجل فقير اعترض على خالقه لانه لم يرزقه ، وخرج الى الجبل واخذ يرمي ملابسه الى السماء

---

١ ـ نمرة ٣ ، ١٥ صفر سنة ١٢٨٧ ص ٤ وما بعدها .

محتجاً ، فظهر له اسد ، وكاد يفتك به ، ولكنه اخذ يستغفر ويتوب فظهر له فارس لكم الاسد لكمة فقتله ، ثم ظهر لهم قطاع طرق فقبض عليهم الفارس ، واخذ الرجل معه .

وتسير الحكاية ـ تتحدث عن الراوي من انه من نسل معن بن زائدة ـ وتروي حكاية عن حلمه اشبه بقصة من قصص الأحنف .

ويخرج منها الى حكاية درويش ـ وكلها مسجوعة ـ كما انه يلاحظ ، انه يذكر ان الدرويش وفد على الفارس في مدينة بغداد ، وفي العدد الذي يليه[1] مقالة بعنوان في اليسر بعد العسر ، يستعيض فيها عن كلمة حدثني الحارث بن همام او عيسى بن هشام قوله حدثني مبارك الطلعة الصديق الثقة ، في ليلة انس ، كانت بالبدر المنير مشرقة ، انه نشأ بمدينة سان ، فيما سلف من الزمان . . الخ . ويبدأ في سرد الحكاية والمغامرات التي خاضها الاخوان بطلا المقامة ، حتى تيسرت امورهما ، بعد العسر ، فوجدا كنزاً ، ثم زوجهما السلطان ابنتيه ، ولسنا في حاجة الى سرد حوادثها فهي مغامرات متعددة ، انتهت بفوزهما ، او باليسر بعد العسر .

ويستمر على طريقته ، فنشر في العدد الخامس المقالة الرابعة « وتلك الايام ندوالها بين الناس »[2] وفي العدد ١١ من نفس السنة ١٨٧٠ ، « في الاشتغال بمباشرة المناصب عن الاحتفال بمسامرة الصديق والصاحب[3] .

وفي العدد ١٤ المقالة السادسة في لص حليف انصاف حميد اخلاق واوصاف[4] وفي العدد ١٩ « الوفاء مليح والغدر قبيح »[5] .

---

١ ـ عدد ٤ ص ٧ : ١٤ .
٢ ـ ص ٣ وما بعدها .
٣ ـ ص ٣ : ١٢ وما بعدها .
٤ ـ ص ١٠ : ١٣ .
٥ ـ ص ١١ : ١٦ .

وتستمر مقالاته في السنة الثانية ـ ففي العدد الثاني ـ [1] « في العودة من السفر بالمسرة والصفاء ، وتهنئة احد الاصدقاء بالشفاء » ويبدأها بقوله « قال الحسن بن ابي الحسن المصري .

وفي العدد الخامس [2] المقالة التاسعة في احلام اللصوص وما جاء فيها من النصوص » . . الخ .

وهكذا يتضح لنا الهدف الاخلاقي والتعليمي الذي كان ينشده (صالح مجدي) من كتابته لهذه المقامات او المقالات كما سماها . كما يتضح ايضا اثر المجتمع في توجيه الكاتب من مسايرة الاتجاه العام في الادب سواء أكان مترجما ام مؤلفا كما يتضح اثر بعث التراث العربي وتأثيره .

والشخصية الثانية التي كتبت المقامات في روضة المدارس منذ اول سنة صدرت فيها سنة ١٨٧٠ ، هي شخصية عبد الله (باشا) فكري [3] .

فالمقامة الفكرية [4] تختلف عن مقامات صالح مجدي ـ من ناحيتين ـ اولاهما ، انه ذكر انه ترجمها . وثانيهما ، انها تدور حول المملكة الباطنية ، او حول الانسان . وأسلوبها قصصي ولكنه مسجوع ، شأن جميع المقامات « فاذا مملكة واسعة ، واقطار شاسعة ، وخلائق مجتمعة ، وطرائق متبعة ، ومراحل ومنازل ، ومصانع ومعامل ، واذا اهل هذا الملك الكبير ، في عدد كثير ، وجمع غزير ، وكلهم دائب في خدمته ، لا يفتر عما يلزمه . . . وفي هذه المملكة الجسيمة ، كثير من المباني العظيمة ، والديار اللطيفة ، والآثار الظريفة . . . الخ [5] .

ثم يصف جو المملكة واحوال اهلها ، ومنازعاتهم ووزراءهم الخمسة

---

١ ـ ص ٧ وما بعدها .

٢ ـ ص ٤ وما بعدها .

٣ ـ نشرت في الآثار الفكرية سنة ١٨٩٧ ـ بولاق وسنعتمد عليها لوجودها لدينا .

٤ ـ ص ٢٧٦ وما بعدها .

٥ ـ ص ٢٧٩ .

« الحواس » وما يدور بينهم وبين النفسية ، ثم تتدخل الفراسة ، فتتحدث عن الحاكم الحقيقي وهو الملك الروحاني « العقل » واعماله جزاؤه يوم القيامة .

ثم يتحدث عن مغامراته ، حتى وصل الى القلب ، فوصف حركته ، ثم تقدم منه الى الرأس فسار فيها حتى وصل الى العقل ، فرأى عنده امرأتين طريفتين عفيفتين ، ثم جارية رآها عارية ، وفي يدها مرآة كثيرة البريق ، مستورة بغشاء رقيق ، ثم علم انهن ، الاستقامة والعفة والسلامة [1] .

ويستطرد الى الحديث عن شابة ، ذات جمال فاخر ، ودلال ظاهر ، وحسن زاهر ، ومنظر باهر ، وهي تسحر العقول بالفاظها ، وتسخر العقول بالحاظها ، وهي الشهوة الحيوانية ، ثم يصف في دقة عجيبة اشخاصا عديدين يعيشون في الرأس ، الحسد ، الغضب ، حب الجاه ، الشح ، القوة الحافظة ، النسيان ، الكرم ، الدناءة . . وكل شيء يرى امامه ضده ، ثم رأى العدل وكان في وسط الجميع جالسا في مكان رفيع وهو يصلح بينهم في جميع الاحوال ويدعوهم الى التوسط والاعتدال في جميع الاقوال والافعال .

ثم يتحدث عن البصيرة والندم « الذي يتأتى له جسم الفساد ، واعادة الصلح والصلاح بين العباد ، ويستخلص عنان السياسة من ايدي الاغراض النفسية » والخصال الذميمة ، ولكنه قد يمنعه من اداء وظيفته في بعض الاحيان امرأة تسمى الالفة . . . التي تتعلق بمن يكثر تردده اليها ، وتتكرر رؤيته على عينيها ، غير فارقة بين نافع وضار ، ولا بين فاجر وبار » . . . وينقل بعد هذا صورة لمداولة جرت بين السمع والبصر والعقل ، وحب الجاه والعجب والنخوة والغضب والحسد والبخل والملك « العقل » يستمع واشترك فيها الجحود والخمول والجمود والجبن والكسل والاستكانة ، والشجاعة ، والجود ، وكل شيء وضده ، كل هؤلاء يتحدثون حتى يختلط الحابل بالنابل « واخيرا زال الاختلال والفساد من

---

١ ـ ص ٢٨٤ .

كل مكان ، وعاد كل شيء لأصل صورته الحقيقية كما كان » وينتصر الخير .

هذه أهم مقامة له ، وله مقامة أخرى اسمها « في حسن الوفاء » لها هدف اخلاقي ايضا وفيها عقدة تحل اخيرا حلا خيرا ، يعود فيه البطل الى اليسر بعد العسر ، بوساطة صديق مخلص لوالده .

كما ان له مقامة اخرى اسمها العمال والبطال[1] ولكنها لم تنته اية نهاية ويبدو انه لم يكملها .

وكما استغلت المقامة في الناحية الاجتماعية والاخلاقية فكذلك استغلت في مسائل شرعية ولغوية ـ ومسائل اخرى عامة ـ فنجد مثلا مقامة لغزيه في مسائل شرعية[2] للشيخ منصور الهواري ، يدخل فيها الراوي الى مسجد ويقابل فيه شيخا يتحدث في شؤون الدين ، ثم يتحول الحديث الى تركيب الهواء والاكسجين والتنفس ، ثم عن النوم ومضاره في غرفة مقفلة ويتشعب الحديث الى مواضيع اخرى كثيرة .

كما يكتب احمد فتحي بك[3] حكاية تنتهي بأن يقسم التركة والتوريث بين اصحابها . ومسائل النحو ايضا نجدها في الروضات النفحية والمقامات الفتحية ، تأليف احمد فتحي نفسه[4] وهذه تستمر في اعداد كثيرة وفي عدة سنوات حتى انك عندما تقرأ ، بعض اجزائها المتأخرة وتقرأ العنوان « مقامات » لا تجد اي ترابط بينهما .

وفي المواضيع العامة نجد ايضا « مقامة وصفية ومقالة في نور الغاز نيرة جلية » ، لاحمد فتحي عنوانها « الله نور السموات والأرض ، وهي حديث عن

---

١ ـ ص ٣١٠ : ٣١٣ .

٢ ـ عدد ٩ السنة الاولى ص ١٨ وما بعدها روضة المدارس .

٣ ـ العدد ٨ السنة الاولى ص ١٠ : ١٢ .

٤ ـ العدد ١٩ .

النور وانهزام الشمع امام الغاز »[1] .

ويستمر هذا الاتجاه في المقامة عندما كانت تظهر بين الفينة والفينة ، وما اقل ما كانت تظهر ، ففي الاستاذ[2] نجد المقامة الخيلية بقلم محمد افندي التميمي الداري « حدث ابو المحاسن قال : كان لي برذون من احسن البراذين فاره رزين . . . الخ » ويستمر يتحدث عن البرذون ، الذي يسأل حصانا عن حاله - وهي مكتوبة ليحذوا الناس حذو الخديوي في تربية الخيول .

كما اننا نجد في جريدة الصعيد[3] التي تصدر في مدينة طهطا مقامة كتبت بقلم عبد الفتاح الانصاري نسيب الطهطاوي على هذا النسق « حدثني الحارث بن همام عن ابن هشام » واسلوبها يميل الى العامية مع انه مسجوع « واذهب من هنا الى هناك ، واياك احد يراك وعند دار حبيبي ، ادخل وسلمه اياه واياك غيره يراك » .

تسرد حكاية غرامية - لم تعرف كيف انتهت - اذ ان لها بقية ليست موجودة لان اعداد المجلة غير متوفرة .

وبعد عرضنا لهذه المقامات نستطيع ان نلخص قيمتها واهميتها من ناحية علاقتها بالأقاصيص التي تلتها فيما يلي :

١ - المقامات اتخذت وسيلة من وسائل التثقيف ولعرض المعلومات المختلفة .

٢ - وكذلك اصبحت من وسائل التهذيب الاخلاقي والدعوة الى الفضيلة .

٣ - المقامات التي تتضح فيها الحادثة اتضاحا تاما تتميز بانها

---

١ - العدد ٧ السنة الاولى .

٢ - ج ١٢ سنة اولى ١٨٩٢ .

٣ - عدد ١٧ السنة الاولى ٢٠ يناير سنة ١٩٠٥ .

تستوحي الخيال الشعبي والذوق الشعبي في حوادثها فتكثر من المفاجآت والمغامرات .

٤ ـ نهاية هذه المقامات يكاد يكون معروفا منذ البداية ، فاذا كان عنوانها يدل على شيء على الظفر سيفوز البطل اخيرا ، وان كان على انتقام ، ينتهي الامر بالانتقام .

وستظهر هذه المميزات الثلاث الاخيرة ، في الاقاصيص الاولى ، مع بعض الاختلاف البسيط احياناً .

تطور المقامة

لم تستمر المقامة على وضعها القديم الذي ورثته عن العصور المتقدمة من تاريخ العرب بل تطورت تطورا يتلاءم مع روح العصر ، وينسجم مع ما استحدث من انواع جديدة في الادب .

وكان لترجمة الروايات القصصية المطولة ، الفضل الاكبر في هذا التطور ، من حيث الشكل فأخذ بعض الكتاب يؤلفون مقاماتهم على شكل روايات طويلة . ولكن هذا الشكل لم يخف اصلها ومنزعها القديم ، فظهرت في هذه الفترة بعض الكتب التي تبدو وكأنها روايات طويلة مربوطة من اولها الى آخرها بشخصية واحدة ، واهم هذه الكتب حديث عيسى بن هشام ، ليالي سطيح ، ليالي الروح الحائر .

وهذه كلها بالرغم من انها تبدو في شكل حلقة متصلة ، الا انها في الحقيقة مواقف فردية ، يكاد يتحدث كل موقف منها عن موضوع منفصل عن الآخر ، وان كان يجمعها جميعا رباط واحد ، وهو معالجة الامور الاجتماعية وموضوعات الساعة التي يهتم بها كل الناس ، ووحدة شخصية البطل التي تعتبر

غير كافية للربط الفني هي اسهل الطرق لربط العمل ، وقد كانت ظروف المجتمع المصري التي اشرنا اليها في التمهيد ، تتطلب علاجا لمشاكله ، ومناقشة لظروفه الحديثة ، واجابة لكثير من التساؤلات الحائرة على السنة الجميع ، والتي تنتظر الاجابة عليها .

وقد اختلفت هذه الكتب عن المقامات التي سبقتها اختلافا بينا في كثير من النواحي ، فانعدم فيها عنصر المغامرات والمفاجآت التي تميزت بها كثير من تلك المقامات ، وخاصة تلك التي تهدف الى تقديم الوعظ والارشاد للقارىء ، كما ان العنصر التعليمي الذي وجد في المقامات النحوية والشرعية قد تلاشى تقريبا ، كما انها في سردها القصصي بعدت عن المؤثر الشعبي الذي أثر في سير الحوادث في بعض تلك المقامات ، ولم يعد للحادثة قيمة كبيرة الا من حيث معالجة قضايا المجتمع وافكاره ، كما ان العنصر الرابع من مميزات تلك المقامات ، وهو النهاية المرتقبة قد تلاشى لعدم اهميته بالنسبة لكتاب اجتماعيين يحاولون حل قضايا الساعة ، ولم تمت تلك المزايا للمقامة ، بل انها ستبعث من جديد كما سنرى عند الحديث عن اوائل الاقاصيص المصرية .

واهم هذه الكتب حديث عيسى بن هشام وكاتبه يحدثنا بصراحة عن هدفه من كتابته « حاولنا ان نشرح به اخلاق اهل العصر واطوارهم ، وان نصف ما عليه الناس في مختلف طبقاتهم من النقائص التي يتعين اجتنابها والفضائل التي يجب التزامها[1] » .

وهي قصة يرويها عيسى بن هشام راوية بديع الزمان ـ على انها حلم ـ لان الشخصية الاولى فيها « الباشا » خرجت من القبر الى عالم الاحياء مرة اخرى ، وهوما لا يحدث الا في الاحلام وليس السجع فيها هو المحسن البديعي الوحيد

---

١ ـ ص ٦ الطبعة الثالثة .

ـ وان كان هو الغالب ـ ففيها جناس فطباق ومقابلة ـ . . . « . . لمباسم طالما حول العاشق قبلة لقبلتها . . . قد امتزجت بغبار الغبراء ، واختلطت ثناياها بالحصى والحصباء . . . قد امست ترابها تحت الرمس[1] » .

وهو لمعالجة الموضوعات الاجتماعية المختلفة اضطر الى ان يجعل لكل فصل من فصول الكتاب عنوانا خاصا وموضوعا واحدا . . المحامي الاهلي . . . المحكمة الاهلية ، لجنة المراقبة ، كبراء العصر الماضي ، الطب والاطباء ، علماء الدين ، الامراء وابناء الامراء ـ حتى عندما تتدخل في سير القصة ـ شخصية جديدة هي شخصية العمدة ، نجد المواضيع تسير على نفس المنحى الاول ، العمدة في المجمع ، العمدة في المطعم ، العمدة في الحان ، العمدة في الاهرام ، ويختمها بحديث عن المدنية الغربية .

وكان لهذا التقسيم الذي اصطنعه الكاتب أثره في اخراج الكتاب ، اذ اصبح اشبه ما يكون بالمقالات الاجتماعية المكتوبة في اسلوب قصصي ، ولو ان انسانا حاول ان يسلخ قطعة او اكثر من الكتاب وخاصة الاجزاء الاخيرة عندما اشترك العمدة في الحوادث ، لما اختل شيء في الكتاب .

كما انه لو اخذت اية قطعة وغيرت الكلمات الاولى منها لاصبحت حكاية منفصلة عن بقية الحكايات ـ لان الكتاب كما اسلفنا لم يرد الا رسم صورة عامة للمجتمع من خلال عدة احاديث او مواقف ـ وهذا الوضع الذي حول الكتاب الى مجموعة من الحكايات ـ عاقه الهدف الاجتماعي او الاصلاحي ، عن ان يجعل منه مجموعة اقاصيص فنية ، اذ ان الحادثة في كل قطعة منها ليست مقصودة لذاتها ، وانما لما تشير اليه من عيب في المجتمع ، او رأى فاسد ، يحاول الكاتب ان يقومه ، كما انها فقدت العقدة ـ في مجموعها ـ بالرغم من ان العقدة مهمة جدا في الاقاصيص القصيرة في رأي كثير من الكتاب وخاصة قبل ظهور المذهب النفسي

---

١ ـ ص ٨ .

الذي يعتمد على التحليل اكثر من اي شيء آخر ، وهكذا يتضح لنا ان قيمة هذا الكتاب ليست في مستواه الفني ، وانما في معالجته للمشاكل المختلفة .

والموضوع الاساسي للكتاب ، هو اختلاف العصر الذي بعث فيه الباشا ، عما كان عليه الحال قبل وفاته فقد اصبح الزمن الذي بعث فيه زمن الحرية لا فرق بين الصغير والكبير ولا تفاوت بين المكاري والامير[1] بعد ان كان الامر في عصره ، لا يتعدى ان يجلد امثال المكاري الذي تورط معه الباشا لان الفلاح لا يصلح جلده الا بجلده[2] .

ولهذا وبالرغم من قيمة الكتاب الكبيرة من هذه الناحية « الاجتماعية » فاننا لن نتعرض لما احتواه لان الذي يهمنا منه هو علاقته بموضوع بحثنا ، وقد اوضحنا ذلك .

واذا كان المويلحي اخرج الباشا من قبره ، ليصطحبه عيسى بن هشام في جولاته ، فان حافظ ابراهيم ، قد استنجد بروح سطيح الذي مات منذ مدة ليجعله محورا لحوادث لياليه ، وهذه الليالي لا تختلف من حيث الشكل العام ، عن حديث عيسى بن هشام ، فهي تتحدث ايضا عن موضوعات متعددة اجتماعية وسياسية وادبية ، وقد كانت ظروف حافظ الخاصة سببا في اختلاف مواضيع لياليه من بعض الوجوه ، عن مواضيع المويلحي ، فهو يتحدث كشاعر عن شوقي ، ويتحدث عن غاراته على بعض مطالع المتنبي[3] . كما يتحدث عن كرومر الملك الطليق الارادة[4] ولكنه لا يلبث كما في شعره يمدح الانجليز ، وان كان احيانا ينتقدهم ، فلولا التقى لنحلناهم علم الغيب[5] كما يتحدث عن الافغاني ومحمد عبده

---

١ ـ ص ١٦ .

٢ ـ ص ١٧ .

٣ ـ ص ٥٩ ط سنة ١٩٠٦ .

٤ ـ ص ١١٤ .

٥ ـ ص ٢٧ .

وثورة السودان ، ومع هذا فهو يشارك المويلحي في مناقشة بعض المسائل الاجتماعية مثل الحجاب ورفعه[1] ومثل الزار والقباب على القبور .

كما انه لا يلتزم السجع دائما ، واذا سجع سار سجعه على هذا النحو ، « واجد موتور وساهد مقهور ، قد واصل النواح في الغدو والرواح على دم هدر واخ قبر[2] » .

اما ليالي الروح الحائر لمحمد لطفي جمعه ، فانها تختلف عن سابقتها من عدة وجوه وتتفق معهما ايضا في عدة وجوه .

اما الاتفاق ، فان هذه التسمية تدلنا على انه حذا حذو حافظ في تأليفها ، كما ان استخدامه لروح صديقه الحائر ، تعيد الى الاذهان استخدام حافظ لروح سطيح ، والاتفاق الاخير ـ هو في جعل كل ليلة من هذه الليالي ، خاصة بموضوع من المواضيع مثل ما عمل حافظ ـ من قبل .

اما الاختلاف فاهم وجوهه ، هو انه ليس مسجوعا بالمرة بخلاف سابقيه ، ويبدو ان الامر تدرج مع الثلاثة تدرجا طبيعيا فالمويلحي اهتم بالسجع كثيرا ، وحافظ تخلص منه بعض الشيء ، ومحمد لطفي جمعه تركه نهائيا .

والفرق الثاني بينه وبين سابقيه هو ان في الكتاب بعض الليالي تشبه بدرجة اكبر الاقاصيص ـ مما تشبهها ليالي حافظ ، او احاديث عيسى بن هشام .

وثالث الاختلافات ، هو انه يستعرض في الكتاب ثقافته الغربية وقراءاته عن فرلين ووتمان ـ واميل زولا ، ومارسيل بريفو وبسكال كما انه يضم ، بعض المقطوعات على طريقة الشعر المنثور[3] .

ومنذ الليلة الاولى نلاحظ مقدرة الكاتب على محاولة التأليف القصصي ،

---

١ ـ ص ١٢ .

٢ ـ ص ٢٥ .

٣ ـ ص ١٠٧ : ١٤٠ ط سنة ١٩١٢ .

وان كان شأنه في ذلك ، شأن ما كتب في اوائل القصة من اهتمام بجمال الاسلوب والاستطراد ووصف الطبيعة والاسترسال وراء تداعي المعاني التي تخطر في النفس واستعمال المترادفات ، ووصف الشيء الواحد باكثر من جملة .

ولسنا بسبيل استعراض الموضوعات الاجتماعية التي طرقها المؤلف ، لان ذلك سيخرجنا عن موضوعنا وان كان من الواجب ان نلاحظ انه يعالج بعض المواضيع على نحو يغاير ما عالجه بها سابقاه - واكبر دليل نقدمه على ذلك حديث الروح المجنون في الليلة الخامسة ، اذ يصف فيها الاخلاق والفضائل والآداب بانها اكاذيب مموهة ، واضاليل متفق عليها ، وقد لاحظ الكاتب تعارض هذه الافكار مع مجتمعه ، فنسبها الى روح مجنون اصبح طريدا من الارض والسماء معا .

والذي يهمنا ان نقف عنده هو الليالي التي تشبه الى حد ما الاقاصيص ، فالليلة السادسة مثلا[1] تكاد تكون اقصوصة بل لعلها في السرد القصصي ، وجمال العرض والتصوير تفوق اوائل الاقاصيص التي كانت تنشر في الصحف والمجلات ، فهي قصة طفلة عمياء ، اسمها نرجس تعرف عليها الروح الحائر في حياته الاولى . . . وجمال هذه الاقصوصة كامن في دقة تصويره لبطلتها ، وآلامها الساذجة ، وحيرتها عندما لا تستطيع ان ترى البحر ، او تعرف ما هي الامواج او شكل السفن ، وعندما يقول لها البطل انها تشبه الحمام تسأله وما هو الحمام ، ثم آلامها وهو يروي لها قصة فتاة عمياء مثلها ، وسرورها عندما تعرف النهاية السعيدة لشبيهتها وسؤالها بسذاجة عن الهندي الذي أعاد عيني الفتاة وهي على العموم حادثة صادقة وبسيطة تدل على تجربة شعورية ومعاناة لدى كاتبتها .

كما انه يعرض لنا في الليلة السابعة[2] حكاية وردت على لسان الروح الحائر حول عبد اسمه علي أحب فتاة وحرم منها ، بواسطة والديها فالتقت روحه

---

١ - ص٤٢ : ٥٠ .

٢ - ص٥١ : ٦١ .

بفتاته ، كما عذبت روح من وقف عقبة في طريق حبهما .

والهدف الذي يشير اليه الكاتب واضح جدا ، انه ينتقد وضعا من الاوضاع السائدة حول الفوارق الطبقية ، ومنع العبيد من ان يتزوجوا من ابناء السادة ، ويظهر ان النزعة الرومانسية التشاؤمية ، عملت عملها في الكاتب ، ففرق بين الحبيبين ، واصاب البطل السل - فالموت .

كما ان عجزه عن وجود الحل لهذا الاشكال ، في العالم الذي نعيش فيه جعله يبحث عنه في عالم آخر ، حيث الثواب والعقاب الثواب للعاشقين والعقاب لمن وقف عقبة في سبيل حبهما .

واذا كانت الحكاية الاولى تمتاز ببساطتها وجمالها ، والحكاية الثانية بهدفها الاجتماعي فان له حكاية ثالثة نجدها في الليلة الحادية عشرة[1] ليست لها اية قيمة فنية بالمرة ، وانما هي عرض لحياة ثلاث اخوات يتصور الكاتب ان حياتهن ، تمثل حياة جميع النساء وهو رأى لا يسر النساء على اي حال ، فهن اما عفيفة بالضرورة بعد ان تتزوج ، وفي الواقع بؤرة فساد ، واما جميلة شريرة تحفر طول حياتها قبورا للرجال ، واما كائن لا معنى له لا يضر ولا ينفع جعلته الطبيعة صدقة ، لمن لم يقع فريسة احد النموذجين السابقين « الرومانسية » .

بقي علينا في هذا المجال كتابان ، اولهما (نتائج الاحوال في الاقوال والافعال) لعائشة التيمورية[2] ويلاحظ عليه ما يلي :

١ - انه اقرب ما يكون الى الاقاصيص الخرافية .

٢ - ان الذوق الشعبي ، وقراءات المؤلفة او سماعها لبعض اقاصيص العامة تركت اثرها واضحا في سير الحوادث .

٣ - ربما استوحت المؤلفة بعض حوادث الف ليلة وليلة وغيرها من الاعمال

---

١ - ص ٨٨ : ٩٧ .

٢ - طبع سنة ١٣٠٥ هـ .

الشعبية في كتابتها اذ ان حوادث القصة تدور بين العراق وفارس والصين والهند والسودان واليمن ، ويشترك فيها السحر - ويجن البطل ثم يعقل .

٤ - بالرغم من ان الكتاب يبدو وكأنه رواية طويلة متصلة الحلقات ، الا ان كل فصل من فصوله يهدف الى غرض معين ، كما فعل المويلحي ، وحافظ ، وجمعة ، وقد نمت هي نفسها على ذلك منذ اول الكتاب فقالت[١] الفصل الاول في ايقاظ الجاهل من غفلة خداع النفاق وكيفية اقناع المنافق اباه بجيل مكره وادراك الجاهل بعد سوء المنقلب حيث لا يفيد التدبير .

الفصل الثاني في النهي عن الكبر والتمرد في القول والفعل وسرعة المعاقبة بهما .

الفصل الثالث في اثنين يحتاج صاحب كل منهما الى اثنين هما الاقبال والادبار .

فصاحب الادبار يحتاج في ادباره الى التمسك بعروة التقوى والصبر على النقمة ، وصاحب الاقبال يحتاج في اقباله الى مواساة اخوانه والشكر على النعمة .

الفصل الرابع في اقتطاف ثمرة الصداقة وعذوبة ذوقها والري بزلال حسن التدبير بعد ظمأ الطيش والتدمير .

الفصل الخامس في حسن عواقب من صبر ونيله الاماني والظفر ، وسوء عواقب الخيانة ، واحاقة المكر السيء باهله .

وتتخلل الحكاية العامة ، حكاية اخرى لرجلين احدهما اسمه بهرام ، والآخر اسمه فرهاد ولا داعي لشرح حوادثها فهي حكاية خرافية ، ليست لها قيمة فنية تذكر .

وجميع حوادث الكتاب مفتعلة ، كتبت بغرض التوجيه الاخلاقي ليس الا .

---

١ - ص ٤ .

وكما اوضحت المؤلفة غرضها منذ صفحات كتابها الاول . فقد اختتمته ايضا بموعظة اخلاقية صريحة فعليكم بالتقوى والصبر والرضا والتسليم في الامور لما جرى به القضاء ، ولا تعدلوا عن سبل الهدى واعلموا انكم لا تتركون سدى ، فلا يغرنكم المال والجاه وانفردوا لما خلقكم الله وتهيئوا للوقوف يوم العرض ، فهو الذي يدبر الامر من السماء الى الارض فاحسنوا الخلوص في التوكل عليه ، فان الامر منه واليه ، واختم قولي بالصلاة على حبيبه شفيع المذنبين ، وامام المتقين ، وسيد ولد آدم اجمعين . . . الخ .

وهكذا نرى انها تتجه نحو علاج بعض المسائل المتعلقة بالاخلاق والمعاملات ، بخلاف مناقشة الاولين لقضايا المجتمع العامة .

والكتاب الثاني ، هو كتاب علم الدين لعلي « باشا » مبارك[1] . وهذا الكتاب لا يبدو عليه انه تأثر بالمقامات او الحكايات الشعبية ـ كما لاحظنا على الكتب السابقة ـ ولكنه يتفق معها في انه يأخذ شكل رواية قصصية طويلة ، ولكنه في الحقيقة مجرد موضوعات ثقافية كل موضوع منها مستقل استقلالا تاما عن بقية المواضيع ، وقد سماها مسامرات ، ولو قدر لشخص ان يقلب بعض صفحاته بدون ان يعرف حقيقته لظنه مرة كتاب دين ، ومرة كتاب احصائيات ، وثالثة كتاب رحلات وباختصار فهو كتاب تثقيفي جامع لكثير من المعلومات القديمة والحديثة ، المروية عن العرب أو الواردة من الغرب .

ولكنه لم ينس المجتمع نهائيا وان كان قد قصر في حقه ، فله احاديث عن جهلة الاغنياء والاوغاد الاغبياء[2] ، كما انه له احاديث عن حال اهل الارياف وما هم عليه من الظلم والاجحاف[3] .

---

١ ـ ط سنة ١٨٨٣ .

٢ ـ ص ٣٣ ج ١ .

٣ ـ ص ٥٧ ج ١ .

والذي يهمنا من هذا الكتاب ان به بعض الحكايات داخل هيكله العام ، مثل حكاية برهان الدين ابن علم الدين ، وهو عندما يتحدث عنه يحاول ان يرسم لنا صورة حسية له ، وكان برهان الدين جميل الصورة حسن المنظر ، متناسب الاعضاء ، حلو الشمائل ، معتدل القد ، اسيل الخد ، ادعج العين ، قمحي اللون ، مقرون الحاجبين[1] .

ثم يحدثنا كيف شعر برهان الدين بالحب عندما ذهب الى التياترو ورأى الفتيات الاوروبيات عاريات الصدور كاشفات عن جمالهن ، ولم يكن برهان الدين مرتاحا لهذه النتيجة فهو يلوم والده على السماح له بالذهاب الى هناك . وبعد ان سمع علم الدين كلام ابنه افهمه ان لكل قوم عادات خاصة ، وانه كان عليه ان يغض البصر عما لا تحل له رؤيته وما يخاف عليه تبعته تأسيا بقول الله تعالى « قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم »[2] .

وغير هذه الحكاية نجد حكايات اخرى مثل « المصري الغريب[3] » وما جرى له في مرسيليا بعد ان عاد مع جنود نابليون .

ومثلها « حكاية يعقوب »[4] وما جرى له من حوادث حين تحطمت سفينته في البحر ، وقد كتبها ليقدم لنا معلومات كثيرة عن افريقيا وعادات اهلها واخلاقهم .

كما انه لا ينسى ان يتحفنا بشيء من قصص العرب ، مثل قصة الزباء وجذيمة الابرش ، وقصير وبيهس[5] .

وقبل هذه الكتب جميعها صدر كتاب الشدياق الشهير « الساق على

---

١ - ص ٤٢٣ ج ٢ .
٢ - ص ٤٣٦ ، ٤٣٧ ج ٢ .
٣ - ص ٥١٧ : ٥٢٩ ج ٢ .
٤ - ٦٥١ وما بعدها .
٥ - ص ٧٠٥ وما بعدها .

الساق » واهمية هذا الكتاب انه حوى بعض المواقف التي يمكن ان تسمى نواة للاقصوصة العربية ، والفرق بينه وبين كل المقامات التي تحدثنا عنها انه يحكى في الكتاب كله قصة حياة « الفارياق » الذي هو الشدياق نفسه ، فهي رواية واقعية اذن ، استغلها في تقديم كثير من اللغويات ، التي اهتم بها طول حياته ، كما استغل من بعده كل من المؤلفين الخمسة الذين استعرضناهم ، شكل الرواية للحديث عن الموضوع الذي يهمه ، وقد بعد كثيرا فيه عن اسلوب المقامة ، بعد ان اراح نفسه ، وخصص لها فصلا في كل كتاب من كتبه الاربعة كما اسلفنا وان ظلت تطل برأسها احيانا في بعض الحكايات التي يرويها خلال سرده لحياة الفارياق في مثل حكاية « في حمار نهاق ـ وسفر واخفاق »[1].

والشدياق يبدي منذ اول صفحات كتابه مقدرة فائقة على السرد القصصي ، وخاصة اذا نظرنا الى مستوى عصره في هذه الناحية ، وان كان يبطن سرده هذا بسخريته الشديدة من كل شيء يتحدث عنه «كان مولد الفارياق في طالع نحس النحوس والعقرب شائلة بذنبها الى الجدي او التيس والسرطان ماش على قرن الثور ، وكان والده من ذوي الوجاهة والنباهة والصلاح « مرحى مرحى » الا ان دينهما كان اوسع من دنياهما وصيتهما اكبر من كيسهما[2] » ولسنا نريد ان نتتبع هنا تطور حياة الشدياق من خلال كتابه ، كما لانريد ان نتعرض للمواضيع اللغوية والدينية والاجتماعية التي خاض فيها فذلك لا يهمنا في بحثنا هذا ، انما الذي يهمنا هو الحكايات والاقاصيص التي تخللت سرده لحياة الفارياق ، وسنجد في هذا المقام حكايات مثل في طعام والتهام[3]. وهذه الحكايات ليست مسجوعة كلها ، وفيها حادثة ولكنها بسيطة وتافهة لم تتطور فيها شخصيات ابطالها .

---

١ ـ ص ٤٥ : ٤٨ ط سنة ١٨٥٥ باريس .

٢ ـ ص ١٣ وما بعدها .

٣ ـ ص ٤١ : ٤٤ .

ومثلها في خان واخوان وخوان[1] .

ثم تأتي بعد هاتين « في اكلة واكال »[2] وهـذه احسـن مـن سـابقتها وان كان قد وجهها وجهة خاصة تعضد تيار افكاره العامة .

وفي اولها يذم التكلف في الكلام ، ثم يبـدأ في روايـة قصـة مـن قصص الفارياق ، فيصف وصوله الى الدير وقرعه على الباب ومقابلة احد الـرهبان لـه ، وعرض نفسه عليه وقبول الراهب استضافته ، والى هنـا وكل شيء يسـير سـيرا طبيعيا الا انه لا يلبث ان يأخذه الحنين الى اللغويات فيتحدث عـن بعض اتبـاع الامير ممن يترددون على الدير من كل سرطم قهقم لهم نهم وحم وخم هقم .

ويعود مرة اخرى الى سياقه القصصي ، ويطور الحـادثة تـطورا بسـيطا ، الغرض منه هو ذم الرهبان ـ والتشنيع عليهم ، اذ كانوا يقددون الخبز اللين حـتى اذا ضربت احد الرغيفين بالآخر يخاف من فرقعتها جميع جرذان الدير ، ثم يبلـونه مرة اخرى قبل اكله ، ويصف خلال ذلك العدس الذي قدموه له وجعلـه يهـرش طول الليل بعد ان علقت بضرسه كسرة من الخبـز ، ثم التهـب جـوفه فـاراد ان ينظم قصيدة هجاء في العدس ، فعزت عليه كلمة ، فاخذ يبحث عن القاموس ، فيسأل احد الرهبان عنه فيظن انه يقصد الجاموس ، فيقول له ليس عندنا جاموس بل ثيران ، ويسأل الثاني فيقول له انتظر الى نصف الليل فلا يـأتيني الـكابوس الا في ذلك الوقت ، ويسأل ثالث يقول له ما هذا القـاموس يـا جعمـوص ويجـدها فرصة ليتحدث عن فسوق الرهبان ، ويروي عنهم عـدة حـكايات ـ وهـو في كل ذلك يحاول اغراء رويهب جديد بالخروج من الدير ، حـتى يقنعـه بـذلك فيقـول الفارياق « لعمري لو كنت كلما اكملت اكلة عـدس خلصـت راهبـا او رويهبـا او بالاحرى راهبة او رويهبة لوددت ان لاآكل الدهر غيره وان اكل بدني فجزى اللـه

---

١ ـ ص ٤٩ : ٥٣ .

٢ ـ ص ٧٥ : ٨٢ .

الدير خيرا » .

وفي مرة اخرى[1] يقص حكاية اخرى عن راهب فاسق دميم المنظر له انف كبير حال بينه وبين اي عمل فلم يجد الا الدير - وهو يستغل ذلك للسخرية من الرهبان - سخرية لا يملك القارىء معها نفسه من الضحك عليهم .

ويستمر على هذا النحو يقدم مشاريع اقاصيص قصيرة خلال كتابه كله - مليئة بالسخرية الموجهة نحو الرهبان في الاغلب ، ومن اهم تلك المحاولات ، حكاية طبيب في الفصل التاسع عشر من الكتاب الثاني ، في وليمة وابازير متنوعة[2] في جوع ديقوع دهقوع [3] . . . الخ .

وهكذا نرى ان الشدياق يتجه نحو نفسه ليستلهم تجاربه الخاصة ، بقصد التعبير لا مجرد الارشاد والوعظ كما كان يفعل غيره .

---

١ ـ ص ٨٤ : ١٠٤ .

٢ ـ ص ٤١٦ وما بعدها .

٣ ـ الفصل الرابع عشر الكتاب الثالث .

نشأة القصة القصيرة

المقالة :

بعد سنوات ليست بالكثيرة من ظهور المقامة ، واستخدامها كمقالة توجيهية ، في اسلوب قصصي ظهرت المقالة القصصية كتطور لها ، ونعني بها كتابة المقالات الاجتماعية على طريقة الاقاصيص .

واهم مؤلف سنتحدث عنه في هذا المجال هو السيد عبد الله نديم صاحب « التبكيت والتنكيت » فقد دأب منذ اول عدد صدر منها سنة ١٨٨١م على كتابة مقالاته الاصلاحية على هذه الطريقة .

وهذا العدد « الاول » زاخر بعدد من الحكايات التوجيهية مثل « مجلس طبي على مصاب بالافرنجي » « عربي تفرنج » سهرة الانطاع « تخريفة الجنون فنون » محتاج جاهل في يد محتال طامع » « غفلة التقليد » .

وأولاها[1] تبدأ على هذا النحو «كان المصاب صحيح البنية ، قوي الاعصاب ، جميل الصورة ، لطيف الشكل ، ما رآه فارغ القلب الا صبا ، ولا سمع بذكره بعيد الا طار اليه شوقا ، وحاول اهله ان يحفظوه من الاعداء ولكن صحبهُ احد المضلين واستماله ... واحضر له الغواني» الخ .

---

١ ـ ص٤ : ٦ .

ويظل يصف اولئك الغواني حتى يقع البطل ، فيصفر وجهه وتتراخى اعضاؤه ، وتذهب بهجته وتبرز عظام وجهه ، وتتبدل محاسنه ، وينتهي امره الى خربة ، ثم يبدءون في معالجته ، واعادته الى سابق عهده ، وهو فيها يحارب الغرباء والاجانب الذين هم سبب هذه المشكلة ، ولا يسمح لاطبائهم ـ بالدخول عليه ، خوفا « من افسادهم العلاج وسعيهم في اتلافه اكثر مما صنعوا به » .

ومثلها « عربي تفرنج »[1] حكاية زعيط الذي يلعب في التراب وينام في الوحل ويسرح الجاموسة حتى اذا سافر الى اوربا عاد لينتقد اهله وعاداتهم ، ممثلة في والده معيط ، ويتكلم الفرنسية ثم يقول في خلال حديثه مع والده انتم يا ابناء العرب زي البهائم » .

واذا كان هو يكتب الاقصوصة في بعض الاحايين ، ويترك القارىء يستخلص منها ما يريده الكاتب فانه احيانا يشير الى ما يريد صراحة ، بعد انتهائه من رواية الحكاية مثل ما فعل في سهرة الانطاع فقد ختمها بقوله[2] .هكذا تكون حال من لم يتهذب صغيرا فانه يخرج اسير شهواته ، بعيدا من ادراك ـ المعاني جبانا بليدا غبيا .

وفي تخريفة « خذ من عبد الله واتكل على الله »[3] نجده يعلق عليها بقوله « انظر الى الغفلة واستحكامها في العقول السخيفة .... الخ » .

ومرة ثالثة يقول « ننشرها على اخواننا الشرقيين حذرا من الوقوع في مثلها عاذنا الله[4] وليس لهذه الحكايات بطبيعة الحال قيمة فنية ، لانه لم يرد لها ان تكون اقاصيص وانما ارادها ان تكون مقالات اجتماعية .

لهذا فأن الحادثة فيها لا تتطور تطورا منطقيا ، بل تعتمد على المغالاة ،

---

١ ـ ص ٧ : ٨ .

٢ ـ ص ١٠ .

٣ ـ ص ٢٧ : ٢٨ .

٤ ـ ص٥٦ : ٥٧ .

والمبالغة ، وقد رأينا في حكاية مصاب بالافرنجي ، كيف اوصله الى السكنى في خربة ، ليجعل النهاية مثيرة ، كما انه في عربي تفرنج ، تعمد ان يبالغ في التغير الذي طرأ على زعيط ، حتى انه نسي اسم البصل ـ وهو الطعام ـ الذي كان يأكله دائما قبل سفره الى اوربا .

وفي « هف طلع النهار »[1] جمع كل وسائل الترف ، والانفاق على البطل في حياته ، واحاطه بالخدم والندمان ، وجعله يلعب القمار ، ويسكر ، ويتردد على المساكن المشبوهة ، ويتعاطى الحشيش والافيون . . الخ .

حتى اذا اراد ان يحارب بعض الخرافات الفاسدة التي تملأ عقول العوام عمد الى هذه المبالغة ، ففكرة التواكل مثلا يحاربها في شخص انسان بليد بلادة غريبة لا اظن انها يمكن ان تقع ، لدرجة انها تثير اللص الذي جاء يسرق دار المتواكل ، فيقول له : يا جبان هل وكلك الله بارزاق العباد .

كما ان شخصيات هذه الفئة التي حاول رسمها ، ليست متكاملة ولا طبيعية ، نلاحظ اعمالها دون ان نعرف اسبابا لها او مبررات ـ خاصة ـ وهو يعتمد على المبررات العامة التي كانت تحيط بالمجتمع في عصره من جهل ، وكسل ، كما يعتمد على الظواهر الجديدة التي اخذ المجتمع يجربها لاول مرة ، كالاختلاط بالاجانب اختلاط تأثر واقتفاء ، وانتقال كثير من العادات والتقاليد الغربية الى مصر معبرا في ذلك عن قلقه من هذه الظواهر ـ وعدم استساغته لها ـ كما يعبر ايضا عن رد الفعل الذي بدأ يظهر لدى فئة المثقفين العائدين من الغرب ، وهكذا نجدها صورة عامة عن المجتمع الجديد ليس لاشخاصها من حيث هم افراد اهمية الا بمقدار تعبيرهم عن افكار المؤلف وخواطره .

وقد ظل الهدف التعليمي والاخلاقي مسيطرا على انتاج ذلك العصر الى وقت متأخر ، ولكنه كان يختفي ويظهر ، قوة وضعفا حسب مقدرة الكاتب ،

---

١ ـ ص ٢٢ : ٢٤ .

وفهمه لقيمة الاقصوصة ، ومقوماتها ، كما سنرى .

والى جانب هذا التيار الذي اختطه وسار فيه عبد الله نديم نجد تيارا آخر ، ظهر نتيجة لبعث التراث العربي من جهة والاطلاع على بعض الاقاصيص الغربية ، فقد وجدت بعض الصحف ان النموذج الذي يقدمه الغرب من الاقاصيص ليس له مثيل لديها في الادب العربي ، ولم يكن لكتابها المقدرة على محاكاته فاندفعوا نحو بعض الحكايات العربية التي حدثت في عصور الاسلام الاولى ، ولأن الاسلوب الصحفي ، اخذ يتطور شيئا فشيئا ، واحس الكتاب بحاجتهم الى السهولة ، التي تلائم اذواق القراء ، فاستغنوا عن السجع واستغنوا معه عن المقامة - الى حد كبير - بالرغم من انها ظلت تطل برأسها من وقت لآخر كما رأينا .

وعلى هذا النحو نجد مجلة الفلاح - التي صدرت سنة ١٨٨٦م - تكتب لنا كثيرا من الحكايات التي حدثت للرشيد والبرامكة وغيرهم .

كما نجد في (اللطائف) التي صدرت في نفس العام ، نفس الاتجاه ، فهي تستغل ما يروى في الكتب القديمة مثل المغازي - فتذكر عن عبد الله بن عباس عن ابيه[١] قصة عمر بن الخطاب مع العجوز الفقيرة واطفالها ، وكيف انه تأثر لموقفها ذلك ، وعاد وحمل لها الدقيق والسمن ولم يعد ، حتى اطمأن الى ان اطفالها قد نالوا عشاءهم وناموا في أمن .

كما انها في السنة الثانية سنة ١٨٨٧م - اخذت تنشر طرفا من قصة الطاووس مع البوم ، نقلا عن كتاب الصادح والباغم لما فيها من الحكم

---

١ - ص٣ : ٨ .

والمواعظ[1] .

ويلاحظ على مقتبسات هذه الصحف ، انها تهدف ايضا الى غاية اخلاقية ، فتقدم صورا مشرقة من تاريخ العرب والاسلام لتكون مثلا يحتذى بها الناس ، واذا انصرفت عنهم الى غيرهم ، فان ذلك سيكون ايضا لهدف تعليمي او اخلاقي .

وقد كان لتيار « الاسلامية » الذي اجتاح مصر في تلك الفترة أثره الظاهر في هذه النزعة ، التي تشبثت بالخلافة العثمانية ، على انها رمز لقوة الاسلام وصولته .

وقد ظهر في هذه الصحيفة بداية التيار الجديد من كتاب الاقصوصة الفنية ، وكان على يد السوريين المهاجرين كما سنرى ، وها هو احدهم فرنسيس فتح الله المراش[2] يروى لنا رواية در الصدف في غرائب الصدف « عن سعدى التي يحكي البان قوامها ، والورد يروي عن خدها ، والنرجس عن عيونها ، والاقحوان يعرض عن ثغرها ، والنسيم يشرح عن رقتها ، وعبير الخزام يعرب عن نكهة انفاسها ، ويروي البطل قصة رؤيته لها ـ ثم دعاه والدها ، ولم نعرف ماذا تم في امرهما ـ لان المجلد ناقص ـ ويبدو ان والدها قد رفض طلبه ، لان المؤلف ـ يقدم لنا البطل ـ في الخلاء ـ ثم يروي قصته مما يدل على انه لم ينل غايته من الزواج بها .

وبالرغم من ان هذا التيار الجديد تيار السوريين ، اخذ يظهر بوضوح بعد صدور هذه الصحيفة بسنوات قليلة الا ان العودة الى تاريخ الاسلام

---

١ ـ ص ٢٦٥ : ٢٧١ .

٢ ـ ص١ : ١٦ .

واستلهامه ظلت واضحة في بعض الصحف والمجلات التي تنزع نحو الاسلامية وتؤيدها .

ومن خير الادلة التي سنسوقها على ذلك « العروة الوثق » - فهذه المجلة تنص على ان هدفها هو توطيد عرى الجامعة الاسلامية بظلال الخلافة العثمانية العظمى ، ولهذا فهي تنشر تحت عنوان روايات العروة الوثق - في تاريخ الاسلام -[1] عددا من الحكايات مثل عام الفيل - المولد النبوي - خاتم النبوة - الراهب بحيرا - حلف الفضول - عبرات قريش - وتجارة الرسول لخديجة سيدة قريش .

وهي تذكر هذا التاريخ على علاته ، وتتحدث عن ولادة الرسول مكحولا ومختونا وتهدم الاصنام وقصة الاغنام التي سجدت له ، وشق صدره الخ .

وسنرى عند درس المجموعات القصصية التي رجعنا اليها كيف ظل هذا التيار ساريا ، حتى بعد ان اخذ تيار الجامعة الاسلامية يضعف - وذلك دفاعا عن الفضيلة ، وردا على القصص الخليعة التي اخذت تنتشر وتكتسح امامها ما عداها من القصص والحكايات .

وقد كان السوريون - كما اشرنا سابقا - هم الذين بدأوا في نشر الاقصوصة الحديثة على النمط الغربي - ولكن اقاصيصهم الاولى شابتها شوائب متعددة سنتحدث عنها الآن ، كما سنتابع بعد ذلك ملاحظة خط السير الذي سارت فيه الاقاصيص التي تنشرها الصحف والمجلات ، ونتبع ذلك بدراسة المجموعات القصصية التي طبعت في كتب ، ولم نتمكن من معرفة الصحف التي

---

١ - راجع السنة الاولى سنة ١٩٠٥ من العدد الثاني حتى العاشر.

نشرت فيها ، او وجدنا ان من المتعذر الرجوع الى تلك الصحف .

واهم ما يلاحظ على هذه الاقاصيص التي اخذت تنشرها الصحف المختلفة ، ان اغلب هذه الاقاصيص تمثل نوعا واحداً من الاقصوصة واعني بها اقصوصة « العقدة » . كما ان التحليل النفسي لابطالها مفقود تقريبا وان الاهمية فيها متجهة الى الحادثة ليس اكثر . كما ان حوادث القصة كثيرا ما تكون غير منطقية اذ ان هذه الاقاصيص تتعمد الاثارة ، وتقديم المفاجآت للقارىء ، ونهاياتها على الجملة كثيرا ما تكون معروفة للقارىء المتعود على قراءة اقاصيص تلك الفترة مهما كانت الحوادث المفاجأة التي تظهر في ثناياها ، اذ ان فكرة الخير والشر ، والصراع بينهما واضحة فيها وضوحا تاما ، وغالبا ـ ان لم يكن دائما ـ تنتهي الاقصوصة بانتصار الخير ، واندحار الشر ـ يضاف الى ذلك كله ، التوجيه الاجتماعي ، فكثيرا ما يكون الهدف من كتابة تلك الاقاصيص ، ولكنه اقتصر على معالجة بعض قضايا المرأة ، ومشكلة الفقر وسطوة الآباء على البنات .

ولا ننسى انها اهتمت بالمواضيع الغرامية ، ولكن معالجتها لها كانت معالجة رومانسية ، يكثر فيها النواح والفراق ، ويتكبد العاشقان في سبيل حبهما الاهوال ، واذا ما انتهت الاقصوصة نهاية غير سارة فغالبا ما تكون نهاية رومانسية دراماتيكية ، كأن ينتحر العاشقان ، او يموت احدهما بشهقة ، ثم يتبعه الآخر .

وقد اهتمت هذه الاقاصيص بعض الاهتمام ، بالمغامرات البولسية ، وكان ذلك من اثر الترجمة ـ كما عرضنا ذلك سابقا ـ كما كان الذوق الشعبي يفرض وجوده على سير حوادث هذه الاقاصيص بدرجة كبيرة حتى ليكاد ينعدم ـ مع ذلك ـ اثر الترجمة ، بل ان هذا الذوق الشعبي قد فرض اختيار الاقاصيص المترجمة كما رأينا سابقا ،واصبحت جملة « وعاشا في التبات والنبات » تطل برأسها

كثيرا حتى في المترجمات .

ولهذا فاننا مضطرون لعرض بعض نماذج من الاقاصيص الشعبية ، التي كانت سائدة في ذلك العصر ولن يكون غرضنا الاستقصاء ـ فذلك ما لا مجال له هنا ـ وسنكتفي باستعراض مجموعة من الحكايات كتبها مؤلفها من مجموع ما سمعه في حداثة سنه ، وتتبع ذلك باقصوصة طبعت على حدة ولم يعرف مؤلفها او كاتبها .

وهذه المجموعة اسمها « قطايف اللطايف » بدون تاريخ طبع ، وهي عبارة عن نوادر وحكم وتواريخ واخبار وحكايات واشعار كما ورد فيها والذي يهمنا منها هو الحكايات ، وسنجد فيها حكاية العجوز وولدها[1] وهي قصة عجوز بخيل وابن كسول كسائر ابناء الاغنياء ، قابله صديق واسر اليه بحيلة يستطيع بواسطتها ان يأخذ بعض المال من والدته ، فذهب اليها وذكر لها ان سفينة بها عدد من المماليك قد وصلت الى الميناء للبيع ومن بينهم واحد اسمه حسن جميل الصورة ، وتأسف من انه لا يملك نقودا والا لاشتراه ، وزوجه لها فتهلل وجهها سرورا ، واعطته المبلغ ، ثم اخذت تتزين ، وتستعد لملاقاته ، ثم طلعت الى السطح واخذت تمشي فيه فزلت قدمها ، فماتت لتوها ، ومن ثم تزوج ابنها بابنة صديقه وعاشا في سرور الى ان أتاهم هادم اللذات !

وهناك حكاية اخرى اسمها (الوزير وخادمه)[2] وهي حكاية ملك ووزيره ، وقد وشا الناس بالوزير فابعده الملك ، فذهب وتشرد وجاع ، حتى كاد ان يموت من الجوع ، ثم وقع الملك في مشكلة لم يستطع احد حلها ، فبحثوا

---

١ ـ ص١٠ : ١٢ .

٢ ـ ص ١٥ : ١٨ .

عنه ، واعادوه الى ملكه ، وردو عليه المال ، فجمعه وبال عليه ، وقال لخادمه ان المال ـ لا ينفع الا في وقت الشباب .

« وهكذا كلما ضاقت في وجه الفتى لا بد ان تفرج ، ومهما انتصر الشر ، فلا بد للخير اخيرا من التغلب عليه » .

وهناك حكاية[1] تهدف الى تبيان ان المرأة الشريرة لا يتحملها ، لا الانس ولا الجن ، كما ان حكمة « الحذر لا يمنع القدر » تظهر بوضوح في قصة الفيلسوف والطوفان ، لان الزورق الذي أعده للطوفان لم يفده وقضى قبل ان يأتي الطوفان[2] .

على ان هناك بعضا من هذه الحكايات تبدو في صورة كاملة تقربها جدا من اقاصيص ذلك العصر او على الاصح توضح اثرها في تلك الاقاصيص ، وهي قصة « ورقة اللوتريا[3] وهي حكاية امرأة فقيرة كانت تعيش عند احد البقالين ، اشترت ورقة من اوراق اللوتريات الكبيرة ، وفي احد الايام رأى البقال ان النمرة نجحت ، فاضمر في نفسه امرا للاستيلاء عليها ، فذهب الى العجوز وطلب منها ان تتزوجه ، فدهشت المرأة لهذا الطلب واخذت تقول له انت مثل ابني وانا فقيرة ، ولكنه اصر على رأيه وتزوجها ، وبعد ان تم له ما اراد قال لها ما رأيك في بخت اقترانك ، لقد نجحت النمرة التي معك ، فقالت له : لقد احتجت منذ عهد قريب ، الى جوز مراكيب البسها ، ووجدت ان من الصعب ان اطلب ثمنه من احد فبعت الورقة ، وكاد البقال ان يموت من شدة الغيظ لان الغرض الذي

---

١ ـ ص٣٢ : ٣٥ .

٢ ـ ص ٤١ : ٤٢ .

٣ ـ ص١١٩ : ١٢٠ .

تزوج من اجله هذه العجوز قد انتهى ، فماذا يعمل الآن ؟ وهكذا ينطبق عليه قول الشاعر الشعبي : ـ

« يا واخد القرد على ماله
يروح المال ويبقى القرد على حاله

واما الاقصوصة الاخرى التي سنتحدث عنها ، فتمتاز بالجانب الآخر من الذوق الشعبي ، وهو المغامرات التي يتكبدها العاشق في سبيل الوصول الى محبوبته ، واسمها حكاية انس الوجود مع معشوقته الورد في الاكمام بالتمام » وهي قصة معروفة في الف ليلة وليلة ، وقد اقتبست منها ، وليس معروفا اسم المؤلف ، وان كان معروفا انه كتبها سنة ١٢٨٧هـ ـ وهي تبدأ كما تبدأ اية حكاية شعبية ـ « ومما يحكى انه كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان ملك عظيم الشأن ذو عز وسلطان وكان له وزير يسمى ابراهيم .. الخ ولابراهيم هذا ابنة هي الورد في الاكمام ، احبت انس الوجود وافتضح امرها عند ابيها ، فخاف الفضيحة لان الملك يحبها ، ولان انس الوجود كان يخدم عند الملك ، فأرسلها الى بحر الكنوز على جبل الثكلا ..

ثم تبدأ الاقصوصة في سرد الحوادث التي وقعت للمحب من خوض للبحار وجوب للبراري ، ومقابلة للاسد والتفاهم مع عابد متنسك .. الخ

وتتدخل المصادفة طبعا في تعقيد المشكلة اولا ثم حلها أخيرا ففي الوقت الذي وصل فيه الشاب الى قصر محبوبته المسجونة ، كانت هي تسأم الحياة وتخرج تهيم على وجهها ، حتى اذا وصلت عند احد الملوك وروت له حكايتها ، توسط لدى والدها فيفاجأ الجميع بان انس الوجود ، قد فر وتبدأ عملية بحث اخرى

حتى يلتقي المحبان ، في امن وسلام ، ليعيشا حتى يدهمها هادم الملذات ومفرق الجماعات .

ولقد اهتم الناس في ذلك العصر ، وخصوصا المستشرقون بهذه الحكايات ، وقصص الف ليلة وليلة ، فنجد في دار الكتب قصة انيس الجليس وما جرى لها مع علي نور الدين ابن الوزير وهي منقولة من كتاب الف ليلة وليلة وطبعت في باريس سنة ١٨٤٦م سنة ١٢٦٣هـ .

ثم نجد ايضا حكاية باسم الحداد وما جرى له مع هارون الرشيد لم يعلم مؤلفها طبع ليون سنة ١٨٨٨م وقد وجدت وانا ابحث في الدوريات كتاباً اسمه (حكايات وحوادث) ، جمعها احد المستشرقين ثم طبعها سنة ١٩٠٥م ، وعندما طلبت الرقم من دار الكتب لم اجد النسخة ووجدت ديوانا من الشعر مكانها ولا بد انها اخذت رقما آخر فلم اتمكن من العثور عليها ... وقد كانت بدون شك هذه المجموعات وغيرها من الحكايات التي يتناقلها العامة ، تؤثر في اوائل القصص ، وسنستعرض ما كانت تنشره بعض تلك الصحف ، كل صحيفة على حدة ، لنرى هذا الاثر واضحا فيما نشر ، كل الوضوح .

ففي الضياء نجد مثلا - بجانب الاقاصيص المترجمة - بعض القصص المؤلفة ويختلط الاثنان ، فلا يميز المترجمة من المؤلفة الا اسماء الابطال ومكان الحوادث اما الجو فواحد .

فقصة صريعا الغرام[1] لا يبدو عليها انها مترجمة وفيها ، يتفرق الحبيبان ثم يلتقيان فيتزوجا ويختتمها المؤلف بحكمة ان مرارة العمر ، تعقبها حلاوة الفوز .

---

١ - ص٦٦٤ وما بعدها .

اذا لم تـذق في هـــذه الـــدار صـــبوة

فمـــوتك فيهـــا والحيـــاة ســـواء

والفوز بعد الفوت ـ[1] تنتهي بوفاة البطل : وهو يقول اذكريني يا ماري .

وكذلك نجد العكس ـ اي ان بعض القصص التي تبـدو وكأنهـا مـؤلفة تنسب الى كتاب اجانب ـ مثل « الاختان »[2] فابطالها بطرس ، سليم ، سـلمى ، داود ، وحوادثها وقعت ايام الثورة العرابية وهي قصة تضحية وفداء .

وقصة الحياة السعيدة بقلم م . ن[3] اولها شعر عـن الحـب وفضـل الموت به ، ثم عندما يحدثنا عن وقفة الوداع ، يتحدث عن قبلة وغمغمة ، ودمعـة وأنـة وغمز بالكف وتلويح بالمنديل .

ويكفي ان نستعرض اسماء مجموعة السنة الثـانية مثـل الانتقـام ـ جـزاء الاحسان ، حفظ العهود ، صريعا غرام ، عواقب الغـرور ، الفـوز بعـد الفـوت ، الفوز بعد اليأس ، لنرى الطابع المميز لها سواء اكانت مؤلفة او مترجمة .

وفي السنة الرابعة[4] نجد اقصوصة مؤلفة بقلم الياس افنـدي الغضـبان ، عنوانها الجواهر وهذه الاقصوصة كتبت اكثر من مـرة في ذلك العصر شـأنها شـأن قصة العقد ، التي ترجمت لمرات عديدة ، ولســـت ادري هـــل اخـــذ الـــكاتب باقصوصة الجواهر هذه عن سومرست موم ام اخذها عن غـيره ام الفهـا تـأليفا ، فهي حكاية زوج يكتشف بعد وفاة زوجته ، ان الجواهر التي لديها ليست كاذبـة ،

---

١ ـ ص ٥٦٨ وما بعدها .

٢ ـ السنة الثانية ص ٦٥ وما بعدها .

٣ ـ ص ٦٩٤ وما بعدها .

٤ ـ ص ٢٤٩ : ٢٥٦ .

ولكن القصة لا تنتهي باكتشاف خيانتها كما هو معروف بل تنتهي باكتشاف توفيرها للنقود .

وهذه الاقاصيص جميعها ، كانت تنشر تحت باب الفكاهات مما يدل على نظرتهم اليها ، فهي ليست نوعا من الفن ، وانما هي للتفكهة ، حتى اذا اعوزتهم الحاجة في بعض الاعداد ، عن نشر اقصوصة ، نشروا مكانها شيئا من مستملح الاقاصيص العربية[1] .

وهم في سردهم القصصي ، يستوحون التراث العربي القديم الذي يمتاز بالتعميم ، حتى انك لا تستطيع ان تحس شخصية البطل ، وكأنه شيء خيالي غير موجود ، شأنهم في ذلك شأن الشعر في ذلك العصر ، عندما اخذ يعود الى القوالب العربية القديمة ، فزرقة السماء لون عيني الحبيبة ، ومن الثلج بياض بشرتها ، ومن الظبي جمال عنقها ، وعن الملائكة اخذت طهارة القلب والعفة .

اما مجال التوجيه الاجتماعي فيظهر في مثل اقصوصة « قتيل والديه » بقلم ابراهيم افندي بركات[2] تنتهي بمقتل البطل الذي دلله والداه ، فيقول لهما قبل ان يموت انتما اللذان قتلتاني .

ويلاحظ على هذه الصحيفة ان كل كتابها تقريبا ، من السوريين المهاجرين الى مصر ، وفي مقدمتهم لبيبة هاشم ، التي ستنشيء بعد سنوات (فتاة الشرق) فتسير مع مجموعة اخرى من المؤلفين السوريين في نفس التيار الذي سارت فيه (الضياء) ، وان كانت « فتاة الشرق » قد اهتمت اكثر من الأولى بالاقاصيص المؤلفة ، وتظهر في هذه المجلة اسماء خليل مطران ـ ككاتب

---

١ ـ العدد ـ السنة الرابعة ـ الضياء .

٢ ـ ص٤٧٢ وما بعدها السنة الثالثة .

اقصوصة ـ وسليم عبد الاحد ، وسلوى سلامة ، ومن امريكا يكتب جبران خليل جبران ، كما تبعث من لبنان ندرة نقولا بعض اقاصيصها . وتكتب لبيبة ـ « جزاء الاحسان »[1] قصة رجل فقير وامرأته الشابة التي استعملت في تلهية ابنائها عن الطعام نفس الحكاية القديمة ـ وضعت القدر على النار بدون طعام حتى ناما .

وأول الاقصوصة من حيث السرد القصصي ، أحسن من أقاصيص لبيبة السابقة ـ التي كانت تنشر في الضياء ـ ولكن الحوادث تستمر في افتعال ، شاب يقدم ما معه لينقذ زوج البطلة من الموت ثم بعد خمس سنوات يصطدم ابن البطل والبطلة التي أحسن إليها ، فيعفوان عنه جزاء إحسانه والغرض طبعاً منها أخلاقي تعليمي ، يظهر بعض التناقض في أخلاق الناس ، فبينما يتبرع الشاب بكل ما معه لينقذ زوج الفتاة ، إذا بشاب آخر يهمس في اذنها بكلمات غير لائقة ، وهو موقف غير طبيعي بالمرة ، لأن الفتاة فقيرة رثة الثياب لاتملك بضعة قروش ، تشتري بها دواء لزوجها وهو غني ميسور يمكنه أن يجد من هي خيراً منها .

ولنفس الكاتبة أقصوصة بعنوان الثرثار[2] تكاد تسير في نفس اتجاه القصة الماضية ، شاب أنقذ فتاة ، بعد أن ماتت أمها من نزيف أثناء حرب نابليون ، وبعد تسع سنوات تتزوجه الفتاة ، بعد أن تثقفت وذهبت إلى فرنسا ، وتزوجت ومات زوجها .

واليتيمان[3] ليست أحسن من سابقتها ، خيانة وهروب واختلاس ثم

---

١ ـ ص ٢٥ وما بعدها السنة الاولى سنة ١٩٠٦ ، ١٩٠٧ .

٢ ـ ص ٥٧ وما بعدها .

٣ ـ ص ٨٧ وما بعدها .

انتقام من الله ، وتلاقي الفتاة بأخيها ، وكل فعل شرير في الاقصوصة له جزاء عاجل من الله .

حتى خليل مطران يكتب اقصوصة بعنوان نايف وصالحه [1] لا تختلف عن سابقاتها ، من حيث الافتعال في الحوادث ولكنها تفترق عنها ، في ان البطل نسي فتاته ، وعندما ذكرت له قال ما احببت قط الا مهرتي ، بينما ظلت الفتاة حريصة على حبها حتى ماتت ، واصبحت قصتها فكرة ولحنا يتنقل بين مصر والشام في مقطع يردده الجميع .

نايف على الفتيان يا نايف
ابوك وعمك
همي وهمك

وليست بقية اقاصيصها بالتي تختلف عنها ، فـ « ان بعض الظن اثم » [2] تنتهي بانتصار الخير ، والصلاة شكرا لله على عدله وعجائبه .

وفي السنة الثانية نجد شهيد المروءة والوفاء [3] قصة فتى مخلص ، مات ضحية الشهامة والمروءة وفتاته جنت .

والاقصوصة التي تختلف عن هذه المجموعة بعض الشيء هي اقصوصة جبران « مضجع العروس » فبالرغم من انها تهدف الى ناحية تعليمية ، الا انها اقوى من سابقاتها ، فيها انتقاد شديد للعادات ورجال الدين في اسلوبه الشعري المليء بالاوصاف وضرب الامثال .

ولم تهمل المجلة المجتمع ، فبالرغم من ان اكثر تلك الاقاصيص وان كانت تعالج بعض مشاكله ، فان على القارىء ان يستنتج الغرض منها ، ولكنها

---

١ ـ ص ٢٤٩ وما بعدها .
٢ ـ ص ٣١٣ وما بعدها .
٣ ـ ص ٣٢ وما بعدها .

في السنة الرابعة تنشر اقصوصة شهيدة الهيئة الاجتماعية عن امرأة غرر بها ففقدت طهارتها ، ثم حاولت الاستجداء ، فلم يعطف عليها احد فاضطرت للسرقة ، وتنتهي بمطالبة المجتمع بانشاء الجمعيات الخيرية لايواء امثال هذه البائسة .

كما انها في فبراير من نفس السنة تنشر مقالة او حكاية بعنوان (حرروها - حرروها) فتاة مأساتها انها حرم عليها الحب . . . وتنتهي بنصيحة في تحرير المرأة .

ويستمر التياران ، تيار القصص العاطفية الرومانسية وتيار الاقاصيص الاجتماعية ، او تيار استغلال القصة للمقالات والمواضيع الاجتماعية .

فنقرأ في « الطغراء »[1] اقصوصة « زهرة السم » والكاتب « ابراهيم النجار » يقدم لنا في بدايتها الخلاصة او النتيجة ، فيقول انما هي سيرة حياة عشيقة سيئة البخت سوداء الطالع عاشت بالحب والحب اماتها ، هذا الحب الذي تغلب على ادوار كثيرة ، فكان حب الدين فحب الحرب فحب الوطن .

فالحب تخصيصا وتوحيدا فبهذا عاشت صاحبة هذه السيرة وبه ماتت شهيدة « ثم يبدأ في قصة فريدة التي كانت تغزل القطن لاحد التجار لفقرها ، وفريد ذي الطلعة البهية الذي كان يأتي لها بالقطن ، ويسرد لنا كيف احبها ، وكيف كانا يذهبان الى الحديقة حيث تحنو عليهما الازهار والاطيار وقد فرش كل منهما ذراعه لحبيبه ، وفي الحديقة امسك فريد زهرة بفمه ، فأحس بألم في امعائه فمات وزودته فريدة بالقبلة الاخيرة ، وعندما فحصت جثته قال الطبيب انه مات مسموما واتهمت فريدة بقتله فصحبتهم الى الحديقة لتمثل منظر موته ، فأخذت وردة مثلما فعل فماتت هي الاخرى .

أما خيال الظل[2] فانها تمثل الجانب الآخر ، احسن تمثيل ، فكثير من

---

١ - العدد ٣ سنة ١٩٠٣ .

٢ - راجع العدد ١٥ السنة ١٩٠٧ .

المقالات السياسية فيها تكتب على شكل اقاصيص ، ولنضرب لذلك مثلا باقصوصة «صاحبة الختم الاحمر» بقلم م . ط . حق ، فانها تنقل لنا منظر انسان كان يجلس في فندق الكونتنتال ورأى اثنين من الانجليز ، تحدث احدهما عن اتهام المستر ويس بالكذب ، فاتهمه الآخر بنفس التهمة ، ثم حضر الامير (حيدر مع علي بك صديقه) وكانا يتناقشان في الازمة المالية ، ثم انهى الامير الحديث بأن قرأ على صديقه قصيدة شعرية .

ثم اخذ يستمع لاثنين يتحدثان في السياسة ، ويقارنان بين غورست وكرومر ، ويستمر الرجل في عرض حديثه بهذه الصورة ، وتبحث عن الاقصوصة اين هي فلا تجدها .

وتشترك بعض الاسماء اللامعة في هذا النوع من الاقاصيص مثل نقولا حداد ، محمود عزمي ، طه حسين ، أ . الزيات ، ح . محمود وغيرهم ، وكان ميدانهم جميعا مجلة (السفور) ما عدا الاول فقد كان يكتب في اللطائف المصورة هو وآخرون ، واللطائف المصورة تكاد تكون ذات اتجاه واحد وهو الاقاصيص ذات الطابع المثير ـ مغامرات ـ ودسائس ـ وانتقام الخ ـ ولنقولا حداد قصب السبق في هذا الميدان فهو مغرم بهذا النوع سواء في مترجماته كما رأينا ، او مؤلفاته التي سنعرض هنا طرفا منها .

فمرة يكتب لنا اقصوصة بعنوان فرار السلطان عبد الحميد[1] وقعت حوادثها في بلاط السلطان عبد الحميد اثناء اقامته في منفاه في جزيرة الامراء في بحر مرمرة ، وهي قصة مؤامرة وهمية تدبرها عوني الحارس ، وحسن له الهرب من اجلها ، والسبب في ذلك امرأة اسمها نعمت ، وبعد مغامرة وضحك على السلطان وخداعه يتزوج عوني من نعمت .

وهناك عدة اقاصيص ، لا داعي لاستعراض حوادثها فجميعها في اتجاه

---

١ ـ ص ٣ ، ٤ ، ١٠ ، في ١٣ سبتمبر سنة ١٩١٥ .

واحد ، يستغل فيه الكاتب حادثة تاريخية وقعت بالفعل ، ويضيف اليها كثيرا من خياله زاعما في كل مرة ، انه قد اتصل براوية معلومات غريبة ومدهشة[1] .

وهكذا يحدثنا عن مقدمات الخيانات التي حدثت في الجيش الروسي ، وعن محاولة اغتيال انور باشا . ويشاركه في هذا النوع من الاقاصيص سليمان افندي سليمان ، وان كان لا يزعم ان هناك راوية يحدثه بالوقائع المدهشة الغريبة ، وهو يختار ابطاله من طبقة اخرى غير طبقة نقولا التي لا تضم الا الخلفاء ، والزعماء ، ونعني بها طبقة الناس العاديين ، وان كانت ايضا حوادثها تشابه حوادث قصص الحداد .

فهو مثلا يكتب اقصوصة بعنوان « مهرب الذخائر »[2] عن شاب كان يعيش في الاستانة نشأ يتيما ذكيا ، تزوج وانجب طفلا ثم سيق الى الحرب مع الالمان ضد الحلفاء ، فذهب مكرها ، لانه يعتقد ان الالمان اوقعوا تركيا في عدة مآزق ، ويزيد الطين بلة ، ان احد الالمان يحاول الاعتداء على زوجته ويقتل طفله ، فيقرر الانتقام منهم ، فيخون وطنه ، زاعما ان هذه هي الطريقة الوحيدة لتخليص تركيا من الحرب بنفاذ ذخيرتها وعدم وصول امدادات جديدة اليها ، ثم يذهب فيقتل السفير الالماني ، والضابط المعتدي على ابنه ، والحارس ، حتى اذا تخلص منهم جميعا ، عاد الى منزله فقتل زوجته وانتحر ، لانه يتقين من انهم لا بد سيعرفون حقيقة الامر ، فيلاحقونه فقرر ان تكون وفاته بيده هو لا بيدهم .

أما مجلة (السفور) فاهم ما يميزها ان بها بابين ثابتين تجدهما في كل عدد تقريبا هما بابا المجتمع والادب ، والفرق بين هذين البابين ضئيل للغاية فكلاهما يعرض مشاكل اجتماعية في شكل اقاصيص ، وان كان باب المجتمع كثيرا ما ينهي الاقصوصة بعظة او نصيحة اجتماعية بخلاف باب الادب الذي يضمن الحكمة

---

١ ـ ص ٣ في ١٥/١٠/١٨ وفي ١٥/١٠/١١ .
٢ ـ ص ٣ ، ٤ ـ ٢٤ يناير سنة ١٩١٦ .

والعظة في ثناياه بدون ان يصرح بهـا ، وان كان ايضـا في بعض الاحـايين يقـولها صريحة واضحة ، والمشاكل التي تناقشها المجلة مختلفة متعـددة تتنـاول كثـيرا مـن نواحي الحياة ، فنجد اقصوصة تعالج مشكلة الفقـر بعنـوان صريـع الـرغيف[1] ومشكلة المرأة نجدها في حفظ السر ، وربات الخدور[2] ومشكلة الريف تجد صـداها في المجلة ، وما يعترض المسافر في طريقه الى الريف من مشاكل ومضايقات[3] .

والذي يلاحظ على هذا النوع من المقالات او الاقـاصيص ، انهـا لا تهتم ايما اهتمام بالفن القصصي ، فليس لها حوادث مركزة وليست شخصياتها منقحـة او مرسومة بعناية حتى عناوينـها تشير الى انها مواضيع اجتماعية وليسـت اقـاصيص ـ مثل ايهما اولى بالتحجب وجه المرأة ام صوتها[4] .

وسنكتفي بعرض اقصوصة واحدة ، لبعض كتاب هذه المجلة مما يبدو فيها انها قريبة من الاقاصيص الفنية على الاقل من حيث وجود حادثة فيهـا لهـا بـداية ولها نهاية محدودة ، بغض النظر عن قيمة تلك الحـادثة او اهميتهـا مـن النـاحية الفنية .

وسنختار لمحمود عزمي « ملك وشيطان »[5] وهي حكاية فتاة زوجها ابـوها شيخا كبيرا اتضح انه عشيق امها ، وعندما مرضت زارها طبيب شـاب فـاحبته ، وعلم زوجها بخبرهما فقتل الطبيب وطردها هي من البيـت ، وكان ابـواها قـد مـاتا سابقا فالقت بنفسها في قناة صغيرة ومعها طفلها .

ويعلق هو على ذلك بقوله « وستمثلها الايام ما دام امر البنت المصريـة ، حتى قلبها بيد ابويها . . » أما أ . الزيات ، فنجد لـه « ضـحية السـيل »[6] وهـي

---

١ ـ عدد ٣٧ ص ٢ سنة ١٩١٦ .

٢ ـ عدد ٤٠ ص ٣ ، ٤ سنة ١٩١٦ .

٣ ـ عدد ٤٢ ص ٣ وما بعدها .

٤ ـ عدد ٥٠ ص ٢ .

٥ ـ ص ٧ ، ٨ عدد ٦٦ سنة ١٩١٦ .

٦ ـ ص ٥ ، ٦ عدد ١٩٣ السنة الرابعة سنة ١٩١٩ .

ليست احسن حالا من سابقتها ان لم تكن اسوأ تعتمد على اثارة الشفقة في نفوس القراء ، بدون اي تحليل او تسلسل منطقي ، وهو يعرضها لنا على انها تمثل حياة الفتاة المصرية . . التي يصفها « بأنها خرقاء جاهلة لا ترتزق بابرتها ، ولا تكتب بقلمها كما يفعل من تجاورهن من بنات الشام وفتيات اليهود » .

والقصة حكاية فتاة مات زوجها فاشتغلت غسالة ثم « انقض عليها طالب من طلاب الفاحشة ورواد المنكر قد نزغ له شيطانه وامتدت في الغي اشطانه » .

وفي يوم من الايام مرضت ابنتها التي تجمع الاعقاب . . . وبعد ايام هطلت السماء حتى اصبح السكان بين طائر وواقع ، والمساكن بين ساجد وراكع ، الخ . وخرت المرأة على ابنتها مغشيا عليها ، وخر عليهما السقف فقبرهما معا . . .

والزيات الى جانب تفاهة حكاياته ، وسذاجة عرضه لمشاكل ابطاله ، لا يزال يتشبث بالبديع ، وخاصة بالسجع والطباق . أما الدكتور طه حسين ، فان الذي يهمنا في الاستدلال به هو ان قصته التي نشرت في هذه المجلة دلت على اختلاط الفكرة في اذهان اصحابها بين الادب والمجتمع ، فهي قد نشرت له في باب الادب[1] بداية لقصته الطويلة « خطبة الشيخ » ، ثم استمرت تنشر بقاياها في اعداد متتالية حتى اذا كان العدد ٧٦ ، نشرتها تحت باب الاجتماع ، ولسنا بسبيل تحليلها فهي اقرب ما تكون الى الروايات ، وان كانت تعالج بعض مشاكل المجتمع .

وهذه المجلة ـ في مناقشاتها للمسائل الاجتماعية ـ تناقش كثيرا من موضوعات الساعة ، ففي اقصوصة عبد العليم[2] تناقش مشكلة شاب شرقي ، ركب باخرة في طريقه الى فرنسا ، وتبين لك افكاره حول المرأة ، والسفور ، واخطاؤه

---

١ ـ ص ٥ ، ٦ عدد ٧٢ سنة ١٩١٦ .

٢ ـ ص ٤ ، ٦ عدد ٥٥ سنة ١٩١٦ .

مع السيدات ، لانه لا يعرف « الاتيكيت » ولم يتعود على التحدث مع النساء .

كما انها قد تناقش بعض الافكار العامة في مثل « حب النساء » . . وحب المال[1] فتعرض لنا قصة الشيخ سالم الذي كان ربعة في الرجال ممتلىء الجسم ، تكاد قوته تمحو آثار الشيخوخة الظاهرة في شعره . . . الخ - حتى تنهيها بحكمة ، ان الذي يحب المال والنساء يحرم منهما جميعا كما حرم الشيخ سالم .

كما انها تناقش بعض النقائص في الفرد مثل الغفلة[2] وتقول لنا فيها صراحة « الا قاتل الله الغفلة في جميع مظاهرها وبارك الله في الصراحة في جميع اشكالها ، الا فلننظر بعيوننا لا بعيون الناس ونفكر بعقولنا لا بعقولهم ، حينذاك نجري في طريق الرقي » .

وبجانب الافتعال الذي رأينا بعض مظاهره في اقاصيص الحب ، فأن اسلوبها ايضا خلاف حوادثها ومعالجتها الموضوع تبدو ساذجة جدا ، اشبه ما يكون باساليب طلبة المدارس الذين يتحدثون عن الغدير والماشية ، والسماء وخرير الماء وعن دمعة الحب الاول ، التي يشعر بها المحب على وجنته عندما ينظر الى حبيبته[3].

والملاحظة الاخيرة التي نحب ان نذكرها قبل ان نختم الحديث عن هذه الصحيفة وما كانت تقدمه من اقاصيص ، هي انها نزعت في بعض ما تقدمه نفس المنزع الذي كانت تنزع اليه المقامة في طوريها - عند بعثها اول الامر - ثم عند تطورها في الدور الثاني كما عرضنا ذلك .

فهي تقدم لنا مقالا عن الموسيقى ، كما كانت تقدم مقالات عن النحو ، والشريعة ، وتعرض ذلك وكأنه حكاية ، يتطور فيها الحديث الى قراءة من كتاب

---

١ - ص ٣ - العدد ٥١ .

٢ - ص ٧ ، ٨ عدد ١٨٦ السنة الرابعة سنة ١٩١٩ .

٣ - ص ٧ ، ٨ عدد ٦٩ سنة ١٩١٦ .

عن الموسيق ثم مناقشة ـ حول رأي العلماء في الموسيق والشعر ـ بقلم ح . محمود[1] .

اما الناحية الاخرى فهي تقديم حكاية اشبه بالرواية ، على انها مذكرات عقيلة مصرية ، بقلم محمد فؤاد محمود ، وقد ذكر عنها انها يمكن ان تقرأ متصلة ، او منفصلة بعد ان جعلها في فصول صغيرة اي من الممكن ان تقسم الى مجموعة اقاصيص او حكايات ، في نفس الوقت الذي يمكن أن تقرأ فيه كرواية ، وهي ليست لها قيمة فنية تذكر ، اذ انها مجرد سرد لحكايات وحوادث فيها انتقاد لمعاكسات الشبان للفتيات في الملاهي ، وغير ذلك من المواضيع الاجتماعية[2] .

وآخر صحيفة سنتحدث عنها قبل الانتقال الى المجموعات القصصية هي صحيفة (الزمان) وسنعرض منها حكايتين ، او اقصوصتين ، الاولى باسم « آلام واحلام » بقلم محمد امين احمد[3] وهي عبارة عن حلم حول الخمر ومضاره « حرام عليكم يا بني النيل الا تؤسسوا جمعيات تحارب شرب الخمر والسموم وتعاطي الحشيش والافيون » .

آه كم ينام ابناؤك ايتها الامة في مضاجع الهلاك ؟ .

وكم يقيمون على الضيم والاذى ؟ وكم يرتعون في مراتع الغي ؟ .

أما الثانية بعنوان « اين الرحمة » ؟ بقلم م . أ . شاهين[4] وهي حكاية اجتماعية ايضا تعرض لنا قصة شخص ذهب ليحضر قابلة لزوجته فاشترطت عليه مبلغا مضاعفا ، ثم مات الجنين واخرجوه بعملية ، والمشكلة هي ان الرجل ليس معه نقود وربما شكته القابلة ، فيعقب هو على ذلك بقوله : « لو كنت قاضيا لقررت ادانتها « رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون » .

---

١ ـ ص ٤ ، ٥ عدد ٢١٣ سنة ١٩١٩ .

٢ ـ ص ٧ ، ٨ عدد ٢٠٢ سنة ١٩١٩ .

٣ ـ ص ٢ : ٤ العدد ٧ السنة الثانية ١٩٢٢ .

٤ ـ ص ٢ ، ٣ عدد ٩ السنة الثانية ١٩٢٢ .

المجموعات القصصية

١ - العبرات - للمنفلوطي[1]

المنفلوطي شخصية من الشخصيات التي ظلت ردحا طويلا من الزمن ، تسترعي انتباه القارىء حتى طبعت كتبه طبعات عديدة في سنوات متفاوتة ، والسبب في ذلك ارتباطه بالذوق الشعبي ارتباطا كبيرا في معالجة مواضيع اقاصيصه ، واعتماده على الرومانسية في تصوير ابطاله وجو حياتهم ، مع جمال اسلوبه ، وحشوه بكثير من الكلمات الجميلة العذبة ذات الرنين الساحر ، وكثرة اوصافه وانتقاء جمله .

ولا تختلف اقاصيصه كثيرا عن الاقاصيص التي سبقته وان كانت اكثر رومانسية منها ، كما ان الناحية الاجتماعية ومعالجة شؤون المجتمع ، ومناقشة بعض الآراء التي كانت تصطرع على مسرح الحياة آنذاك ، كانت طابعا مميزا لاقاصيصه ، وهو يستغلها احسن استغلال - بالنسبة لعصره - لعرض افكاره عن الحياة الجديدة التي لم يكن هو من انصارها في شيء ما ، فهو عدو لكثير من الظواهر الجديدة ، محافظ على القديم متمسك به .

واذا كان ثمة شيء يميزه عن كتاب الاقصوصة السابقين والمعاصرين له فهو المنزع الحزين المتألم ، فلم اقرأ له اقصوصة واحدة انتهت نهاية سعيدة ، بل على

---

١ - ط رابعة سنة ١٩٢٢ .

العكس كانت كل اقاصيصه تنتهي بموت ابطالها ، واحيانا يموت فيها اربعة دفعة واحدة كما لاحظنا في مترجماته .

وربما كان ذلك راجعاً لانتشار النزعة الرومانسية التشاؤمية في ذلك العصر ، ولسبب آخر ذكره هو ، راجع الى طبيعته وميوله الخاصة ، فقد ذكر في مقدمة كتاب النظرات [1] بأنه كان من صغره يعجب بشعر الهموم ومواقف البؤس والشقاء وقصص المحزونين والمنكوبين خاصة « كأنما كنت ارى ان الحياة موطن البؤس والشقاء ، ومستقر الآلام والاحزان ، وان الباكين هم اصدق الناس حديثاً عنها » .

واستعراض بعض اقاصيصه التي وردت في العبرات يوضح لنا كيف يحشر آراءه الاجتماعية في اقاصيصه فهو يتحدث عن المدرسة مثلا « المدرسة في هذا البلد حانوت قاسي لا تباع فيه السلع نسيئة ، والعلم في هذه الأمة مرتزق ، يرتزق منه المرتزقون لا منحة يمنحها المحسنون » [2] .

كما انه يتمثل بابيات من الشعر على الطريقة الشعبية ، التي يتخلل فيها السرد القصصي بعض ابيات من الشعر تعبر عن موقف البطل وعواطفه في القصة [3] .

أما اقصوصة الحجاب ، فهي اقصوصة تجاوزاً حتى بالنسبة لمقاييس ذلك العصر الذي عاش فيه المنفلوطي ، لانها في الحقيقة مقال اجتماعي في قالب قصصي ، كتبه المؤلف مساهمة منه في الحديث عن الصراع بين القديم والجديد الذي اشرنا اليه في الفصل الاول من الكتاب ، اذ انها تعالج موضوع الحجاب والكاتب من المتحمسين له ، وفيها نجد البطل احد دعاة السفور المدافعين عنه في

---

١ ـ ص ١٥ ، ٢٠ ط سابعة .
٢ ـ ص ٢٠ .
٣ ـ ص ١٨ .

كل مكان ، وهو يترك زوجته على حريتها تقابل اصدقاءه وتجتمع بهم كما تشاء ، حتى كانت النتيجة الحتمية التي يسعى اليها المؤلف ، اذ خانت الزوجة البطل مع اقرب اصدقائه اليه ، وهذه بعض مضار السفور !.

ولم يكتف المؤلف بذلك بل لقد انهى الاقصوصة او المقال على طريقته الدرامية ، فجعل البطل يموت كمدا بعد اكتشاف خيانة زوجته .

والكاتب لا يعطف على بطله ولا يرثي له بل ليكاد يشمت منه ، ويقول صراحة ان الامة كانت على باب خطر عظيم من اخطارها ، فتقدم هو امامها الى ذلك الخطر وحده ، فاقتحمه فمات شهيداً ، فنجت بهلاكه[1] .

واقصوصة (الهاوية) لا تختلف عن سابقتها من حيث المعالجة الاجتماعية لمشاكل العصر ، وفيها ينشر الكاتب احدى حكمه التي تعود ان يقدمها في كل اقصوصة « ان طريق الشر واحدة فمن وقف على رأسها لا بد له ان ينحدر فيها حتى يصل الى نهايتها »[2] .

وهي تعالج مشكلة السكر والعربدة ، والنتيجة التي يصل اليها كل من سار في هذا الطريق .

أما الزوج في القصة فلم يجد له المؤلف نهاية احسن من ضياع عقله ، فاقتيد الى مستشفى المجاذيب .

« فوا رحمتاه له ـ ولزوجته الشهيدة ـ وطفلته الصغيرة ولاولاده المشردين البؤساء »[3] .

---

١ ـ ص ٨٧ـ العبرات .
٢ ـ ص ١٢١ .
٣ ـ ص١٣٧ .

٢ ـ ما تراه العيون ـ لمحمد تيمور[١]

استطاع الاستاذ محمد تيمور ، بسبب اطلاعه على بعض القصص الغربية اثناء زيارته لفرنسا ان يتخلص من اثر الحواديت الشعبية ، والمعالجة المفتعلة ، والحوادث الكثيرة المثيرة ، في اغلب قصصه ، وان كانت بعض هذه الظواهر تطل برأسها احيانا .

ومع هذا فلم يستطع ان يتخلص من استغلال الاقصوصة للتوجيه الاجتماعي ، وهو اذا تخلص منه في بعض الاقاصيص ، وتخلص من المؤثرات الشعبية فانه يعجز عن ان يضع لاقاصيصه فكرة موحدة او هدفا يمكن ان يصل اليه القارىء بعد الاطلاع على تلك الاقاصيص .

فاقصوصة في القطار مثلا[٢] مجرد موقف وليس حادثة لها بداية وتطور ونهاية .

أما اقصوصة « عطفة ال . . . منزل رقم ٢٢ »[٣] فقد كتبت لتبين ان الرجل المنحل اخلاقيا والذي يجري وراء النساء ، ويزعم في نفس الوقت العفة لزوجته واهله ، يؤتى من نفس الطريق الذي يأتي منه نساء الغير .

وتسير في نفس الهدف الاخلاقي التوجيهي اقصوصة « بيت الكرم »[٤] فهي تحكي حياة شاب ورث عن ابيه بعض المال فالتف حوله نفر من رفاق سوء ، الذين يتذللون له حتى يقضي لهم حاجاتهم ثم يفلس ، وهو يغالي في تصوير خضوعهم له وتقبيل يديه وقدميه .

ويعقب هو على ذلك ـ بقوله « هذا طريق واحد من عدة طرق يسلكها

---

١ ـ ط ثانية سنة ١٩٢٧ .

٢ ـ ص ١٦ : ٢٨ كتبت سنة ١٩١٧ .

٣ ـ ص ٣٠ : ٣٨ .

٤ ـ ص٤٠ : ٥٠ .

هؤلاء الاغنياء لقتل وقتهم وضياع ثروتهم » .

وهي تعيد الى الاذهان مقامة لعبد الله فكري ، وان كان عبد الله اكثر تفاؤلا منه ، فقد اعاد الى الشاب ثروته ومجده ، وجعله يستقيم آخر الامر ويعود الى سيرته الصالحة ، كما تعيد الى الاذهان ايضا معالجات عبد الله نديم في مقالاته الاجتماعية وخاصة « هف طلع النهار » لهذا الموضوع ، والفرق بين الاثنين بسيط .

وحفلة طرب[1] أشبه باقصوصته الاولى ، وان كانت اكثر اتقانا من حيث وصف اشخاصها ، وتقديم صورة واضحة لهم ، وهي تشترك معها في انك لا تستطيع ان تحس فيها بما يريده صراحة ، وهو يختمها بقوله « هذا ضحك وابتسام يتخللها غناء ، وذلك ردا على ملاحظة شخص يقول هذا غناء يتخلله ضحك وابتسام .

وافشل اقاصيص هذه المجموعة هي « صفارة العيد »[2] فقد عالج فيها مشكلة طفل يتيم معالجة رومانسية لا طعم لها ، ولم يستطع من خلال ذلك ان يثير شفقة القارىء على الطفل كما انه رصعها ببعض الجمل التقريرية التي لا ينبغي ان تحشر في الاقاصيص مثل « واين حنو زوجة العم من حنو الام » .

ومثل « وتلك لعمرى موسيقى تبعث السرور في القلوب وان كانت غير شجية لتنافرها » .

وهو ينهيها نهاية مضحكة ، فبعد ان يذهب الطفل لينام تحت الشجرة ، بعد مشاجرة مع الاطفال ، يستيقظ بعد هنيهة فيجد الكلب الذي القى اليه بقطعة الحلوى جالسا عند رأسه يلحس دموعه بلسانه الظاميء .

كما انه يعرض لنا فيها صورة ستتكرر في اقاصيص محمود من بعده -

---

١ - ص ٥٢ : ٦٠ .

٢ - ص ٦٢ : ٧٠ .

صورة من خرافات العامة ـ حول تجمع طابور من الرجال والنساء حول قبر شيخ وهمي ، يقرءون الفاتحة ، وهم ينظرون الى السماء . ويتضح هدفه الاجتماعي اكثر في مجموعة من الحكايات سماها خواطر قصصية[1] وقد احس هو انها خواطر اجتماعية اكثر منها اقاصيص فنية ، فلم يسمها اقاصيص ، وقد ملأها بكثير من الحقائق الهادفة للخير الاجتماعي .

« والعمل سبيل الارتقاء الى الدنيا التي يسمو فيها الانسان لذروة الشرف او يموت فيها ميتة الابطال[2] » « حرام ان يعاقب الابرياء اما المجرمون فما زالوا يعيثون في الارض فسادا[3] » .

« هذا هو منظر من لا يخشى الله ولا الناس ، منظر المتفرنج ، منظر العضو الاشل ، في جسم الامة المصرية[4] » .

٣ ـ احسان هانم ـ لعيسى عبيد[5]

عيسى عبيد يكاد يكون اول كاتب نلتقي به في هذا العصر ينتقد اقاصيص عصره ، ويهاجمها مهاجمة تدل على ان له حسا فنيا ومعرفة بما يراد من الاقاصيص .

واستعراضنا للنقاط الاربع التي بنى عليها نقده يوضح لنا الامر .

١ ـ ينتقد الكتاب الذين يجعلون المحب يخاطب حبيبته بعبارات لا خصوصية فيها

---

١ ـ ص ٨٩ الخ.
٢ ـ ص ٩٣ .
٣ ـ ص١٠٠ .
٤ ـ ص ١٢١ .
٥ ـ مطبعة رمسيس بالفجالة ـ بدون تاريخ طبع وردت دار الكتب سنة ١٩٢٢ .

كتصويره لها جمال الطبيعة وتغريد العصافير، ونشيد الحمام، وخرير المياه، وغير ذلك من السخافات الصبيانية والاحساسات المريضة[1].

وقد لاحظنا خلال حديثنا عن الاقاصيص التي كانت تنشر في الصحف انها تستوحي التراث العربي القديم، الذي يتصف بهذه الصفات التي استعرضها عيسى عبيد.

٢ ـ وهو ينتقد مذهب الوجدانيات «الاديالسم» ويدعو الى مذهب الحقائق «الريالسم»[2].

٣ ـ كما انه ينتقد انعدام التحليل النفسي وضعف ملكة الوصف والتصوير[3].

٤ ـ واخيراً هو ينتقد كتاب العهد الاول الذين يملئون قصصهم بالحكم والآراء «ايها القوم ثوبوا الى رشدكم، ايها الناس اقلعوا عن الرذائل، ايها الناس تمسكوا بالفضائل» تلك المناداة العقيمة التي لا تؤثر ادنى تأثير في نفس القارىء[4].

وقد كان من المتوقع بعد ان نقرأ هذه الملاحظات القيمة التي تدل على فهم كما اسلفنا ان يتحفنا (عيسى عبيد) بعدد من الاقاصيص اقل ما توصف به انها تخلت من هذه النقائص التي عددها هو في وضوح، ولكن الذي حدث غير ذلك فقد فشل في تطبيق المبادىء التي رسمها، ويبدو انه كتبها بعد ان الف اقاصيصه فلم يستطع الاستفادة منها.

كما اننا سنلاحظ انه لم يستطع فهم بعض الملاحظات التي كتبها هو.

فأقصوصة «احسان هانم»[5] عبارة عن رسالة من احسان هانم الى صديقتها دولت تشرح لها فيها كيف طلقت من زوجها الثاني، هذه هي الاقصوصة

---

١ ـ ص ٤.
٢ ـ ص ٧، ٨.
٣ ـ ص ٦.
٤ ـ ص ١٠.
٥ ـ ص ١٩ : ٢٧.

ليس الا وما احتوته ، فهو مما حاول عبيد ان يخلص منه الاقصوصة العربية .

ويكفي ان نقرأ هذه الفقرات من هذه الاقصوصة .

« وهو على شاكلة عدد عظيم من رجالنا لا يعرفون معنى للحب تلك الشعلة السماوية التي تطهر الانسانية من ادرانها . . . ذلك العماد المقدس المتين الذي تقام عليه الاسرة ، نعم انهم يجهلون الحب الشريف ويعتبرون ان المرأة وجدت متاعا لهم »[1] .

ومرة اخرى تقول البطلة « انى لنساء العهد القديم ان يلحقن بنفسية فتيات العهد الجديد تلك النفسية الوثابة الى الحرية الثائرة على النظام القديم الذي يقضي على سعادة المرأة واستقلالها . . . انى لهن أن يعرفن مثلنا الاعلى الذي نتيجة رقي تربيتنا وسمو مداركنا ورقة شعورنا وخلاصة تطورنا ونهضتنا »[2] .

ومرة ثالثة يقول « اني المس هنا يا دولت مرضا من اعظم واخطر امراضنا الاجتماعية فان الشباب المصري حينما يستيقظ قلبه البكر يهب مطالبا بمخلوقة طاهرة مثله الخ »[3] .

ويستمر بعدها يتحدث عن الحجاب والتقاليد الاجنبية ـ وهكذا ملأها بالحكم والآراء التي انتقد ان تتضمنها الاقاصيص .

أما اقصوصة « انا لك »[4] فهي قصة فتاة كاد ان يفوتها قطار الزواج لانها لم تحب احدا والشخص الوحيد الذي يحبها لا تميل اليه ولكن امها تغريها بان تتخلع له حتى يظن انها تحبه فيتزوجها ففعلت .

والذي يلاحظ على هذه الاقصوصة بشكل واضح ، اصراره على الشرح

---

١ ـ ص ٢٢ .
٢ ـ ص ٢٣ .
٣ ـ ص ٢٣ .
٤ ـ ص٢٨ : ٤١ .

والتعليق اثناء السرد القصصي ، مما يعوق ذهن القارىء عن التركيز ، وعن الاستنباط بنفسه ، وهو يظن انه اذ يفعل ذلك ، يقدم للاقصوصة ما افتقرته من التحليل ـ وهذا يدل على مدى فهمه له فهو يتحدث عن الغيرة « تلك الغيرة القوية المؤلمة القتالة التي تشعر بها »[1]. وعن الضجر ذلك الضجر الاسود الخانق القتال الذي ينتاب احيانا الفتيان والفتيات[2].

كما يتحدث عن الحياء « ذلك الحياء العذري الذي كاد يتقلص من وجنات فتياتنا اللواتي سمتهن الحضارة العصرية[3].

ثم يعود مرة اخرى للحديث عن شبابنا الذين سممتهم المدنية العصرية[4].

كذلك يظهر لنا جليا ان بعض حوادثها ليس منطقيا ، فهذه الاسرة لا يكفي مرتب عائلها حاجيات المنزل الاساسية ومع ذلك استطاعت الأم ان تقتر لتشتري الملابس الفاخرة ، والاثاث الثمين والحلوى والمشروبات ـ بل واشترت بيانو لابنتها .

واظن ان مرتب اسرة متوسطة لا يمكن ان تقتر منه ، وهو لا يكفي لحاجيات المنزل الاساسية ، فيتسع فجأة لكل هذه الكماليات ، كما ان انقلاب الفتاة من انسانة خجول طيبة النفس صريحة لا تحس بأي عاطفة نحو فؤاد وتصرح هي بذلك ـ هذه الفتاة تنقلب لمجرد ملاحظة من والدتها ـ الى ممثلة لادوار الخلاعة النسائية على حد تعبيره .

واخيرا نرى حرصه على ان يبدو فاهما للتحليل النفسي ، يضيف اشياء كثيرة الى علم النفس مما يدل على انه لا يعرف عنه شيئا « الفت سنة ١٩١٨ » .

---

١ ـ ص٢٨ .
٢ ـ ص ٢٩ .
٣ ـ ص ٣٠ .
٤ ـ ص ٣٢ .

وثالثة اقاصيص عبيد التي سنستعرضها هي مأساة قروية[1] وقبل ان نبدأ في تحليلها نحب ان نذكر انه وهو الذي ينتقد مذهب الوجدانيات ويدعو الى مذهب الواقعية ـ هو نفسه لا يتحدث الا عن الحب الجنسي الشريف او الحب الشريف ؟؟ .

واول هذه الاقصوصة جميل ، فهو صورة واضحة مميزة لقرية في الريف بكل ما يضطرب في احشائها ، ولكنه مع الاسف يسرع بحوادثها في النهاية ، فيتدخل عشيق للفتاة الريفية ـ فيتصدى له ابن عمها ـ فيضربه بالرصاص ثم تتفق الاسرة على القاء الفتاة في النيل ، وهكذا تعود النزعة الرومانسية مرة اخرى .

كما انه يتحدث احيانا عن الفتى على انه يحب الفتاة حبا جنسيا ، ومرة ثانية يقول على لسانه انها اول فتاة احبها بخلاف هوانم مصر .

والملاحظة الاخيرة هي الملاحظة العامة على اقاصيصه ففيها ايضا كثير من الآراء مذكورة صراحة[2] .

والاقصوصة الاخيرة التي سنتحدث عنها هي النزعة النسائية[3] وهي ذات نزعة رومانسية طالما شكا منها المؤلف ، فتاة يحبها شاب وتحب هي آخر ، فيمرض الاول ، وتترك هي الاثنين ثم تتزوج ثالثا .

وطريقة معالجتها متكلفة فهو يكتب لنا شبه بحث مستقل عن الغيرة وانواعها الثلاثة ورأي علماء النفس في ذلك كما انه يبالغ ـ على طريقة الوجدانيات ـ في مرض البطل المحب فيجعله طريحاً ، يهذي ويهجم على امه يريد خنقها ، ثم بعد ابلاله من التيفوئيد يصاب بالزلال وخفقان القلب والروماتزم الحاد ، وينهيها

---

١ ـ ص ٤٢ : ٦٠ .

٢ ـ ص ٤٨ ، ٥٠ .

٣ ـ ص ٦١ : ٧١ .

بحكمة « ان المرأة لا تجلب الى الانسان اللذة والسعادة ولكن الاضطراب والوساوس السوداء والشقاء[1] .

٤ ـ سخرية الناس ـ لمحمود طاهر لاشين

اهم ما يتميز به لاشين من خلال هذه المجموعة من الاقاصيص .ـان له قدرة فريدة على رسم شخصياته ، بدقة حتى لتكاد تتخيلهم امامك ، وهذه الميزة تظهر امامنا لاول مرة . كما يلاحظ ان بعض صوره وتعبيراته معقدة الى حد كبير ، كما انه متفلسف في اوصافه وعرضه لاشخاصه .

ويمتاز ايضا بانه ساخر سخرية مريرة حين يقدم النماذج البشرية ، ويبدو انه متأثر بتشيخوف الذي اقتبس منه قصة الانفجار التي عرضناها سابقا ، ولكن تشيخوف هادىء في سخريته ، لا يفتعل نهايات لقصصه ولا يقدم لها حلولا مفاجئة .

لم يستطع ان يتخلص من تسخير القصة للهدف الاجتماعي . وتحس وانت تقرأ بعض فصول اقاصيصه وكانها اقاصيص اخرى منفصلة عن الهيكل العام للاقصوصة ، وسنستعرض هنا بعض اقاصيص هذه المجموعة لتوضيح ذلك .

فالاقصوصة الاولى سخرية الناس ، يتحدث فيها عن مختلف انواع الاجسام كنموذج لتفلسفه ـ وخروجه عن الموضوع « من الاجسام جسم يضغط فيكسر وجسم يضغط فلا يكسر بل يلين فيتموج وجسم يضغط فلا يلين ولا يكسر بل يبقى ويتبلور »[2] .

---

١ ـ ص ٧١ .

٢ ـ ص ٣ .

وفي معرض السخرية يقول عن امرأة يتحدث عنها «كانت تشرح له بصوت يتعب حنجرة غيرها . . . تعد كذبا وتلفيقا في اعتقاد سواها»[1] .

أما بالنسبة للاجزاء التي تبدو وكانها منفصلة من الاطار العام للاقصوصة ، فنجد الفصل الخامس منها[2] فهو حكاية مستقلة لفتى ذهب لفرنسا لدراسة القانون فرجع مظفرا ، ولكنه اصيب بالسل فمات ، وكل ما يربطها بالاقصوصة انها ترمز الى لاابالية عم وهدان الذي تحمل الرياح انغام نايه مرسلة متتابعة ، يستخف بما كان ويستخف بما سيكون .

وهذه القصة بالرغم من كل شيء تعتبر عملا فنيا ناجحا ، اذا قورن بما كان ينشر في ذلك الوقت ، فهي ترسم في وضوح قطاعا من حياة عم وهدان ، تخلله مناظر من الريف وبعض المصانع التي يتحكم فيها « ارمنيان ـ وتروودار تانيان » .

واقصوصة « في قرار الهاوية »[3] تحس بعد ان تقرأ الجزء الاول منها ـ انه نهاية اقصوصة مستقلة ، حكاية سكير يتشاجر مع زوجه ، ويبعث ابنه ليشتري له ما يشربه ، وينتهي الامر بتدخل الشاويش ، ثم يعود الزقاق مرة اخرى موحشا كالقبر .

والى هنا وكل شيء جميل في هذا الفصل ، الا انه يبدأ فصولا اخرى ، ينتهي بها الى ان تنزل زوجة السكير وتصبح بغيا ، فيصل هو الى هدفه الاخلاقي ـ « هنالك هنالك في قرارة الهاوية حيث ضحايا الشهوة والجهل والاغواء ، وحيث ضحكات البكاء ، هنالك هنالك حيث ترقص الطيور المذبوحة ، وتترنم القلوب الجريحة هنالك هنالك حيث البغاء جد ليس بالهزل تجلس من اجله تلك التي

---

١ ـ ص ٨ .
٢ ـ ص ١٣ : ١٦ .
٣ ـ ص ١٩ : ٣٧ .

كانت امرأة ، تحت رحمة المساومة والمقاومة هنالك جلست امرأة احبت زوجها فكرهها ، وتهافتت عليه فعقها ـ وتحملت اذاه فنكل بها »[1].

وفي هذه القصة عدد من تعبيراته الحية النابضة ـ « وفي الساعة الحادية عشرة حينما رحبت الوسائد بآخر متسكع »[2] « ولم يكن لها من عمل بعد الترحم عن المرحومين . . . الخ »[3].

كما انه يستعمل العامية كثيرا ـ وخاصة على لسان العوام من ابطاله .

واقصوصة في « بيت الطاعة »[4] تسير في نفس الاتجاه الذي سارت فيه الاقصوصة السابقة من تعليل الانحرافات الخلقية بتصرفات الزوج فالاولى اهملها زوجها كما رأينا فانحرفت ، وهذه زوجها تركي احمق قتر عليها واغلق عليها الباب في بيت الطاعة ، فاتصلت عن طريق السطوح بشاب اعزب وانساقت وراء عواطفها حتى وضعت غلاما تحس من السياق انه ليس من الزوج .

وفي كلتا الاقصوصتين عجوز تقوم بدور الواسطة في العلاقة بين الزوجتين وعشيقهما ـ الاولى صراحة والثانية بغفلتها وعدم انتباهها .

وهكذا ترى فيهما التوجيه الاجتماعي ، ومعالجة قضية من قضاياه .

أما اقصوصة « منزل للايجار »[5] فتتضح فيها بشكل ملموس الملاحظة الخامسة التي لاحظناها وهي حشر كثير من الحوادث فيها حتى لقد يبدو لك ان عدة اقاصيص امتزجت ببعضها ، فلا تعرف بالضبط من هو البطل ، ولا ما هي الحادثة التي اراد ان يركز عليها ويبرزها .

فهي تخرج بنا من حكاية عباس افندي الذي استأجر مسكنا من عبد

---

١ ـ ص ٣٧ .
٢ ـ ص ٢٠ .
٣ ـ ص ٢٦ .
٤ ـ ص ٤١ : ٥٨ .
٥ ـ ص ٦١ : ٨٨ .

الحميد افندي . الذي طالب بزيادة في الاجرة . . . وبعد ان يصف لنا المؤجر التابع للحكومة المحلية بانه شرس مشاكس ، يحدثنا عن زوجة المستأجر التي استوطنت الالآم جسدها ثم ذهاب زوجها ، للبحث عن سكن جديد ، وهناك يخرج بنا من واد ليدخل في واد آخر (ذكريات طفولة) والبواب الذي اصبحت سحنته لا ترضي اتباع مذهب الدارونزم فقد تحول شبيها بشمبانزى .

ومن ذلك يتحول الحديث الى شكري بك الذي لم يكن يستطيع ان يقوم امام من يعرفون نشأته ـ فيقول كان ابي . . . ثم مغامرته النسائية ، وحياته الاولى ـ وزواجه . . . و . . و . . الى ان يوسده القبر . كما لا ينسى ان يحدثنا عن الفيلسوف الفكه نصر الدين حسين الذي اقحم اباه في حادثة حمل الرحى .

ويبدو لي ان مواهب لاشين تؤهله لكتابة الروايات اكثر من كتابة الاقاصيص ، فهذه الحوادث المختلفة المتراكمة يمكن لو تعمقها الكاتب ـ لاصبحت في النهاية رواية طويلة .

ويلاحظ على نهايات اقاصيصه الاربع الاثارة ، فالاولى بالرغم من لاابالية عم وهدان ، فقد مات فيها الشاب والثانية احترفت البطلة البغاء ، والثالثة اتصلت بجارها ووضعت غلاما ، والرابعة انتهت بمأساة كما ان الخامسة « الوطواط »[1] تنتهي بفرار البطلة من بيت ابيها ، وعملية الفرار نفسها جاءت نتيجة لضغط الوالد على فتاته بعد ان عرف علاقتها بريتشار .

واقصوصة « جولة خاسرة »[2] ايضا فيها مفاجئة مثيرة اذ ان بطلها ذهب يزور صديقه وفي الطريق قابل حلاقا وخاض معه في حديث حول مهارته « الحلاق » في العلاج ، والمقارنة بين ادويته وبين الانسولين ، والتارترامتيك .

وعندما يصل البيت تنتظرنا المفاجأة ، اذ ان اهل البيت يتربصون بالرجل

---

١ ـ ص ٩١ : ١٠٧ .

٢ ـ ص ١٣١ : ١٣٨ .

الذي تعود ان يأتي لنفوسه . . . فيهرب بجلده ولا يطمئن حتى يركب الترامواي . وهي اقصوصة تافهة على العموم ، ولولا لحظات بارعة من الملاحظة الدقيقة والوصف لالحقت بالاقاصيص التي كانت تنشر في الصحف اول ما ظهرت الاقاصيص .

والاقصوصة الاخيرة التي سنتحدث عنها هي اقصوصة « منفيستوفوليس »[1] والجزء الاول منها غير ذى موضوع بالمرة ، فهو يروي حكاية اجتماع الشيطان بقبيله ، وحديثهم عن المتظاهرين بالدين ، ولم يكن لكل ذلك من داع ، فحوادث القصة اقوى دليل على ذلك ، وهي اقصوصة قوية تمثل السيد مصطفى حسن عبد الوهاب الجيزاوي الشاذلي ، او السيد مصطفى حسن الخ الخ على رأي المؤلف وهو صالح متظاهر امام الناس بالورع والتقوى ، ولكنه في حقيقة الامر انسان منحل ، يحاول ان يستغل ظروف امرأة قدمت اليه لترجوه في امر يخص زوجها ، وقد اضطرت ان تنام عنده لانها قدمت ظانة ان زوجها معه ، ولكنها فوجئت بأنه وحيد ، فترددت في المبيت ولكنه طلب الى عجوز كانت تخدمه ان تبيت هي الاخرى حتى يبعد الشكوك من نفس القادمة ، ولكنها تنتبه في الليل على فحيح انفاسه وتنزعج لذلك ، فيقول لها انه كان يبحث عن النشوق ، وعندما تفشل جهوده في محاولة افتراسها ، يوقع بزوجها بأن يبعث خطاب التوصية الذي ارسله اليه الى خصومهم عله يفيدهم في الدعوى المقامة ضد الزوج على اعتبار انه حاول ان يوسط الشيخ او يستغله .

وهي مليئة بسخريات لاشين ، وتعبيراته القاسية الحادة ، التي نرجح كما اشرنا الى ذلك انه اقتبسها من تشيخوف .

فهو حين يتحدث عن اخوين ـ يقول عن احدهما انه ذهب يوما للقاء ربه فلم يرجع ، وان الثاني يعوقه عبطه وكساحه عن ان يلحق باخيه[2] .

---

١ ـ ص ١٤١ : ١٦٦ .

٢ ـ ص ١٥٤ .

٥ ـ الربيع وقصص اخرى ـ نجيب توفيق[1]

هذه المجموعة لا نعرف متى طبعت ، ولكن من قراءتها يتضح لنا انها ان لم تكن قد كتبت في التاريخ الذي سبق صدور اولى مجموعات تيمور فانه لا يتأخر عنها كثيرا ، اذ انها تمثل جانبا واحدا من اقاصيص الفترة التي نحن بصددها ، ونعني به جانب القصص الغزلي ، المعتمد على الرومانسية والذي تستوحي ايضا الخيال الشعبي ، في بعض نواحيها على الاقل .

فاقصوصة الربيع مثلا ، اقصوصة حب ، يقول فيها البطل لفتاته انه احبها منذ ولدته امه وصرح باسمها حين ولادته ، ولما كانت هي لم تولد بعد ، فلم يدرك احد معنى لصياحه[2] .

وعواطف البطلين عواطف صبيانية ، فهو قد اغرورقت عيناه وكادت تنهمر منها الدموع لولا انه اخرج منديله ومسحها ، والفتاة طفرت من عينيها دمعة سالت على وجنتيها المحمرة[3] .

ليس هذا فحسب بل انهما كانا يزرعان زهرتين وهما طفلان دليلا على صداقتهما[4] .

كما انه بعد ان يقدم لنا كل هذه المعلومات ، يصور لنا البطل وقد ارتمى على شفتي فتاته في قبلة بريئة طاهرة وافاقا بعدها على صوت المؤذن القريب : « الله اكبر الله اكبر حي على الفلاح[5] .

---

١ ـ مطبعة الآداب الحديثة .

٢ ـ ص ٣٥ ، ٣٦ .

٣ ـ ص ٣٩ .

٤ ـ ص ٤٢ .

٥ ـ ص ٤٤ .

كما ان اقصوصة العاطفة[1] لا تختلف عن سابقتها فهي حكاية فتى يحب فتاة ، ثم ينكشف له انها مخطوبة فيصاب باضطراب نفسي ثم يسافر ابتعادا عنها ، ولكن سفره هذا لا يجدي شيئا ، فيعود من سفرته بدون ان يبل من دائه المستعصي ، « وراح المسكين يذوي ويذوي حتى بقي بينه وبين القبر ايام قلائل[2] .

وفي هذه الاقصوصة كسابقتها يحدثنا عن الحب الطاهر ، وكيف تسامت روحه ، وصعدت تتوثب الى اعلى السماكين ، الى المزن تستخلص منه قطراته نقية صافية من شوائب الفضاء ليندي بها قلبه . . . الخ[3] .

وثالثتها اقصوصة الصورة[4] ـ قصة شاب يخطب فتاة ليتزوجها ، وفي ليلة الزفاف والكل يترقب الساعة التي يقترن فيها الفتى بفتاته ، يظهر عنصر المفاجأة اذ يصل إلى العريس خطاب من زميل له ومعه صورة خطيبته وعليها كلمة اهداء منها الى حبيب آخر .

وقد كانت النتيجة بطبيعة الحال لهذه المفاجأة هي الغاء الزواج ، وابلاغ المدعوين بأنه قد تقرر تأجيله ، فيذهب الفتى ليتزوج من اخرى ، ويعيشان حياة كحياة ابطال الحوادث ـ « يرتشفان كؤوس حب مريء ، وسعادة لا عيب فيها سوى انها كاملة وافرة » .

وفي مقابل هذه الحياة الثرة المليئة بكؤوس السعادة نجد عائلة العروس ، وقد اشتدت عليها الصدمة وعظم وقع الرزء ، فترحل الى بلدة نائية ولا يعلم احد ما انتهى اليه مآلها[5] .

---

١ ـ ص ٤٧ وما بعدها .
٢ ـ ص ٧٤ .
٣ ـ ص ٦٥ .
٤ ـ ص ٧٧ وما بعدها .
٥ ـ ص ٩٠ .

وآخر ما سنتحدث عنه في هذه المجموعة اقصوصة «قيود واغلال»[1] نجدها ايضا على النحو التالي ، شاب احب فتاة وانتهره والده ونفره من هذا العبث فجن ومات ، ثم انحرفت حبيبته «فاحتقرت معاني الشرف والعفة في الحب ، وبعد ان انسدل على المأساة الستار بكى ابوه على الفضيلة المسفوكة وناح آخرون على الشاب المؤود» .

ولم ينس الشاب قبل ان يموت ان يوصي صديقا له ، بأن يشتري له الكتب الآتية - ماجدولين او تحت ظلال الزيزفون ، الشاعر اوسيرا نودو برجراك ، وآلام فرتز - وزينب والانجيل ، ليضعها جميعا معه في القبر»[2] .

ولعل اختيار هذه المجموعة من الكتب بالذات ، واصرار الفتى على ان تدفن معه ، تدلنا بوضوح على نزعة الكاتب الرومانسية وتذكرنا بمثيلتها لدى مصطفى لطفي المنفلوطي ، الذي بلغ الذروة في استلهام هذه النزعة .

ويلحق بهذه المجموعة من الاقاصيص ، اقصوصة دولت الوفاء الابدي ، بقلم عيسى محمد السباعي وهي كسابقتها غير معروف التاريخ الذي طبعت فيه ، وهي اقصوصة واحدة في ٣٩ صفحة نجد فيها البطل يكتب لفتاته رسالة عبارة عن ورقتين كل واحدة على شكل زخرفة دائرية ، مكونة من القلب بنظام بديع كتب على ظهر الاولى ما يأتي - افتح هذه تجد اسمي ، افتح اسمي تجد قلبي ، افتح قلبي تجد سري - افتح سري تجد اسم من احب ،وفي داخل الورقة كتب الحرف الاول من اسمه[3] .

وفيها نجد الفتاة تحاول الانتحار ، فتقبض على عنقها بيديها ، كما نجد البطل وقد كادت مرارته تنفطر من الحسرة ولم يبرح فراشه وانتابته الحمى[4] .

---

١ - ص ٩٣ وما بعدها .

٢ - ص ١٢٧ .

٣ - ص ٨ .

٤ - ص ١٥ ، ١٦ .

والبطل يستعين بالمنجمة لمعرفة مستقبله مع حبيبته ، ويسافر وراءها الى بنها ، ويدخل المزرعة خفية ، فتستقبله بجوار احدى شجرات النخيل .

ومرة اخرى يذهب اليها ولكن بدون ان يستشير المنجمة ، فيدور حول السور الذي كانت بعض اجزائه مهدمة ، ويدخل من خلف السور ويسير في حذر ، ولكنه لم يستطع ان يراها ، فعاد ثم تخيل شبح حبيبته من بعد ، في شارع من شوارع العاصمة فيجري وراءها ولكنها صدته ، فحزن وسقط على الارض خائر القوى ، والعزيمة فاسعفه - بعض المارة واذهبوه الى بيته .

وهنا صب السم في كوبة ماء « فيا للحب » .

٦ - تحت ظلال النخيل - لابي الوفا محمود رمزي نظيم[1]

هذه المجموعة ايضا ليس بها تاريخ يحدد طبعها ، ولكن طبيعتها وتاريخ ميلاد كاتبها سنة ١٨٨٩ تحددان لنا الفترة التي طبعت فيها وغالبا ما تكون في الربع الاول من القرن العشرين .

وهي تسير ايضا في نفس التيار العام لاقاصيص ذلك العصر - فهي اولا اقاصيص تحتوي على الصراع التقليدي بين الخير والشر ، وانتصار الاول بطبيعة الحال .

ثانيا - فيها بعض المبادىء الاخلاقية الاخرى كفائدة رضا الوالدين الخ .

ثالثا - ببعضها مقدمات تدل على الغرض الذي ترمي اليه .

فالاقصوصة الاولى « فرحانة » ، حياة فتاة اسمها فرحانة تزوجت من

---

١ - مطبعة عباس عبد الرحمن .

شاب متوسط الحال ، وهي جميلة عفيفة ، وكان في القرية شاب شرير اسمه مهران ، كان زير نساء تهرب منه الفتيات ، التق بها وهي تملأ جرتها ، فحاول ان يساعدها على حملها ، ثم قبلها فالقت الجرة عليه وصفعته وبصقت على وجهه وشجت رأسه ، ثم احتال هو حتى تعرف على زوجها ، وابدى له الطيبة والصلاح ، بعد ان حمل مسبحة ، واصبح فاضلا ، هكذا بقدرة قادر وفي مرة زار فرحانة ليراودها عن نفسها فخشيت الفضيحة ان هي صرخت كما خشيت ان هربت يبطش بوحيدها فاستأذنته لتنيم الطفل ثم تعود اليه . . ، فعادت وفي يدها مسدس ، ويظهر او الطبيعي انها قتلته ولم نعرف بالضبط ماذا تم في امرهما ـ لان النسخة ـ ناقصة منها بعض صفحاتها .

اما اقصوصة غادة القبس[1] فقد كتب في اولها هذه القصة عبرة وذكرى لمن يجعلون التعصب وسيلة لاغراضهم المزيفة وغاياتهم الفاسدة ، في التفريق بين ابناء آدام وحواء وايقاعهم في شقاء الحياة وآلامها ـ.

وهي قصة فتى مسلم احب فتاة اسرائيلية ، حبا طاهرا عفيفا ، ثم خرج يتنزه معها واتفقا على الزواج فكتبت اليه بذلك ، وكتبت لابيها فاعتبرتها الاسرة انها ماتت ـ ولبسوا عليها الحداد ، وبعد ثلاث سنوات كان ابوها مارا من تحت النافذة في طريقه الى منزله فاستشعرت ما في قلبه من القسوة .

« في تلك الدقيقة الهائلة مد القضاء يده القاسية ـ فانتزع روحها الطاهرة ، وصرخ زوجها صرخة ايقظت الخدم والجيران وسقط لا يعي شيئا واظن ان الامر انتهى عند هذا الحد ـ فالقصة هنا ايضا منزوع بعض صفحاتها ، او لعل الاب مات بدوره او انتحر لست ادري ؟ .

واقصوصة ثالثة لا نعرف كيف بدأت ولكن هذه الاسطر من نهايتها تكفينا في ذلك ، وفيها شخص يعرض على فتى الزواج من ابنته ، فيرفض لانه

---

١ ـ ص ١٥ وما بعدها .

يحب اخرى فيقول الرجل انني حادثت ابنتي : بشأنك فاكدت لي انك لا ترفض ، قال وما اسم ابنتك يا سيدي ؟ وما كاد ينطق بتلك الكلمة حتى فتح باب ـ الغرفة على مصراعيه ، وظهرت ضحى قائلة هذا اسمها يا شمس ، وبالطبع اغمي على شمس ولما افاق عانق حبيبته .

ولم يمض بعد ذلك يومان حتى وهب التاجر كل ثروته لشمس وتنازل له عن تجارة ابيه ، وعقد له على ابنته .

« وبفضل حكمة والدته امكنه ان يحوز رضي ولي النعم محمد علي الكبير ويحي اسم والده ويكون سر تجار الديار المصرية[1] .

وفي خاتمة اقصوصة اخرى نقرأ[2] ما كادت ضحى تنطق بهذه الكلمات حتى اخرج الوحش مديته وهم بطعنها ، ولكن سرعان ما فتح الباب وانقض نور الدين ، وما هي دقيقة حتى كان يتدحرج فوق السلالم واسنانه تنفرط من هول الارتطام بالدرج .

« وبينما كان الوالد يأمر الخدم باسعافه كان هناك عتاب ارق من النسيم وعناق يبرىء السقيم ، وهناء بعد عزاء وزفاف تم بالرفاء .

كما ان الاقصوصة التي تليها [3]تكاد تعرف نتيجتها منذ الاسطر الاولى فيها ، فهي قصة فتاة زوجها أبوها الطامع في الثروة ، من شيخ تخطى العقد الثامن ، فانتحرت بان القت بنفسها من النافذة » .

ب ـ سنقدم في هذا القسم مجموعة من الحكايات التي يتضح فيها الهدف الديني والاجتماعي اتضاحا تاما ، يبعدها كثيرا عن الفن القصصي .

---

١ ـ ص ٢٦ .

٢ ـ ص ٦٤ .

٣ ـ ص ٧٤ وما بعدها .

١ ـ انشقاق القمر في معجزات سيد البشر[1]

لعل بعض المشائخ بعد انتشار الاقاصيص والقصص عموما ، احسوا بميل الناس الى قراءة هذا النوع من انواع الأدب ، فكتبوا هذا الكتاب ، وفيه حكاية انشقاق القمر ، ونطق الجمال ، وحديث التفاحة التي قطعها جبريل من شجرة الجنة ، وهي تشبه الاقاصيص السابقة من حيث انها تستوحي الذوق الجماهيري ، فتكتب حكاية القمر الذي دخل نصفه في ثوب النبي وطاف حول الكعبة ، والتفاحة التي قطعت من شجرة بها سبعون الف غصن في كل غصن سبعون الف فرع في كل فرع سبعون الف ورقة ، في كل ورقة سبعون الف الف تفاحة ، في كل تفاحة سبعون الف ملك لكل ملك سبعون الف رأس ، في كل رأس سبعون الف فم ، في كل فم سبعون الف لسان ، كل لسان يسبح الله بسبعين الف لغة ، وثواب كل هذا ، لمن يصلي على رسول الله ﷺ .

وكذلك نطق الحجر ، ومثله نزول جبريل معه طشت من الذهب الاحمر ، عليه غشاء من السندس الاخضر ، وفيه حلل من حلل الجنة ، ما لا عين رأت ولا اذن سمعت .

٢ ـ المطربات ـ تأليف شاكر شقير[2]

وهذه المجموعة تحتوي على بعض الاقاصيص القصيرة وبعض الحكايات التي لا تتجاوز صفحة او اثنتين مما يؤكد اثر « الحدوتة » الشعبية في تأليفها .

---

١ ـ المطبعة اليوسفية .

٢ ـ بدون تاريخ طبع .

وقد اقتصرنا على الحكايات الثلاث الاولى ، فهي قريبة الشبه من الاقصوصة ، وهي تختلف عن اقاصيص ذلك العصر ، بانها ليست قصص حب او مغامرات ، وانما هي قصص وعظ وارشاد صريحين ، وعقب كل واحد منها يكتب المؤلف جملة الخلاصة الادبية .

فالاولى خلاصتها الادبية :

بالعدل يحيا شرف الحكام
والخسر يلقي خائن الذمام

والثانية خلاصتها :

من يسرق السر عن الابواب
يكن جزاؤه اشأم العذاب

والثالثة خلاصتها :

بالبر والتقوى وحسن النيه
من الفساد تصلح الطويه

واظن ان هذه الخلاصات تغنينا على استعراضها .

٣ ـ الروايات القصصية ـ تأليف احمد مختار الحنبلي [1]

لا نعرف بالضبط متى تم طبع هذه المجموعة من الاقاصيص لاول مرة ، ولكن يبدو انها طبعت في الربع الاول من القرن اي في الفترة التي ندرسها ، لان هذه هي طبعتها الثالثة ، وهي كما قال عنها « روايات ادبية » اجتماعية انشائية ،

---

١ ـ طثالثة سنة ١٩٣٤ ـ ومؤلفها ـ عالم ومدرس ازهري .

تكشف الستار عن العجب العجاب وتصور احوال المجتمع ، وما فيه باقل مبنى واوضح معنى .

ثم يتحدث صراحة عن الدافع لكتابتها - « دعانا الى كتابتها ما رأينا من فوضى الروايات الخليعة والبذيئة التي تغشي المجالس والمدارس والمنازل » . . . فجاءت . . . تنم عن حكمة وتدعو الى عظة وعبرة[1] .

ففي حكاية مملكة الطيور[2] نجد رجلا ثريا يهوى تربية الطيور ، خرج مع جماعة حتى وصلوا الى جبال قاف قاف ، فرأوا كثيرا من الطيور ، وفي المساء سمعوا صوتا اجش ينادي الطيور بلغتها فحضرت كل قبيلة وفصيلة فقال طير من بينها في كلام له : - ان الانسان . . . يريد ان يسيء الينا ويعتدي علينا . . الانسان الذي ارتكب المظالم في سبيل شهواته ، واساء الى الانسانية الشريفة سمعتها ، وتعاون على الايذاء . . . احذروه وخافوه . . . وانتهت الحكاية .

والحكاية الثانية « الهاتف »[3] فيها يتحدث عن الخلطاء « وان من الخلطاء ، ليبغي بعضهم على بعض وهي حكاية جماعة سئموا من الناس فخرج لهم شيخ استخفوا به ، ولكنه اخذ ينصحهم بانهم تعاهدوا ثم اخلفوا العهد » ان العهد كان مسؤولا ، ثم استمر يحدثهم عن عدم تطهير انفسهم وعدم صفاء قلوبهم ، فلو صحت نياتهم لرزقهم الله كما يرزق الطير وعندما تساءلوا عن من يكون هذا الرجل سمعوا هاتفا يقول « هو انسان من اهل الباطن لا من اهل الظاهر ، تجردت نفسه من الشهوات . . . الخ .

---

١ - ص ٥ .
٢ - ص ٦ وما بعدها .
٣ - ص ١١ وما بعدها .

وفي الثالثة [1] حديث عن المدنية الحديثة التي ما دخلت بلادا الا افسدت قلوب اهلها .

وهكذا بقية الاقاصيص .

٤ ـ زهرة الغابة للمسيو تيوبلد [2]

وفي السنوات التي بدأ تيمور يقدم انتاجه للقراء صدرت هذه الاقصوصة .

تروي قصة جماعة من المسلمين في شهر رمضان ثم يدخل عليهم فتى مسلم يحدثهم ، عن بغي اسمها زهرة الغابة وقد تعلم هو الفقه والشريعة وعلوم اللغة ، ولكنه بعد ان زل معها ، كما زل ابن عمه عبيد ، ومات اطلع على كلام في التوراة امال قلبه نحوها ، واخذ ينعي على المسلمين بغضهم لها ومنعهم قراءة هذه الآيات ، وينتهي به الامر الى ان يصبح مسيحيا بعد ان ترك الاسلام ، كما ينتهي الامر الى ان تفكر الجماعة كلها في ترك دينها والدخول في المسيحية .

وهي توضح لنا الجانب الآخر ، فكما استغل المسلمون الاقصوصة استغلها بعض المسيحيين ولا بد ان هناك اقاصيص أخرى غيرها ولكنا لم نجد الا هذه .

والشيء الذي يميزها عن اقاصيص المسلمين ركاكة اسلوبها « يا سيدي انا جميعا نصير ممنونين ـ اذا كنت تحكي القصة ـ ونسأل الله ان يباركها » .

---

١ ـ ص ١٥ وما بعدها .

٢ ـ طسنة ١٩٢٨ عدد صفحاتها ٣٠ .

الخلاصة . .

وهكذا نستطيع ان نقول بعد هذه الدراسة للاقصوصة في مراحلها المختلفة ، ان النموذج الذي تطور الى أقصوصة بمفهومها الحديث هو المقامة في اول الامر ، ثم فقدت المقامة شيئا فشيئا المحسنات البديعية التي كانت تملؤها نظرا لتطور القراء ولانتشار الصحافة ، ولظهور آثار الحضارة الغربية في مصر ، ثم حلت محلها المقالة المكتوبة على شكل اقصوصة ، وكانت بذلك البداية لظهور القصة الحديثة .

كما انها من حيث الموضوع بدأت منذ عودة ظهور المقامة تؤدي غرضا تعليميا واخلاقيا ، ثم انحسر الظل التعليمي ، واستمر التيار الاخلاقي ، وتيار المعالجة الاجتماعية . . الى زمن بعيد .

وقد غذًّا ذلك رافد آخر يمثله السوريون واللبنانيون الذين بدءوا يقدمون نماذج حديثة للقصة القصيرة وان كانوا لم يستطيعوا منذ البداية ان يتخلصوا من الرومانسية ، والتوجيه الاجتماعي ، ومحاولة ارضاء الذوق الشعبي والتأثر به ، بدلا من التأثير فيه . وقد ساهمت الصحف في ذلك مساهمة فعالة .

ثم اخذ جماعة من الكتاب المصريين في معالجتها على النحو الذي شاهدوه لدى السوريين وعلى ضوء قراءاتهم في الادب الغربي ، ومع هذا لم يستطيعوا ان يقدموا لنا الاقصوصة العربية الناجحة حتى نهاية الربيع الاول من القرن العشرين حيث بدأ تيمور في كتابة الاقصوصة .

وان كان هذا لا يمنعنا من ملاحظة ان بعض الكتاب بدءوا يفهمون فهما واعيا المتطلبات الحديثة للاقصوصة كما فعل عيسى عبيد ، وان كانوا لسوء الحظ لم يتمكنوا من الملاءمة بين ما فهموه عقلا ، وبين ما يكتبونه بالفعل وهذا راجع على ما يظهر لعدم تعمقهم للأفكار التي تأثروا بها عن القصة الغربية ، ولوقوعهم تحت

وطأة المتطلبات الاجتماعية المختلفة ، التي تملي عليهم نوعا من المعالجة القصصية يختلف عما قرءوه ، يضاف الى ذلك ان الذوق الشعبي لم يكن قد تطور بعد بحيث يستسيغ النماذج الجديدة الخالية من المفاجآت والدعوة الاخلاقية ، وانتصار الخير على الشر .

كما لاحظنا ان انصار الثقافة العربية والدينية قد حاولوا مجاراة النماذج الجديدة للاقصوصة ، ولكن على طريقتهم الخاصة مما يدل على انه اصبح لهذا النوع من الكتابات الادبية عشاقه ومريدوه .

وقد تلق تيمور كل هذا التراث واحتذاه في اول الامر كما سنرى ، ثم دفعه الدفعة القوية التي جعلت منه كاتب الاقصوصة العربية الاول . .

محمود تيمور

أسرته ـ نشأته ـ ثقافته ـ تأثير أدب الغرب فيه
آراؤه في الأدب عموما وفي القصة على وجه الخصوص
آراء النقاد في فنه

ليس الغرض من كتابة هذا الفصل عن تيمور مجرد تسجيل تاريخي لنشأته أو لأسرته والأطوار التي مر بها في حياته ، فإن ذلك ليس مما يدخل في صميم بحثنا . وإنما الغرض من كتابة هذا الفصل ، هو دراسة العوامل المختلفة التي أثرت فيه ، أو بمعنى آخر الظروف التي أحاطت به ، سواء أكانت ظروفاً خاصة تتعلق بمكانة أسرته ، أو ظروفاً عامة تتعلق بالفترة التي نشأ فيها ، والآثار التي تركتها في نفسه ، لنستطيع بواسطة ذلك أن نفسر مسلكه الأدبي ، كما نستطيع أن نفهم لماذا اختار أن يكون هذا النوع من الأدباء لا ذاك . ومدى الملاءمة بين أفكاره المجردة التي نستطيع أن نقرأها في مقالاته وكتبه وبين قصصه ، كما نستطيع من خلال ذلك أن نفسر مذهبه القصصي ، ولماذا امتازت قصصه مثلاً بأنها تعالج ـ وخاصة في أطوارها الأولى ـ مشاكل اجتماعية وواقعية ، بينما تحولت بعد ذلك إلى نوع من المعالجة الإنسانية التي لا ترتبط بالأرض بقدر ما ترتبط بالفكرة ، وأول ما يهمنا أن نلاحظه على تيمور أنه ينحدر من إحدى الأسر التي رافقت محمد علي أثناء قدومه على مصر . وأن جده كان قائداً في الجيش وكان مستشاراً للأمير وكان مديراً لشئون بعض الأقاليم[1] فهو إذن أحد الأشخاص الذين كان يعتمد

---

١ ـ ص ٣ ملامح وغضون لمحمود تيمور طبعة أولى سنة ١٩٥٠ .

عليهم محمد علي في تصريف شئون الـــدولة[1] .

وهذه الحقيقة تلقي أول ضوء على شـخصية كاتبنـا ، فهـو مـن أسرة أرستقراطية لها أمجادها التاريخية ، ولها مكانتها في المجتمـع الـذي تعيش فيـه . والأسرة الأرستقراطية ـ كما لا بد أن يستنتج المرء في عهد محمد علي ـ وهو العهـد الذي كان يعمل بكل همة لتقـدم مصر بغض النـظر عـن الأطماع الشـخصية لمؤسسه ، لا بد لها أن تتزود بزاد علمي أو ثقافي يجعلها أهلاً لأن تكون شريكة في الحياة التي يحياها سيد ذلك العصر ، من حرص على نشر الثقافة والمعـرفة ولـذلك فقد كانت له مكتبة كبـيرة[2] .

وبجانب متطلبات تلك الحياة نجد عاملاً شخصياً من طبيعة نفس جده ، فقد كان حريصاً على القراءة ميالا للعزلة ، مـؤثراً صـحبة الـكتاب على صـحبة الكبراء والأمراء[3] .

وهذه الظاهرة الأخيرة الخاصة بالعزوف عـن مجـالس الـكبراء تتـكرر في شخصية ابنه ، ثم في شخصية حفيده من بعده ، وقد حـدثنا تيمـور عـن والـده فوصفه بأنه كان ورعاً شديد الورع ، متحرجاً بـالغ التحـرج ، مـطبوع النفس على حفاظ وانقباض مؤثراً للعزلة زاهداً الخ[4] .

كما عرف عن والده أنه كان يبتعد عن الطبقة الأرستقراطية جهـده ، ولم يعرف عنه أنه ذهب في يوم من الأيام إلى نـادي محمـد علي كما كان يفعـل عليـة القوم ، بل كان يؤثر على ذلك مجالس العلماء والأدباء من رواد النهضة وممن كانت تذخر بهم الحياة آنذاك[5] . من أمثال الشيخ محمـد عبـده والشـيخ الشـنقيطي

---

١ ـ ص ١٤ محمود تيمور رائد القصة العربي بقلم نزيه الحكيم مطبعة النيل سنة ٤٣ .

٢ ـ مجلة المصور عدد ١٧٨٥ ـ ٢٦ ديسمبر ١٩٥٨ .

٣ ـ ص ٣ ملامح وغضون .

٤ ـ ص ٧ النبي الأنسان .

٥ ـ عدد المصور السابق .

الكبير، وخلافهم ممن كانوا يترددون على منزله باستمرار[1] . حتى أن والده قد اعتبر أحد الذين أغنوا المكتبة العربية بمجموعة من المؤلفات وربما كان واحداً من أبصر المعاصرين بعلوم العربية وأوسعهم إلماماً بشواردها[2] وبجانب ما يمكن أن يرثه من صفات جده وما يشاهده في حياة والده نجد أن صورة بيئته الأولى تكمل بوجود أديبة كان لها قدر كبير في أيامها، وهي عمته السيدة عائشة التيمورية الأديبة الشاعرة التي ربما كانت في رأي بعض النقاد أول أديبة عربية في عصر النهضة.

تكتب الشعر والموشحات وبعض الحكايات التي تشبه الحواديت بنفس العقلية التي كانت سائدة عن هذا النوع من الكتابة، فينتصر الخير على الشر، وتهزم الفضيلة الرذيلة في النهاية[3] .

وبجانب والده وعمته، أخوه محمد الذي يعتبر أحد السباقين في ميدان الأدب والعاملين على إيجاد أدب مصري صميم تنبع مادته من الحياة المحيطة به مع التزود بالمعرفة الغربية حول فنون القصة والمسرح بل أكثر من ذلك لقد عمل بالتمثيل على المسرح أمام الناس في وقت كان الممثل فيه يدعى (بالمشخصاتي) تهويناً من قدره مما يدلنا على نوع الأفكار التي كان يتبناها هذا الأخ المتحرر.

في هذا الجو نشأ محمود تيمور، أسرة أرستقراطية ميالة إلى العلم، وجو كل ما فيه يغري المرء بأن يجتذبه، وقد جعل من والده وشقيقه نموذجين يتابع خطواتهما، بل إنه بعد أن توفي شقيقه أحس بأن عليه أن يتابع رسالته في الأدب، فحمل من بعده مسئولية إنشاء أقصوصة مصرية عربية صميمة.

وقد ساعد عامل آخر على توجيه هذه الظروف وجهة معينة واقعية، فقد كان أبوه يبعثه دائماً إلى الريف، وهناك استطاع أن يرتبط بمشاعره بطبقات الشعب

---

١ ـ ص ٨ شقاء الروح.

٢ ـ ص ١٥ نزيه الحكيم.

٣ ـ ص ١٥ نزيه الحكيم.

فتخزن ذاكرته الكثير من المشاهد التي يراها دائماً ، كما تثور نفسه كثيراً على ما لا يعجبه في حياتهم تلك . مما كان له أكبر الأثر في حياته القصصية في المستقبل . . ولقد لاحظ فتى عادي ورد اسمه على يد كراشكوفسكي : (أن أبناء هذا الباشا فلاحون حقيقيون بمعنى الكلمة[1]) وهذه الملاحظة تدلنا بالفعل على مدى علاقة محمود وأخوانه بالفلاحين في ذلك الوقت فقد كان تيمور كما روى ماسح الأحذية في رواية كراشكوفسكي أن أبناء الباشا إذا لم يجدو احداً في الفرن طلبوا إلى جده (خفير الفرن) أن يروي لهم بعض القصص . وكما كانوا يشاركون الأولاد في الجرن لعب الكرة صائحين مسرورين . ولماذا نبعد في البحث عن الأدلة وأقصوصة الشيخ جمعة (خفير الجرن) بين يدينا تقص علينا حكاية لقاء ابن الباشا بالفلاحين والسماع إلى حكاياتهم .

وهناك البيئة العامة التي عاش فيها تيمور وهي مصر ، بكل ما يصطرع فيها من نزعات وقيود وبكل حماسها في تلك الفترة للحرية وتطلعها إلى نوع جديد وكيان مستقل ، مما ترك أثره على كل كتاب ذلك العصر ، وصبغهم بلونه ولم يكن تيمور أقلهم تأثراً بالروح الجديدة والرغبات العامة في التحرر والأستقلال ، وإظهار كل ما هو مصري والاعتزاز به . وقد ساعده على ذلك ما عرفناه عن اختلاطه في تربيته الأولى بطبقات الشعب ومشاركته لهم مشاعرهم . لكل هذه الأسباب نجد أن الطابع الذي يميز أدبه وأقاصيصه وخاصة الأولى ، هو الطابع الواقعي المصري الذي كانت تسعى مصر كلها إلى تحقيق ذاتها باظهاره ، وبجانب هذه العوامل التي دفعته الى أن يكون صاحب قلم وأن يلتزم نوعاً من الواقعية في أدبه ـ نجد عاملاً آخر كان له أكبر الأثر في أن يختط لنفسه طريق الأدب ونعني به المرض .

فتيمور كما نعلم كان في يوم من الأيام طالباً في مدرسة الزراعة وكان ما يدفعه إلى دخول هذه المدرسة هو رغبته في أن يكون صاحب عمل في الحياة ،

---

١ ـ ص ٦ و٧ الجندي .

ولكن المرض حال بينه وبين ذلك ، فكان عليه أن يبحث عن وسيلة أخرى أسهل من ذلك يثبت بها وجوده ويبرر بها أمام الناس ذاتيته ، فكان الأدب وكانت الأقصوصة والقصة والرواية والتمثيلية ، ولنسمع تيمور نفسه وهو يصور رد الفعل الذي أحدثه المرض فيه وكيف دفعه إلى الأدب دفعاً قوياً :

(منذ سنين طويلة وأنا في رقابة الطب . . وهكذا كنت أحس في أعماق نفسي بنقص يحجزني عن الأستمتاع بما ينعم به غيري هذا النقص دفعني ومـا زال يدفعني إلى أن أستكمل في الخيال ما عجزت عنه في الواقع[١]) .

ثقافته وآراؤه :

تيمور أديب من النوع الذي استطاع أن يمزج بين الثقافتين العربية والغربية بدون أن تطغى إحداهما على الأخرى ، فلم تشده ثقافته العربية إلى نوع من التزمت كما لم يخرجه اطلاعه على أدب الغرب عن الطابع الشرقي بوجه عام .

ومن المعروف عن تيمور أنه قرأ أول ما قرأ في حياته باللغة العربية كتاب ألف ليلة وليلة وكان والده قد أهداه له فكان يقرؤه هو وإخوانه والمستخدمون معاً وقد ترك هذا الكتاب بدون شك أثره في نفس تيمور وخاصة إنه أول كتاب يقرؤه .

وبجانب الف ليلة وليلة حكايات عمته ، وديوان شعرها ، وقد كانت تلك الحكايات مع حكايات العجائز التي عاش وسطها ذات أثر كبير بدون شك في تنمية خياله القصصي بجانب حكايات الفلاحين الذين كان يقضي معهم فصل الصيف .

---

١ ـ ص ١٧ شقاء الروح .

وإذا كانت هذه العوامل قد أثرت على ما يبدو في بـذر البـذرة الأولى في نفسه نحو القصة فإن والده كان صاحب الفضل في تمـكينه مـن اللغـة العـربية بمسلكه أولاً ، وبمجتمعه الوقور الذي كان يـدعوه إلى حضـوره ، فـكان يعيش في وسط جو علمي كثيراً ما تناقش أفراده في اللغة والأدب والدين وغير ذلك .

وإذا أضفنا إلى هذا أن والده كان يحفظه هو وأخاه مصادر أدبيـة ولغـوية كمعلقة امرىء القيس أدركنا نوع الثقافة التي تلقاها تيمـور بـالرغم مـن أنـه لم يتمكن من مواصلة دراسته العالية بسبب مرضه كما أسلفنا .

كما أنه قرأ لكثير من الكتاب المحدثين من العرب فقرأ للمنفلوطي بـنزعته الرومانسية التي سحرته . . وقرأ للمهجر كثيراً كما قـرأ حـديث عيسى بـن هشـام ورواية زينب . وأحس من قراءة الأخيرة هذه نوعاً غير الرومانسية التي كان غـارقاً فيها[1] .

أما في أدب الغرب فإن موباسان أول وجـه غـربي طـالعه تيمـور وكان الفضل في ذلك يرجع إلى شقيقه محمد الذي سافر إلى أوروبا فلما عاد منها وسـأله أخوه عمن ينصحه بالقراءة له فأخبره بأن موباسان هو الشخص الـذي ينبغـي أن يطلع على أدبه وقد أصبح لقاء تيمور لموباسان نوعاً من الألفة والمحبة نفسـها ونحـن نقرأ له هذه الأسطر من مقال بعنوان (إلى موباسان[2]) .

يقول تيمور مخاطباً موباسان : (كنت أول مـن طـالعني في فتـوة السـن وعنفوان الصبا حين انطلقت أقرأ ما يقع لي من أدب الغرب فأنا اليوم أفصح لك في هذه الأوراق عن سر علاقتي بك وأبسط ما تكشف لي من بديع فنك .

ما أنسى لا أنسى باكورة لقائي إياك في مكتبة هناك بـالأسكندرية في يـوم من فصل الصيف الخ) .

---

١ ـ ص ٩ و١٠ و١٢ من شقاء الروح .

٢ ـ ص ٩ و١٨ ملامح وغضون .

ولم يقتصر تيمور على موباسان ، بل تعداه إلى عدد من الأدباء الفرنسيين ثم تخطى الأدب الفرنسي كله إلى الأدب الروسي فقرأ تشيخوف وتورغنيف وأحس بعنصر الصدق والبساطة في القصة الروسية ووصفها بأنها ليست غير قطعة منتزعة من نفس صاحبها[1] . ثم قرأ كثيراً من الشعر الغربي وخاصة الشعر الخيالي (في مطلع قراءاته الغربية) .

ومع قراءاته الكثيرة في أدب الغرب فمن الصعب على القارىء أن يلمس بوضوح تأثر تيمور بأدب الغرب في أقاصيصه الأولى ومع هذا فإن نزيه الحكيم يعتبر أن هناك آثاراً واضحة لذلك ، ويقول عن قصته القصيرة (تكفير) إنها ذكرى صافية لآخر أقاصيص تورغنيف كلارامشين[2] .

وبالرغم من أنه لم يمكننا الاطلاع على اقصوصة تورغنيف ، فإن الواضح من معالجته للقصة أنها تتأسى بالتيار العام لأقاصيصه ، وليس هناك ما يمنع من أنه اقتبس ملامح من الفكرة نفسها ونضيف على ذلك أن أثر تشيخوف مثلاً لا يكاد يظهر إلا في اقصوصة واحدة كما سنرى .

وتيمور نتيجة لعوامل كثيرة طبيعية في نفسه لم يقرأ من القصص الغربي النوع الذي تصطرع فيه العوامل النفسية والميول المختلفة فهو مثلاً لا يحب دستوسيفسكي بالرغم من أنه يعتبر كاتب الرواية الأولى في روسيا ، وخاصة من الأدباء الكلاسيكيين[3] ويفضل عليه تولستوي ، ولعل النزعة الانسانية لدى الأخير هي التي حببته إليه ، بينما أبعدت دستوسيفسكي النظرة القاتمة والتمزق النفسي الذي يعيش فيه ابطاله . وعلى أي حال فنستطيع أن نلمس أن تيمور تأثر إلى حد كبير بشكل الأقصوصة الغربية ولكن ثقافة الغرب ومعتقداته المختلفة اصطدمت

---

١ ـ ص ١٣ شقاء الروح .

٢ ـ ص ٤٩

٣ ـ هذا ليس إستنتاجاً بل انه هو قائله لي في إحدى جلساتي معه .

بطبيعته المحافظة الشرقية وظهرت آثار ذلك في كتاباته، حيث استطاع أن يحافظ على شرقيته، ويقتبس بقدر الامكان ما لا غنى له عنه.

ونلمس هذا واضحاً في كثير من الأمور التي يعالجها في كتاباته الإجتماعية بعيداً عن جو القصص.

«ولقد قيل إن الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا.. وكثير من الحق ينطوي في هذه الكلمة.. وهذا لا ينافي أن الشرق والغرب يسيريان معاً جنباً إلى جنب في موكب المدنية وخطاهما دائماً إلى الأمام»[1].

ومرة أخرى يتحدث عن مظهر من مظاهر الحياة الغربية فيقول: ونحن وإن كنا لا نجحد فضل الرقص العصري في التنفيس نرى أنه ليس بالملائم كل الملائمة لطبيعتنا الشرقية لا من وجهة جونا الحار، ولا لما له من آثار، ولا من وجهة الأخلاق والتقاليد الخ.

وإن كان يحاول أن يوفق بين شرقيته وبين ما تلقاه من الغرب فيدعو المرأة إلى أن تجعل من الزار وسيلة للتنفيس كما يدعو الرجال إلى الذكر!![2].

ويبدو أن إيمان تيمور الديني مع وجود نزعة تصوفية إلى حد ما عنده، تبدو جذورها في ميل الأسرة إلى العزلة مع إلحاح المرض عليه كانت سبباً من أسباب محافظته هذه، حتى إنه يكتب صفحات طويلة عن الإيمان.. والدين.. وإن كان إيمانه من النوع غير الملتزم بطقوس أو شعائر..

وكانت هذه النتيجة التي وصل إليها جاءت بعد فترة حيرة مرت به ساءل نفسه فيها عن الدين الذي ولد معه وفرضته عليه البيئة وانتهى من ذلك إلى: (أن الدين جوهر وروح أكثر منه رسوم وقواعد.. لقد أصبح عندي فكرة عميقة تسري في شرايين الحياة مسرى الدم في شرايين الانسان.. حتى لقد استبان لي

---

١ ـ ص ٦ و٧ عطر ودخان ـ الطبعة الثالثة.

٢ ـ ص ٨٧ شفاء الروح.

هذا الدين فوق الأوامر والنواهي وفوق الرسوم والتقاليد[1] .

حتى لتصدر منه دعوات تحس بأنه يذوب فيها كما يفعل المتصوفة :

(يا رب . . أنام إذا نمت مطمئناً رضي البال فاسمك آخر ما تلفظ شفتاي ـ وأصحو إذا صحوت متفائلاً طلق الأسارير فندائي لك أول ما يلهج به لساني[2] . وفي «شفاء الروح» ينصح قارئه بأن يضع مصحفاً فوق وسادته . . ليتخذه منبعاً صافياً تستقي منه روحه ونفسه[3] .

وقد تحول به هذا النوع من التفكير بعد أن امتزج بقراءاته في التراث الغربي إلى نوع من التفكير الإنساني العام الذي لا تحده منطقة معينة ولا يقيده قيد ، فنلمس آثاره في مثل مقاله عن الشهيد المجهول الذي لا يجد أحداً يذكره من ذويه أو مواطنيه ولكن تيمور يذكره ويدعو الناس إلى تذكره[4] .

مصادر أقاصيص تيمور

يستقي تيمور حوادث أقاصيصه من عدة منابع ؛ فهي إما تجارب شخصية مر بها الكاتب نفسه ثم أخرجها للقارىء في شكل أقصوصة ، وإما حوادث مختلفة مما تذخر به الصحف والمجلات فينفعل بها ، ويحولها إلى أقاصيص ، وإما حكايات وحوادث تروى له في حياته الاجتماعية ومخالطته للناس فينتقي منها ما يصلح أن يكون مادة للأقاصيص . . وهو بطبيعة الحال لا يسجل تجاربه أو قراءاته أو مسموعاته كما يتلقاها وإلا لأصبح كاتب وقائع وليس أديباً كما إنه لا يكتب تلك الحوادث بجميع زواياها وتفاصيلها كما وقعت بل إنه يختار من الواقع لب الحادثة

---

١ ـ ص ١٠ و١٢ من النبي الأنسان .
٢ ـ ص ٨ المرجع السابق .
٣ ـ ص ٢٠ شفاء الروح .
٤ ـ ص ٤٠ ـ ٥١ النبي الأنسان .

ثم يكسوها ثوباً جديداً بعد أن تختلط بتجاربه وآرائه وبحوادث أخرى ، وحكايات مشابهة وقعت له أو قرأ عنها .

ولا يمكن للكاتب أن يحدد في أقاصيص تيمور ما وقع فعلاً وما لم يقع ، إلا أنه من الممكن أن يتتبع المرء مصادر أقاصيصه ويعيدها إلى أصولها ، فاقصوصة مثل (الشيخ جمعة) اقصوصة تتحدث عن شخص لا يزال حياً[1] . وعن حوادث عاصرها تيمور بالفعل وعاشها ولهذا عندما سئل عنها قال إن ما فيها من الحقائق يساوي ثمانية أعشارها ، وإن الباقي هو ما أضافه إليها الكاتب .

بينما نجد اقصوصة مثل (عم متولي) تمثل الجانب الآخر الذي يطغى فيه تصورات الكاتب واستنتاجاته على الحقائق الملموسة التي يشاهدها لأن (عم متولي) ليس شخصاً معروفاً لدى تيمور معرفة تمكنه من الاعتماد على معلوماته عنه ودراسته لحياته الخاصة عن كثب ، فهو إنسان مر به تيمور في الحياة مروراً عابراً خلال سيره في أحد الطرقات وكانت هيئته من النوع الذي يوحى إلى الكاتب فاختزن في ذاكرته منظره ثم أخرجه في إحدى أقاصيصه . ولهذا فإن نسبة الخيال والتصور في هذه الأقصوصة تمثل تقريباً نفس نسبة الحقيقة في سابقتها وهكذا .

على أن اقصوصة بنت الشيطان تمثل الجانب الثالث من مصادره ، فهي حكاية فتاة كتبت عنها الصحف كثيراً فأثرت في تيمور وأوحت إليه باقصوصة ويبدو أن أثرها كان كبيراً في نفسه لأنه أعاد كتابتها في مسرحية أشطر من إبليس .

وقد تكون الأقصوصة لدى تيمور ممثلة لفكرة من الأفكار ، وليست منبعثة عن حدث والكاتب بذلك إنما يخلق لها الأشخاص خلقاً كاملاً ، ويتمثل ذلك في معالجته لقضايا مثل القدرية ، فكرة العقاب والثواب . الخ .

وتيمور يلجأ لكي يسجل ما يقرؤه أو يشاهده إلى مفكرة يختزن فيها

---

١ ـ هذه المعلومات أخذتها منه في عام ١٩٥٨ .

الأفكار التي تطرأ على ذهنه أو التي توحى بها مشاهدته لمنظر أو قراءته في كتاب .
ثم يعكف على إعداد هيكل عام للأقصوصة قبل كتابتها وهكذا .

تيمور والفن[1]

من يقرأ آراء تيمور في الفن عموماً يحس أنه على جانب كبير من المعرفة بموقف الأديب ورسالته ، ومقومات الأقصوصة ووسائل نجاحها ، والأسس التي ينبغي أن تتوفر لها لكي تكون اقصوصة ناجحة ، والهنات التي ينبغي على الأديب أن يتجنبها . . إلى غير ذلك مما له علاقة بالأقصوصة والذي يساير المستوى الرفيع للأقصوصة .

ولكن من يقرأ ما كتبه تيمور عن الأقصوصة ثم يقرأ أقاصيصه يجد أن نسبة كبيرة منها تعد أقاصيص فاشلة ، حتى بمقاييس تيمور نفسه ، وهذا الموقف يذكرنا بمقدمة (عيسى عبيد) التي كتبها عن الأقصوصة ثم لم يستطع أن يلتزم بها عندما حاول كتابة أقاصيصه وإن تكن الأسباب الدافعة إلى ذلك قد تختلف من عيسى إلى تيمور بعض الشيء

وأهم الأسباب التي يمكن أن يفسر بها التناقض بين آرائه في القصة وبين إنتاجه هو أن هذه الآراء لم تكتمل له إلا بعد سنين طويلة من الاطلاع والدراسة والقراءة المستمرة لأدب الغرب ، وذلك لم يتم له إلا بعد أن ظهرت عدة مجموعات كبيرة من أقاصيصه ، مما دفعه إلى أن يعيد كتابة بعضها . أو يحذف منها جانباً أو أكثر كما سنرى . كما إنه اضطر في بعض الأحيان أن يحذف أقاصيص بأكملها لأنها لم تعد في نظره تمثل الفن الأصيل الذي يسعى إليه .

---

١ - جميع ما يرد في هذا الفصل تقريباً مستلخص من كتابه دراسات القصة والمسرح ، لأنه يمثل منبعاً لأغلب آرائه في الفن .

والسبب الآخر أن الأفكار والنظريات الخاصة بالأقصوصة أصبحت تراثاً إنسانياً مشتركاً يستطيع أن يفهمه كثيرون ممن لا علاقة لهم بالقصة نهائياً ، أو ممن لم يوهبوا المقدرة الفنية التي تجعل منهم كتّاباً لهم قيمة أدبية رفيعة .

وبهذه الطريقة نستطيع أن نفسر كيف أن كثيراً مما يعتبره تيمور عيباً في القصص الفني لا يزال يحتل مكاناً كبيراً في أقاصيصه وكيف أن كثيراً من المزايا الفنية التي ذكرها تيمور تفتقدها أقاصيصه في مجموعها فلا ترقى إلى مستوى تشيخوف الأديب الذي أعجب به تيمور كثيراً بل ولا مستوى موباسان استاذه (الأول) ، وكل قيمته في نظري أنه طور الأقصوصة في بعض مراحلها وأصبح حلقة في تطور الأقصوصة لها قيمتها .

ومع إشادتنا بقدرة تيمور على فهم الأقصوصة ومقوماتها وشوائبها ، إلا أن هذا الفهم يحوي بعضاً من المقاييس التي وإن كان يدين بها بعض النقاد وخاصة الأخلاقيون منهم ، إلا أنها في رأي البعض الآخر تعتبر من الأمور الضارة بالفن ، مثل فكرة الخير التي يلح تيمور على إبرازها على أساس أنها عنصر هام لا يكتمل الفن إلا بوجوده ، بل إنه لا يعتبر الفنان فناناً إلا إذا كان الخير غايته . وهو بذلك يعلل كل ما يقرؤه من مظاهر الشر في الفن ، أو مشاهده بأنه أداة من أدوات الخير ووسيلة من وسائل التعرف عليه . فبرواية الشر تظهر قيمة الخير وهكذا .

حتى إن فكرته هذه عن الخير تتسع وتعم الوجود كله فهو يقول : (إن النزعة المسيطرة على الوجود هي النزعة الخيرة ، وإن بذرة الخير كامنة من تلافيف هذا العالم) وهو يمزج بين الخير والجمال مزجاً فيجعلهما شيئاً متلازماً للفن ، فالجمال عنده أيضاً غاية الفن ، والفن إنما يعمل لتسجيل مظاهر الخير وتذوق فتنته الخ .[1]

---

١ ـ ص ٥ و٦ و١٠ و١١ من المرجع السابق .

بل إنه ليجعل الله على رأيه قد خلق العالم على أساس الحب والجمال : (فتشوا في هذا العالم عن الدميم بالمعنى الواسع لهذه الكلمة فلن تقفوا به على أثر[1]) .

ولكن هذا المفهوم الأخلاقي للفن لم يؤثر كما قلنا على قدرته على معالجة كثير من ادواء القصة عموماً ، مما حفلت به الأقاصيص التي عاصرته ، وخاصة في الحقبة الأولى من حياته القصصية أو التي تلقاها على اعتبارها قصصاً كتبت من الرواد الذين سبقوه . وهو عندما يبدأ في انتقاده لتلك الصفات ، يبدو كما لو أنه يناقض فكرة الخير التي كان يدعو إليها قبل صفحات من الكتاب .

(نأبى في بعض أدبنا القصصي الحديث الا ان نذيق الظالمين والاشرار وبال امرهم بين عشية وضحاها ولا نكاد ننظر احداً منهم الى يوم الدين) .

اننا نؤثر من القصة ان تنطوي على الموعظة الحسنة والعبرة النافعة ، ونحن نعبر عن هذه الخصلة تعبيرا من مأثوراتنا في القصص العربي فتساءل عن المغزى[2] بل انه ليقول صراحة انه لا يحمد ان تكون القصة ذات مغزى مقصود ولكن يجب ان تستوفي القصة المثالية عناصرها التي ترتفع بها الى مستوى القصص الفني .

وهو ينتقد ما يسميه بالخدعة التي يتناقلها النقاد ، والمتعلقة بفكرة ان القصة رسالتها تهذيب الاخلاق وتربية النفوس . كما انه ينتقد في المجال الابطال الاخيار المثاليين الممدوحين السعداء والآخرين الاشرار المذمومين الذين ينتهون الى شقاء . ويصفهم بانهم ليسوا من البشر ، كما يصفهم بانهم مكذوب بهم على

---

١ - ص ١٢

٢ - ص ٨٦

الحياة وعلى المجتمع وعلى الفضيلة والرذيلة جميعاً[1] .

وقد اجمل تيمور عيوب القصة العربية اجمالا جامعا لكل ادواتها تقريبا - كغلبة الاحكام العامة المطلقة على الشخصيات والمعاني واغفال التنازع بين الغرائز والمشاعر في نفس الانسان ، والنقمة على الضعف البشري تارة او التحيز له تارة اخرى ، واعلاء صوت الكاتب على صوت الشخصيات ، وايثار السرد والاخبار على التصوير وتهيئة الجو ، والافتنان بالاغراب في الحوادث والتصرفات دون تمهيد وتدريج والقصد الى الوعظ الظاهر وتمكن الجماهير فيما تعارفت عليه من اخلاق واوضاع وتقاليد ، والولع بالخواتيم الحاسمة المثيرة التي تنتصر للحق والخير وتعز الفضيلة والمثل الاعلى الخ .[2] .

وعلى هذا النحو من الدراسة والتحليل يتعمد تيمور في فهم كثير من جوانب الأقصوصة المختلفة فيحدثنا عن مجال الأقصوصة وكيف أنها تتناول جانباً من حياة لا كل جوانب هذه الحياة . . ولكن هذا لا يعفي الكاتب من أن يجعل موضوعه على قصره ناضجاً من وجهة التحليل والمعاني ، كما يحدثنا عن الموضوع والشخصيات والحوار في الأقصوصة كعناصر رئيسية لها ، كما يتحدث عن الوحدة الفنية وضرورة مراعاة جانب التلميح ما أمكن[3] .

وبالاختصار فإنه يقدم كثيراً من الحلول الإيجابية لمشاكل الأقصوصة مما يدل على معرفة دقيقة بأحوال هذا الفن واطلاع شامل فيما يتعلق به من محاسن ومساوىء .

---

١ - ص ٨٧ و٨٩ و٩١
٢ - ص ٩٦ و٩٧
٣ - ص ١٠٠ـ ١٠٧

رأي النقاد في تيمور

محمود تيمور أحد الكتّاب الذين قدروا تقديراً كبيراً سواء في العالم العربي ، أو في المجالات الأخرى التي لها علاقة بالأدب العربي والاهتمام به . ولعل أحد الأسباب الرئيسية في ذلك أنه كاتب مخضرم بدأ يكتب منذ نهاية الحرب العالمية الأولى واستمر إلى وفاته فهو بذلك يمثل الأقصوصة منذ أن كانت تحبو إلى أن أصبحت شيئاً له قيمته في عالم الأدب ، والسبب الآخر هو مقدرته المادية على توزيع كميات كبيرة من أقاصيصه كهدايا سواء في العالم الغربي أو في غيره ، وبذلك مكن كثيرين من الأطلاع على أدبه والكتابة عنه وتقديره في مستويات كثيرة .

وقد نال تيمور جائزة مجمع فؤاد الأول للغة العربية بتتويج إنتاجه القصصي باللغة الفصحى وكان ذلك لعام ١٩٤٧م .

كما نال جائزة الملك فؤاد الأول للآداب سنة ١٩٥٠م عن كتابيه «كل عام وأنتم بخير» و« إحسان لله » . ونال أيضاً جائزة واصف غالي باشا عام ١٩٥١م لكتاب (عزرائيل القرية وقصص أخرى)[١] . وقد وصفه الدكتور طه حسين بأنه أديب عالمي ، كما قال عنه إنه سبق إلى شيء لا يعرف (طه حسين) أن أحداً شاركه فيه في الشرق العربي كله إلى الآن . ويعني به القصص على مذهبه الحديث في العالم الغربي[٢] .

وبالرغم من أن الموقف كان مجاملة حين تكلم الدكتور طه حسين ، إلا أن هذا لا يمنع من إعطاء فكرة عن الصورة التي في ذهنه عن تيمور .

وغير طه حسين كثيرون كتبوا عنه ، سواء في الصحف والمجلات أو في

---

١ ـ ص ٣ من كتاب قصة محمود تيمور لأنور الجندي .

٢ ـ ص ٦ و٧ و٨ من ملامح وغضون .

الكتب وكلهم يجمع على أن تيمور كان له فضل تطوير الأقصوصة والخروج بها من مستوى الحوار إلى شكل إن لم يجعلها في مصاف الأقصوصة الغربية إلا إنه يعطيها شبهاً منها .

وإذا انتقلنا إلى مجال آخر أرحب من مجال الكتّاب والأدباء العرب أعني مجال المستشرقين والدارسين في الأدب العربي فإننا نجد تيمور قد نال مكانة مرموقة بسبب أقاصيصه ورواياته المختلفة ، كما نلاحظ أن عدداً لا بأس به من تلك الأقاصيص قد ترجم إلى الآداب الغربية ، وأصبح نموذجاً من نماذج الأدب العربي لدى أدباء الغرب .

ونذكر ممن كتب عن تيمور واهتم بأقاصيصه إثنان ؛ هما الدكتور « عبد الكريم جرمانوس » والمستشرق الروسي « اغناطيوس كراتشكوفسكي » ويعتبره الدكتور جرمانوس في مقدمته التي كتبها في الترجمة المجرية لعزرائيل القرية ، خير ممثلي الأدب العربي الحديث وأخصبهم إنتاجاً وأقواهم عبقرية . . لأنه أدرك إدراكاً صحيحاً المطالب الأدبية التي فرضها اسلوب الحياة الجديد .

وإن يكن قد غلف ثناءه له ببعض النقدات الفنية الجديرة بالتقدير ، بدون أن يلح عليها أو يبرزها كوصفه لأقاصيصه الأولى بأنها لمحات قصيرة عابرة ، وكقوله مرة أخرى عنه ، إنه يمتاز بالسرعة في الكتابة إلى حد أنني لا استطيع ملاحقته في قراءة المؤلفات التي يرسلها إلي .

كما لمس النزعة الأخلاقية عنده لمساً خفيفاً عندما قال إن الهدف الذي يستهدفه تيمور من إضفاء طابع السخرية على شخصياته هو الدعوة للفضيلة وتغلب نزعة الخير ، كما تحدث مرة أخرى عنه في مقال نشر بمجلة (Islamic Review) وقال عن رواياته الأولى إنها عجالات مقتضبة أو صور سريعة اختطفت اختطافاً دون علم أصحابها[1] .

---

١ ـ نقلاً عن ص ١٣ من كتاب قصة محمود تيمور لأنور الجندي .

أما الأستاذ كراتشكوفسكي ؛ فإنه يقرر بعد أن يقرأ أقاصيصه (على رؤوس الأشهاد) أن قصصه مبتكرة ذات طابع عربي صميم ، قد ولدت في الأدب العربي ، كما قال عنه إنه أصبح الكاتب المفضل المعترف به إجماعاً بالتفوق في أدب بلاده[1] .

قصص تيمور

١ - الفترة الأولى من حياته القصصية .

ليس للأستاذ محمود تيمور فيما نعلم أي نشاط أدبي ذي قيمة ، سبق مجموعة أقاصيصه (الشيخ جمعة) التي صدرت الطبعة الأولى منها عام ١٩٢٥ ، وكل ما وصلنا من إنتاجه السابق لتلك الأقاصيص ، مجموعة من الخواطر النفسية كتبها على طريقة القصائد المنثورة حوالي عام ١٩١٩ (أي نفس يا من ربيتك على الصبر والبلوى . . يا من مسحت دموعك السخية التي طالما سكبتها لخيبة الآمال الخ . [2]) .

وتيمور في هذه الخواطر ينحو منحى قصصياً في بعض الأحايين فيصور خواطره وأفكاره في حكاية يحكيها على النحو التالي : (ومشى الطفل الصغير ذو الأقدام الناعمة على الصحراء الخشنة الملتهبة ، مشى يفتش فيها عن الحقيقة فدخل المدينة ذات اللذة الكاملة ، يفتش عن الحقيقة فلم يجدها . . ثم دخل المدينة الثانية ذات النسيم الهادىء والحقول الخضراء والأكواخ الصامتة . الخ . . فلم يجد الحقيقة . . ثم دخل المدينة السوداء ذات الأسوار المظلمة والهواء المحروق والدخان المتكاثف ، الخ . . فوجدها ولكنه أصبح أعمى وأصم وأبكم فطوته في أحشائها وأسدلت عليه

---

١ - نقلاً عن مقال كتبه الأستاذ أحمد زكي عبد الغني .

٢ - مجلة السفور العدد ٢٠٩ ص ٣- السنة الخامسة سنة ١٩١٩ .

الستار[1]) ولعله يريد أن يقول من خلال هذه الحكاية إن الحقيقة لا تكتشف إلا بالموت .

ولم نتمكن بعد هذا التاريخ أو قبله من العثور على أي أثر أدبي له ، حتى ظهرت مجموعة (الشيخ جمعة) التي أشرنا إليها سابقاً ، ومجموعة (الشيخ جمعة) مع بعض المجموعات التي تلتها مثل (عم متولي) ، (الشيخ سيد العبيط) ، (الحاج شلبي) ، (رجب أفندي) ، (أبو علي عامل ارتست) ، (الشيخ عفا الله) ، تمثل المرحلة الأولى من حياته القصصية ، ولكن من الواجب أن نحترس في هذا الحكم ، فليست أول مجموعة صدرت بعدها تختلف عنها اختلافاً يجعل هذا الحكم سارياً على عمومياته ، لأن إنتاج الأديب لا يمكن أن يتحول من قصة إلى قصة أو من مجموعة إلى مجموعة بشكل فجائي ، بحيث يمكن أن يقال بصفة تقريرية جازمة إن هذه القصة تمثل تمثيلاً كاملاً بداية الطور الثاني ، أو نهاية الطور الأول من حياته القصصية ، لأن المجموعات الأولى نفسها تحمل بين طياتها بذور الأصالة الفنية . كما أن المجاميع التي تلتها تحمل رواسب من الرومانسية والمبالغة . . الخ ، مما حفلت به المجاميع الأولى .

كما أن هناك ملحوظة أخرى يجب أن نقدمها ، قبل البدء في دراسة المجموعة الأولى من هذه الأقاصيص وهذه الملحوظة هي أن تيمور بالرغم من أنه لقب برائد الأقصوصة ، وبالرغم من شخصيته الأدبية الكبيرة التي يحتلها بين المثقفين من قراء الأقصوصة ـ إلا إنه في عدد كبير من أقاصيصه وخاصة في هذه المجموعة التي نستعرضها الآن والتي تمثل الطور الأول من أطوار حياته القصصية نقول إلا أنه يمثل في كثير من هذه الأقاصيص بعض الملامح العامة من أقاصيص نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين .

وهذا أمر طبيعي لا يمكن أن يكون شاذاً ، فتيمور ككل أديب ابن بيئته

---

١ ـ عدد ٢١٢ من نفس السنة .

الثقافية اولاً ، والاجتماعية . . والعامة ثانياً ، ولكن الفرق بينه وبين من سبقوه من كتّاب الأقصوصة ـ الفرق الذي يميزه منذ البداية ـ إنه يحمل الحس الفني بين جنبيه منذ البداية .

فالأثر الذي تلقاه من البيئة المحيطة به ، والمفهوم العام للأقصوصة كواقع قرأه فيما سبقه من أقاصيص على بعده عن الأدب والفن بالمفهوم الذي نراه الآن والذي يراه تيمور أيضاً ، إن هذا الأثر مهما كان قوياً في أدباء تلك الفترة إلا إنه لم يحجب عن تيمور كثيراً من المفاهيم الأدبية الرفيعة ، فظل التياران يسيران في جو واحد ، تقرأ أقصوصة فتخالها من أقاصيص لبيبة هاشم والمشعلاني ، وتقرأ أخرى تذكرك بكتّاب القصة الكبار .

وقد ظهر هذا المنحى الفني السليم لدى تيمور منذ أول أقصوصة كتبها تحت عنوان (الشيخ جمعة) فقد خلت خلواً تاماً من مسايرة الذوق الشعبي والتأسي بالحواديت الشائعة في ذلك الوقت ، كما خلت من المبالغات التي لا معنى لها ، والتي تفقد القصة أهميتها ، ولم تحتو على المعالجات الرومانسية التي شاهدناها في تلك الفترة إذ تنقل في بساطة صورة الحياة الريفية والحكايات الخيالية عن سيدنا سليمان والنسر الهرم الذي عاش الف سنة ، وحكايات السيد البدوي الذي حارب الجيوش قبل أن يولد ، وجذوة النار التي طارت من جهنم وحلت بأرضنا منذ حارب الجن والأنس على السواء . . الخ .

وإن كان فيها شيء يمكن أن يؤاخذ الكاتب عليه فهي الأسطر التقريرية التي الحقت بنهاية الأقصوصة والتي تحدثنا عن الفرق بين حياة البساطة والحياة الحديثة المعقدة .

ولو أن تيمور سار على هذه الطريقة ، مع العناية بالحبكة والتركيز على حادثة واحدة ، لأصبحت قصته نوعاً جديداً .

وإذن فتيمور كما نرى منذ أول أثر قصصي له ، يبرهن على أنه يتمتع

بمقدرة فنية ، وحس أدبي ، ولكنه كما أشرنـا لم يستطع ـ وهـذا طبيعـي ـ أن يتخلص منذ البداية من المفاهيم العامة التي كان يـدين بهـا عصره كما سنرى مـن هذه الدراسة .

أبطال تيمور

الأمر الذي يشده قارىء هذه المجموعة الأولى من أقاصيص تيمور هـو أن كثيرا من ابطالها من الشواذ ، وهذا الشذوذ الذي ابتـلاهم بـه تيمـور ، لم يقتصر على فئة دون أخرى ولم يقتصر على نوع واحد ، فهو إما شذوذ في الخلقـة ، بحيـث يرسم لك صورة البطل بطريقة منفرة للغاية ، ربما ليلائم بين خلقته وخلقه أو بين مظهره ومخبره ، وربما أيضاً لينفرك من النموذج الـذي قـدمه لك ، وإمـا أن يـكون الشذوذ في التصرفات والأفعال التي يمارسها أبطاله بحيـث تحس وأنـت تقـرأ هـذه الأقاصيص أنك أمام فئة معينة من الناس أو قطاع خاص أبى تيمور إلا أن يختـاره من دون القطاعات العامة في الحياة ، فأصبحت تجد مـن النـادر بـطلا رئيسـيا في القصة سوي الخلقة أو الخلق ، وإذا قدر له أن يوجد ، فلا بد أن يحدث الـكاتب فيه عاهة ، أو يصمه بسوء في النهاية .

وليست هذه الظاهرة مقتصرة على بيئة دون أخرى ، فأبطاله سواءاً كانـوا من الريف ، أم المدن فقراء أم أغنياء ، بسـطاء أم ارستقراطيين ، لا بـد لك أن تجدهم مصابين ، إما في مظهرهم أو عاداتهم ، هذا طبعاً هو الغـالب إذ لا يعـدم القارىء بعض الأقاصيص التي قدمت شخصياتها بطريقة عادية .

ولا شك إن الحياة مزيج من هذا وذاك ، فيها القبيح الذي أسرف تيمور في تصويره وفيها الحسن الذي لم يلتفت إليه ، كما إن فيها من المآسي التي رسمها لنا نفس القدر من المسرات ، وكان باستطاعته حين يـرسم صـورة مـأتم ، أن يـرسم

بجواره صورة عرس ، وبجانب القبيح القمي ، الشخص السوي الذي لا تشوهه عاهة أو تنفر منه نقيصة .

ولكنه لم يفعل ، وهذا بدون شك أمر يدعو إلى التساؤل والحيرة ، وإن كان يبدو لنا أن ملازمة المرض للكاتب منذ أول شبابه وحرمانه من الاستمرار في التعليم العالي علاوة على إحساسه الدائم بأن الحياة مليئة بالمنغصات ، وإنه هو شخصياً لا يستطيع أن يشارك الأصحاء في الحياة مشاركة إيجابية كما ينبغي ، وإنه بدلا من أن يختار الطريق التي يراها في اموره العامة والخاصة ، أصبح بدلا عن ذلك وبسبب المرض يسير وفقا لأهواء الآخرين من الأطباء الذين يطلبون إليه أن يتصرف على نحو معين هم رسموه في مأكله ومشربه ومنامه ، وحتى في مواعيده ومقادير كل ذلك ، مما أشعره بغصة يحسها كل من يتحدث معه في هذا الموضوع ، وإن كان قد أخلد في الأخير الى نوع من الرضا بما قسم له بعد أن وجد أن لا جدوى من التبرم والشكوى .

ربما يكون كل ذلك استقر في (واعيته) على نحو أو آخر ، فأصبح يمده عندما يبحث عن الشخصيات التي يرسمها بهذا النوع من النماذج التي تحدثنا عنها .

ربما كان هذا هو السبب وربما كانت هناك أسباب أخرى نفسية أبعد غوراً من هذا السبب ، ولكننا لم نتوصل إليها لأن الكاتب من النوع ، الذي لا يعطي من نفسه حتى لدارسه إلا بقدر محدود .

ومهما يكن من شيء فهذه ظاهرة نلمسها في كثير من أقاصيصه ، ولا تكاد تخلو منها مجموعة من المجموعات التي أشرنا إليها ، ولنضرب على ذلك بعض الأمثلة :

في المجموعة الأولى ـ نجد مثلاً أقصوصة (يحفظ في البوستة)[1] .

فكري بك يدعي الجمال والخفة وهو بريء منها .

---

١ ـ ص ٧٠ ـ ٨٠ الشيخ جمعة الطبعة الثانية سنة ١٩٢٧ .

كامل بك ليس له مشتهى أو رغبة في الحياة غير الزينة واللبس .

مراد بك صامت يظن نفسه على علم واسع وتجارب عظيمة ـ مصاب بداء العظمة .

ونصري بطل أقصوصة الجنون فنون[1] . شاذ أيضاً من هواة الغناء والتمثيل يبدد نقوده ويقترض المبالغ ليسدد ديونه ، ويطعم أولاده ولكنه حين يلتقي بفتاة خليعة من خليعات الأزبكية كانت خليلته فيما مضى فإنه يترك زوجته وأطفاله الأربعة الذين يتضورون من الجوع ، ومولوده الجديد الذي لا يجد ما يغطي جسده ليقضي اليوم مع خليلة الماضي .

وفي (هي الحياة)[2] ـ سلامة أفندي ـ شاب شهواني أرعن ، توفيق بك من الأدعياء ، وحسين أفندي أصابته النورستانيا الحادة في بدء شبابه فجعلت مشيته وتجعيدات وجهه دائم التقطيب والتفكير يقرأ دائماً فلسفة التشاؤم أصيب بنازلة مالية ، ولما يناهز الخامسة عشرة ، يعول والدته المصابة بالفالج ، ووالده الكسيح وشقيقتيه كريهتي المنظر العانستين !!

هذا عدى شخص قتله المؤلف يسمى بكري .

وفي المجموعة الثانية ، نجد بطل أقصوصة (صديقي تلميذاً وموظفاً)[3] ـ عبد الغني الذي كان كسولا مشهوراً بالغباء والجهل بالرغم من أنه بطل في الكورة ، وكل القصة تدور حول حبه للأبهة والأناقة والأنفاق عن سعة ، وحب المظاهر وشرب الوسكي والكونياك . الخ . وفي المجموعة الثالثة ، مساعد البستاني غلام على هيئة الغوريلا مجعد البشرة له صوت خشن وكحة مزعجة .

ومثله الشيخ الزيني ، رجل قصير ، غليظ الجسم كأنه كرة من الشحم

---

١ ـ ص ٨٢ ـ ٨٥ المجموعة السابقة .

٢ ـ ص ٩٨ ـ ١١٢ الشيخ جمعة .

٣ ـ ص ٥٠ ـ ١٧٤ الشيخ سيد الغبيط سنة ١٩٢٦ ـ المطبعة السلفية .

أعمش العينين يتخذ في قعوده على الكنبة جلسة وقحة وله رائحة كريهة لا تطاق في فصل الصيف[1] .

وأم زيان[2] ليست امرأة سوية ؛ لها شخصية صلبة قاسية ، في أول الرواية يموت زوجها وأطفالها الذين كانت تعج بهم الدار ، الكبار والصغار ولا يبق لها إلا بنية تزوجت وماتت . وخلفت الغالي ، ومع هذا فليس هناك رد فعل لديها بالنسبة لكل هذه المصائب ، وكأنها جماد ، لا يرى وجهها عبوسة اليأس ولا ثورة السخط . . ولكنها في النهاية تتحول إلى شخصية أشبه ما تكون بشخصيات المجاذيب ، تجلس أمام الفرن ، تحدث الغالي وتروي له القصص والنوادر ، وتضع أحد جلابيبه في حجرها ثم تهزه وتبدأ تغني له أغاني المستقبل ، ودموعها تجري في مآقيها ، يحدث كل هذا التحول فجأة دون مبرر .

وفي نفس المجموعة أقصوصة (إلى الجنة)[3] يصل فيها شذوذ البطل إلى القمة فبعد أن تتثبت في ذهنه فكرة الجنة يستأجر إنساناً ليقتل شخصاً سيخرج من داره في موعد محدد ثم يتضح أن المقتول هو البطل نفسه الذي استأجر القاتل . بزعم أنه سيقتل بواسطته شخصاً آخر .

ومجموعتا الحاج شلبي ، والشيخ عفا الله بهما عدد من الشخصيات المشوهة لابأس به .

المرأة عند تيمور

وليست المرأة أحسن حظاً من الرجل في أقاصيص تيمور بل ربما كانت

---

١ - راجع ص ٣ و٥ من الأطلال وقصص أخرى عام ٣٤ـ المطبعة السلفية .

٢ - ص ٢ و١٣ أبو علي عامل ارتست سنة ٣٤ المطبعة السلفية .

٣ - ص ١٦ـ ٢٨ المرجع السابق .

أسوأ منه ، فمنذ أن بدأ يكتب أقاصيصه عام ٢٥ حتى سنة ٣٦ التي أصدر فيها مجموعة الشيخ عفا الله ، لا تكاد تجد امرأة معتدلة في مسلكها كأية امرأة تحفل بها المجتمعات بل إن كل بطلاته منحرفات .

فأول سيدة نقابلها في مجموعة الشيخ سيد العبيط[١] تصطاد أحد الشبان « ١٧ سنة » ، الذين لا يتجاوزون سن أبنائها ، من الشارع بكلمة بسيطة للغاية (إتفضل يا بيه) فيتفضل في عربتها ، ثم إذا ملّها تبادلها مع عشيقة صديقه التي لا تفترق عنها كثيراً .

والملاحظ هنا علاوة على اختياره للمرأة من نوع معين أن بطلتيه هما اللتان تتبعان الشابين وليس العكس . وربما كان لذلك دلالة على وضع نفسي للكاتب حين كتب الأقصوصة . . ؟

وفي أقصوصة الأجرة[٢] نجد بطلة القصة إقبال هانم ، التي أنهك الفجور جسدها ولم تستطع دفع أجرة الحوذي ستة مرات خرجت فيها للنزهة ولزيارة صويحباتها فأغرته حتى رضي بجسدها بديلاً عن المبلغ .

ولعله أحس وهو يكتبها بتساؤلات القراء عن أسباب اختياره لهذا النوع من النساء دون غيرهن ، فاعتذر عن ذلك في مقدمة هذه الأقصوصة بقوله : (من حقائق الحياة التي تجري تحت ستار الخفاء ، ما هو فاضح مؤلم لكاتب القصص الذي شعاره دائماً وصف الحقائق كما هي ، يرى من واجبه عرض هذه الفضائح المؤلمة مهما كانت قاسية) .

وبطلة (واسطة تعارف)[٣] أيضاً غانية .

وفي (جريمة حب)[٤] تخون البطلة زوجها ، ويهم بقتلها ، ولكنه لا يكاد

---

١ ـ ص ١١٠ ـ ١٢٤ الشيخ سيد العبيط .
٢ ـ ص ٢٦ ـ ٣٥ الشيخ جمعة .
٣ ـ ص ٤٨ ـ ٦٠ الشيخ جمعة .
٤ ـ ص ١٣٠ ـ ١٣٩ مجموعة الأطلال .

يراها حتى تكلمه في لهجة تأنيب فيرتد ثم يفرغ الرصاص على نفسه.

وفي (جحيم إمرأة)[1] و(إلى الحضيض)[2] نجد في الأولى زوجة الخواجة نعوم تخونه مع عبد الرسول، كما أن البطلة في الثانية راقصة.

ومع اختياره لهذا النوع من السيدات، إلا أنه في بعض أقاصيصه من مجموعة (الشيخ عفا الله) التي أيضاً كانت البطلات فيها من نفس النوع إلا أنه اختار لهن نوعاً من العزاء، إما في حياتهن أو بعد الممات، ففي (التوبة) جعل البطل يتزوج من إحدى بائعات الهوى، والشيخ علوان في أقصوصة نجية بنت الفقي. يحب فتاة سيئة الخلق في النهاية حباً أعمى.

ومثل الشيخ علوان بطل أقصوصة تكفير التي كفر فيها البطل عما عمله تجاه زوجته تكفيراً غير معقول[3].

موقفه من أبطاله

وتيمور بعد أن عرضنا فكرة سريعة عن الشخصيات التي يقدمها، نلاحظ أنه لا يعطف على هذه الشخصيات إلا في النادر كما سنرى، بل إن الأوصاف التي يصف بها هؤلاء الأبطال المشوهين تدل على حقده عليهم، وكراهيته لهم كراهية شديدة، وكأنه يبرأ من أعمالهم أو يتخلى عن تصرفاتهم.

فتقرأ في أقصوصة (الأجرة) هذه الأوصاف لأبطاله:

شاب فاسد الأخلاق مقامر سكير.

غزى قلبها بسموم الرذيلة والدناءة.

تحمل في نفسها قروح العار والدناءة.

---

١ - ص ٤٦- ٦٦ أبو علي عامل ارتست.

٢ - ٩٠- ١١١ من نفس المرجع.

٣ - راجع صفحات ٨٢ وما بعدها و ١١٥ وما بعدها و ١٢٣ وما بعدها.

مقامرة متهتكة موبوءة بالأجرام ، بسائر المخدرات والمكيفات خصوصاً الكوكائين .

كما يصف آخر في أقصوصة (سيدنا)[1] ، بأنه متعصب في الدين تعصباً أعمى ، عامي أحمق جهول ، لا يعلم من أمور الدين غير السخف ، ومن أمور الدنيا غير البدع والأباطيل .

وعندما يتحدث عن سلامة أفندي[2] ، يقول إنه شهواني أرعن له خليلة من المومسات المنحطات التقطها من الشوارع القذرة ، يأتي الفاحشة جهاراً وبلا حساب ، أنهكته معيشة الفجور فأصبح وجهه كالمومياء ينذر بموت عاجل .

وفي أقصوصة النجية[3] ، يقول عن الفتى . . (لم تكن تعجبني هيئة هذا الفتى ولا أسلوبه الوقح في الكلام . . ولسانه القذر يرشق هؤلاء النسوة بغزله الكريه ولعل مرد هذا ، إلى أن تيمور بطبيعته التي لازمته طويلاً ومنشأه المحافظ وكونه ولد في بيت علم وأدب ، فإن هذه التصرفات التي تصدر عن أبطاله لا ترضيه ، ويعتبر تقديمه لنماذجها من باب التحذير منها .

يضاف إلى ذلك إن فنه القصصي لم ينضج في ذلك الوقت . . بحيث يتمكن من عرض أفكاره عن هؤلاء الأبطال بدون أن يصفهم بكل هذه الأوصاف التي لا يمكن أن توجد في قصة ، بل ولا حتى في مقال عام ، لأن هذه الطريقة في المعالجة ربما أدت إلى رد فعل عند القارىء ، والكتّاب الذين يتهجمون بهذه الطريقة على نوع من التصرفات ينظر إليهم القارىء على أنهم متزمتون ، مصابون بضيق الأفق ، لم يجدوا وسيلة إلى المعالجة سوى هذه الوسيلة .

وإذا نظرنا إلى هؤلاء الأبطال من زاوية أخرى ، أعني من حيث

---

١ ـ ص ٢٨ ـ ٤٥ الشيخ جمعة .
٢ ـ ص ٩٨ ـ ١١٢ الشيخ جمعة .
٣ ـ ص ٢١ وما بعدها من مجموعة الشيخ عفا الله .

مستواهم الإجتماعي والبيئة التي يمثلونها ، فإننا نجـدها بيئتـين ، بيئـة أسرتـه الأرستقراطية ، وبيئة الفلاحين والأرياف التي عاش بها ردحاً من الزمن ، يضـاف إليهما شخصيات مختلفة من الطبقة الـوسطى الـكادحة ، كالحـلاقين ، ومجلـدي الكتب ، وخدم المحلات ، وبعض الغانيات ، الخ . .

موضوعات تيمور .

تيمور كما لاحظنا في الفصل السابق أديب واقعي ، كما يقول عـن نفسه وكما يقول عنه نقاده ، ليس هذا فحسب بل كما تشهد به أقاصيصه .

واذن فهو لا يكتب قصصا خرافية لم تحدث ، ولا يكتب عن عوالم غيبية لا يلمسها وانما هو يمتح من مجتمعه وواقعه ، وينقل الى القـراء مـا يـراه في هـذا المجتمع . مع موقفه هو من كل ذلك ان خيرا وان شرا ، لا بد اذن كنتيجـة لـكل ذلك ان نجد مواضيع اقاصيصه صورا مما يدور في عصره طبعا بـالاختلاف الـذي يحدث عادة بين اللوحة التي يرسمها الفنان وبين الواقع كما يراه الرائي . او بمعـنى آخر هو الفرق بين المنظر الخارجي المجرد ، وبين هذا المنظر مضافا اليـه جـزء مـن نفس الكاتب او الفنان . اذن فالمواضيع التي يطرقها تيمور هي من الـواقع الـذي عاشه عصره . .

وبامكاننا ان نلمّ بهذه المواضيع التي احتوت عليها اقاصيصه التي كتبهـا في الفترة الاولى من حياته القصصية .

في الجانب الديني مثلا نجد ان :

تيمور كما يظهر من خلال هذه المجموعة ، ناقم ثائر على بعض الاوضـاع الشاذة . التي ترتكب باسم الدين ، وهو لا يتحدث فيهـا مهـاجما للـدين نفسـه منتقدا له ، بل على العكس لا تكاد تجد جملة تلمس من خلالها ان تيمور لا يؤمن

بالاديان او يعارضها ولم يجر على لسان بطله كلمة يشتم منها انكاره للاديان ، او انتقاده لها بل انه لا يكاد يتعرض في قصصه للامور التي تدخل في صميم الدين ، وان اضطره المجال ان يقدم لك صورة من ذلك كما حدث احيانا حين رسم صورة لرمضان ، فانه ينقل اليك الجو الذي يحبب رمضان الى نفسك لا ما يكرهك فيه .

لا يستثنى من هذه القاعدة فيما اعلم ، الا مرة واحدة حين اجرى على لسان بطله (الشيخ عفا الله) جملة (لقد تألبت علي الاقدار وسأظل حتى النهاية ذلك المتمرد العاصي) وكانت هذه اجابة منه على سؤال الراوي . (لماذا لا تعود الى صلاحك وتطلب مغفرة الله ؟ [1]

وهذه الجملة لا يمكن ان تكون دليلا على ان تيمور ينحو منحى بطل الرواية . بل ان القارىء ليقرؤها على علاتها متابعا الظروف التي مرت بالبطل حتى دفعته الى هذه النهاية .

اما الجانب الذي يهاجمه تيمور فهو القشور التي علقت بالدين وليست منه ، كادعاء الولاية ، والتعصب الاعمى ، والرجعية المقيتة باسم الدين ، واستعمال المحللين كوسيلة دينية يلجأ اليها السذج لاستعادة زوجاتهم .

فمحاربة الولاية نجدها متمثلة في اقصوصة الشيخ سيد العبيط مثلا الذي صوره تيمور تصويرا بشعا ينفر الناس منه ، وهذا هو ما قصده بطبيعة الحال ،فجسمه ضخم الى حد هائل مخيف ، طويل القامة غليظ الرقبة والوجه ، ملامحه مشوهة وعيناه جاحظتان ، وانفه افطس ، له كرش ضخم ، وملابس قذرة ، حتى ان الطفل الارستقراطي استبعد ان تبنى القباب حول هذا الانسان ، لانه يتصور الاولياء نظاف الملابس جميلي الصورة . .

وانتهى به الامر الى ان تخيله شيطانا من شياطين جهنم .

---

١ ـ ص ١٨ الشيخ عفا الله وقصص اخرى .

واستمر تيمور معه حتى قتله الفلاحون ، ولم يكتف بذلك بل جعل اللعنة تتبعه في قبره لتنبت على جدثه شجرة جميز يرجمها الناس بالحجارة . وكأنهم يرجمون ابليس ، وتيمور بذلك انما يريد ان يقضي على الولاية قضاءا مبرما حتى لا تقوم لها قائمة بعد ذلك ، فلم يجد ابشع من هذه الصورة فالصقها بالشيخ سيد العبيط .

اما مشكلة المحللين فقد عالجها في اكثر من اقصوصة من اقاصيصه ، مثل اقصوصة سيدنا[1] التي يبحث فيها الفراش عن طريقة لاعادة زوجته حتى يجدها عند سيدنا الذي افتى اول الامر بان ارجاع الزوجة حرام ثم عندما اخذ العشرين قرشا افتى بانه حلال .

ومثل سيدنا . . . الشيخ نعيم الامام[2] الذي عاش اياما جميلة حافلة يستمتع فيها بنساء القرية على هواه ، بدون ان يتمكن احد من معارضته لانه يتولى هذه العملية بسبب ديني فهو المحلل لهم ، وهو الشخص الوحيد الذي يستطيع ان يعيد الى الفلاح زوجته بعد ان يقضي معها ليلة او ليالي ممتعة . . والاقصوصة تمثل جهل الفلاحين وانقيادهم الاعمى وراء كل داع باسم الدين مهما كان كاذبا . حتى ان الشيخ نعيم هذا عندما يستأثر بواحدة من نساء القرية لان هاتفا جاءه ليحتفظ بها ، يحرض الفلاحين ضد زوجها الذي تصور اول الامر ان الموضوع سينتهي كالعادة بعد يوم او ايام ، وينصاع الفلاحون لارادة الشيخ ، فيهددون الفتى ثم يوسعونه ضربا ولكما ، لانه تطاول على مقام الشيخ الإمام .

وتتعدى معالجته هذه النواحي الى موضوع التعصب باسم الدين ،

---

١ - ص ٢٨ - ٤٥ الشيخ جمعة وقصص اخرى عام ١٩٢٧ ط٢ .

٢ - ص ١٦٣ - ١٧٥ الحاج شلبي ، مطبعة الاعتماد سنة ١٩٣٠ .

فيرسم لك صورة شيخ (الشيخ موافى)[1] يضطهد ابنته لانه ضبطها وهي تنظر الى الفلاح عزازي نظرة كلها فجور واشتهاء ، فيعلم ان الشيطان قد حل في جسمها فيقلل لها الطعام ويعذبها ثم يضربها ، ويصيح بالشيطان اخرج اخرج حتى يقتلها .

وعلاوة على ذلك فقد تعرض تيمور في هذه المجموعة من اقاصيصه ، لعدد كبير من ادواء المجتمع ، واخذ يعالجها معالجة المصلح الاجتماعي الذي يعزّ عليه ان يكون مجتمعه حافلا بهذا العدد من الادواء ، كالانحلال الخلقي الذي صوره في اكثر من قصة من اقاصيصه بطريقة تنفر منه ، وكالزيف الاجتماعي ، والبخل ، والتظاهر بغير الواقع ، والضياع ، وبمعنى آخر كل نقيصة من نواقص المجتمع . والقارىء لهذه المجموعة من اقاصيصه يكاد يخرج بنتيجة واحدة هي :

ان المجتمع الذي وصفه تيمور او كتب عنه ، مجتمع فاسد تنتشر فيه كثير من النقائص وهو يعتنق كثيرا من الافكار الضارة ، وانه مجتمع قاتم ليس فيه اي مظهر من مظاهر الحيوية ، او حتى الاعتدال . . . وبطبيعة الحال لم تكن هذه هي الصورة الوحيدة للمجتمع المصري في الربع الثاني من القرن العشرين ، وان كان المرء لا يستطيع ان ينكر ان هذا جانب من جوانب الحياة فيه ، ولكنه ليس هو الحياة بكاملها .

---

١ - ص ٦٨ - ٨٧ ابو علي عامل ارتست ١٩١٤ المطبعة السلفية .

المستوى الفني لاقاصيص تيمور .

لتيمور بدون شك مقدرة فنية اصيلة تظهر كما سبق ان عرضنا منذ اول اقصوصة كتبها ، وهذه المقدرة تبدو واضحة كل الوضوح في تحليله لبعض شخصيات اقاصيصه تحليلا يطلعك على دخائلها النفسية فتحس بان الكاتب قد عاش هذه الاقاصيص ، او على الاقل هذه المواقف ، وتمثلها في نفسه تمثلا حسنا ، ثم اخرجها للقارىء كلمات صادقة معبرة ، كما ان هذه المقدرة تبدو لك واضحة احيانا في اختياره لبعض الشخصيات التي يرسمها .

واختيار الكاتب للقطاع الذي يتحدث عنه او الشخصية التي يرسمها دليل على صدق فنه ، او عدم صدقه ، اذ ليس كل منظر من مناظر الحياة يصلح ان يكون مادة للقصة ، ولا كل حادث يصح ان يكون موضوعا لها ، مهما كانت قيمته في أعين الناس لان للأديب حاسة خاصة يحس بها ، ويلتقط بواسطتها المناظر والمواقف التي يفرغها في اقاصيصه .

ولكنا مع الاسف نفتقد هذه الاصالة في كثير من انتاج هذه الفترة التي سبق ان عرضنا درسا لابطالها وموضوعاتها . . ، فمن الاقاصيص التي استطاع تيمور ان يرسم فيها صورة انسانية لطبقة معينة من الناس غنية ميسورة الحال ولكنها شحيحة كزة لا تكاد تجود باقل القليل ، ومع هذا فان المجتمع في النهاية يمجدها وينسى لها كل سوءاتها ، تلكم هي اقصوصة (حسن اغا)[1] الذي كان يدعو الله دائما بقوله : (اللهم يا خالق السموات والارض بحق بيتك ورسولك اشرف الخلق الا مارزقتني مالا لا يعد ، واطيانا لا تحصى ولا تعد ، وجواهر

---

١ ـ ص ١٥٠ ـ ١٥٦ مجموعة الاطلال .

بعدد ، حبات الرمال وخيرات عظيمة كالجبال . . اللهم امنحنى رضاءك وادخلني جناتك واجعلني من عبيدك الاغنياء المخلصين آمين يا رب العالمين) .

وكل الاقصوصة تدور حول عواطف هذا الانسان النفسية ، حبه للحياة وبخله وتحامله على شقيقه الذي يتصور انه يريد ماله وانه يريده ان يموت حتى يرث امواله فيدفعه هذا الاحساس الى الاساءة لاخيه شر الاساءة . . والانتقام منه أفظع الانتقام كما يدفعه الى التشبث بالحياة بكل الطرق فهو لا يتورع عن جمع الدجالين ليرقوه ويعوذوه ويحموه من الموت الذي أوشك ان ينشب اظافره فيه .

وعندما يحس بان الموت مدركه لا محالة ، يوصي باموأله للاعمال الخيرية ، وتحس بانه لم يقدم على هذا العمل عن حب للخير او الانسانية او رغبة في ان يسدي الى الآخرين نوعا من المعروف ولكنك تحس بانه كان يريد ان ينتقم من اخيه الذي تصوره الشامت عليه في وفاته .

ومع كل هذا فالمجتمع الزائف الذي كثيرا ما يظهر السيئات على انها حسنات يحتفي بحسن اغا في وفاته ، ويؤبنه على صفحات الجرائد ، كمحسن كبير أسدى للانسانية معروفا لا ينسى .

وفي « جحيم امرأة »[1] يقدم تيمور نموذجا انسانيا آخر ، لعله اكثر روعة من النموذج السابق . . الخواجة (نعوم) ـ صاحب المقاهي العديدة . سابقا في بر الشام والذي قدم مصر ليعيش فيها خمسة عشر عاما في مشاريع وهمية ، لا تمت الى الواقع يبنيها في خياله ، كقصور من الرمال ، لا تلبث ان تنهار ، ليعود هو في بنائها من جديد ، وزوجته الحسناء التي اصبحت في عز شبابها بينما بدأت الشيخوخة تغزوه هو بكل ما لهذا الموضع من مساوىء ، وما يترتب عليه ، من

---

١ ـ ص ٤٦ ـ ٦٦ ابو علي عامل ارتست وقصص اخرى .

خيانة للخواجه الحالم بمشروعاته الوهمية .

والقارىء لهذه القصة ، لعله يتذكر على نحو ما اقصوصة (جهاز العرس) ، لتشيكوف التي قضت البطلة فيها حياتها كلها تحلم بجهاز العرس وتجهيزه ، والصبا يمر عليها ، ثم يعقبه الخريف ، وهي تعد جهاز العرس وتحلم بالمستقبل الرائع الذي ينتظرها ، انها تشبه في موقفها ذلك الخواجة نعوم الذي يحلم بهذه المشاريع ولا يستطيع ان يحقق منها شيئا ، بل ولا يحس بالزمن الذي يمر به فيحول عنه زوجته ، بعد ان تحول شبابه هو الى كهولة .

كما ان النموذج الآخر الذي قدمه تيمور في هذه الاقصوصة نموذج انساني بدون شك يمثل نوعا من الصراع بين عواطف الانسان النبيلة وغرائزه ، بين موقفه كشاب له مطامح ، وشفقته في الوقت نفسه ومحاولته التكفير عن سيئاته ، فعبد السلام بعد ان يقضي الليلة مع مدام نعوم ... في غرفتها وبجوار زوجها وهو في غرفته الثانية ، يشعر بتقزز من نفسه ، ويحاول ان يهرب من هذا الموقف الذي تورط فيه كما يحاول ان يكفر عن خطئه ، ولا يجد طريقة للتكفير الا المساهمة مع الخواجة نعوم في مشروعه الوهمي « الكازينو » ، فيدفع له مبلغ ثلاثين جنيها كمساهمة واقتناع في هذا المشروع ، وكأنه بذلك يعيد للرجل كرامته ، ويشعره بانه يقوم بعمل ذي قيمة ، وانه هو احد المقتنعين بهذا العمل ، وعبد السلام في هذه الاقصوصة يمثل الضمير الانساني او يمثل على الأصح شخصية تيمور ، او على الاقل نظرته الى الاشياء .

وبالرغم من قيمة هذه الاقصوصة من الناحية الفنية الا ان فيها بعض المناظر او الحوادث التي لا ترتفع عن المستوى العادي للاحداث ، كاختفاء عبد السلام تحت السرير . الخ مما يفقد الاقصوصة كثيرا من جمالها ، ولو احتال

الكاتب على جمع عبد السلام مع مدام نعوم في مكان آخر لاستراح من هذا المنظر الذي ملته اقلام الكتاب . . ولكنه على ما يبدو يريد ان يظهر الخواجة بمظهر العبيط الذي لا يحس بما يدور حوله .

ومهما يكن من شيء ، فان ذلك لا ينقص من قيمة هذه الاقصوصة ، التي لا نعرف سببا لان يحذفها تيمور من مجموعة اقاصيصه في الطبعات التالية ولعله احس بعد ان تقدمت به السن ، ان هذا النوع من الاقاصيص يمت الى عصر من حياته مضى ، وان عليه ان يتخلص منه .

كما ان « الاطلال »[1] . من اعمال تيمور الفنية التي لها قيمتها ، فقد رسم فيها بدقة متناهية جو الحياة الارستقراطية ، الخدم العديدون ، والزوار الذين يقضون الايام والاسابيع والمنزل الشبيه بالقلاع القديمة بسوره العالي ومخابئه العديدة ، ومستلزمات الحياة الارستقراطية من أغا وداده . . الخ ، مع تقديم صورة طريفة لتلك العقليات كالكلمة التي تجري على لسان الاغا (من قال لك اني تعلمت في مدارس يا قليل الحياء) ويصف المدرسة بانها سجن[2] مع تصوير لملابسهم فالاغا يلبس الردنجوت والسايس بالملابس المقصبة ، حتى حفيدة اجلال هانم الارستقراطية ترفض ان تركب في عربة يقودها سائق يلبس جلبابا[3] .

ولكنك تحس بعد ان تنتهي من قراءتها ان تيمور بالرغم من انه عاش حياته في جو شبيه بهذا الجو ، الا انه كانما كان يودع هذه الطبقة .

فقد اوشكت الاسرة على الافلاس ومات جميع افرادها عدا البطل ، كما

---

١ ـ هذه لا يمكن ان تسمى اقصوصة ولعل من الممكن ان يقال عنها انها من نوع (Long-Short Story) .

٢ ـ ص ٨ .

٣ ـ ص ١٦ .

تحس حين المقارنة بين فتاتي القصة تهاني الارستقراطية المتعجرفة التي تقضي ايامها في اسطنبول ، وفتحية الفتاة المتوسطة الحال ، بان تيمور يعطف على الاخيرة ، كما يجعلك من اول الامر تعطف على الضابط في المدرسة وتكره حصة اللغة العربية وشيخها المتحجر ذا القفا العريض والعيون النارية .

وتحس بالبساطة المتناهية التي تحبب اليك الاقصوصة وانت تتبع المؤلف في سرده لحكايات حياة البطل في المدرسة . . . ومظاهر تلك الحياة بكل ما فيها من روعة الطفولة وبهائها .

كما يروعك عندما يصور لك تفتح ميوله الجنسية ، على يد ام خضير التي كانت تحبه وتكشف امامه في هدوء الستار عن عالم لم يدخله بعد .

وتصويره لتهاني المتكبرة التي تنصاع له عندما ينهال عليها ضربا ، يدلك على انه اصبح يعتمد على علم النفس في تحليله لشخصيات ابطاله وتصويره لهم . كما ان تصويره لتردد البطل في قتل اخيه ، وتصور ذلك في ذهنه . يدلك على مدى تعمق الكاتب لنفسيات هؤلاء الابطال . . ومع هذا فهناك قليل من الهنات التي يمكن التغاضي عنها لانها لا تفقد القصة قيمتها .

ومهما يكن من شيء فان هذا المستوى لاقاصيص تيمور لم يكن هو طابع هذه المجموعة المميز ، بل ان الطابع العام لها مليء بكثير من الهنات التي كان ينبغي له ان يتخلص منها ، فالاسلوب التقريري مثلا لا يصلح ان يكون وسيلة للتعبير في الاقاصيص ، وعلى الكاتب الذي يريد ان يلقي ضوءا على حقيقة من الحقائق فيبرزها ان يجعل القارىء يحس بتلك الحقيقة من خلال السرد القصصي ، ومن مجموع ، المناظر والصور المقدمة له ، عليه ان يجعله يستنتجها هو ، اما ان يحدثه عن الحياة بهذه الطريقة فلا : ـ

(ولكن هذه هي الحياة[1] بنظمها الطبيعية القاسية نظم تنازع البقاء والانانية نظم الجهاد والتطاحن بلا رحمة تنزع الابن من ابيه ، والاب من ابنه ، وتدفعهم متفرقين يسيرون في طريق الحياة يتقاتلون تحت لواء الطبيعة وداخلها) فذلك ما ليس من اختصاص القصصي ، وربما كانت هذه الطريقة تنفع كاتب مقالات او تاملات .

وشبيه بذلك هذه الكلمات في نفس الاقصوصة[2] (وهل الجندي في ساحة الحرب الا وحش كاسر فاقد شخصيته الآدمية العاقلة المهذبة مجرد من كل رحمة ونبل يرى ويعقل بغريزته الحيوانية المتعطشة الى حب الدماء والانتقام الاعمى .

وهكذا تعمل دائما الاثرة والانانية الانسانية بغريزتها فتستفيد من الشخص حيا الى اقصى درجة تريدها ثم تفترسه افتراس الوحوش ، ومن ثم تقيم الولائم حول ضريحه تأكل عظمه ولحمه وجلده بقدر ما تستطيع ثم تلعنه لعنات الاباليس والشياطين) .

وتيمور قد يستعمل هذه الطريقة في تقديم شخصيات اقاصيصه ، ويضع هذه المقدمات في اول الاقاصيص فتحس كأنك تقرأ بعض الخواطر في احدى الصحف اليومية : (اقدم اليك ايها القارىء العزيز ، الست تودد المغنية البدينة الجسم ذات النظارات المعدنية اقدم اليك اكثر الآدميين بخلا ودمامة[3] .

وهو احيانا يجعل اقاصيصه تدور حول فكرة من الافكار العامة ، يكتبها

---

١ ـ ص ٦١ و٦٢ مجموعة الشيخ سيد العبيط.

٢ ـ ص ١٠٣ ـ ١٠٨ .

٣ ـ ص ٦٢ ـ ٦٨ اقصوصة الست تودر من مجموعة الشيخ جمعة .

في صدر الاقصوصة كتمهيد لها ، ثم يبدأ في سرد حوادث الاقصوصة ، مثل اقصوصة « مشروع كفافي افندي »[1] التي كتب في اولها يقول : « الشخص الذي لا يهب عائلته شطرا هاما من عنايته ، الذي لا يمنحها اهتمامه واحترامه الذي يدفع عن بذل وقته ومجهوده في سبيلها تضن عليه الحياة بما يبتغيه من عمل شريف وراحة نفسية » بدأت القصة لتصور لنا هذا المعنى بطريقة ساذجة ليس فيها اي لمحة فنية ويبدو أن تيمور احس بان الاقصوصة لن تكون مفهومة كما يقدر هو لها ، او على الاقل لا تكون معبرة بالتحديد عن المعنى الذي هدف اليه من كتابة القصة ، فوجد ان من الضروري الاشارة الى هذا الهدف صراحة حتى يفهم القارىء الغرض الذي ترمي اليه . وهذه الطريقة كما لا يخفى تعبر ، عن اجداب فني ، فلو ان للكاتب القدرة على ان ينقل الى القراء افكاره عن طريق تصرفات ابطاله وحركاتهم ، والحوادث التي تغير حياتهم ، لو ان له هذه القدرة لما لجأ - الى الطريقة التقريرية ليفسر بها قصصه ، ويشرحها للناس .

على كل فان تيمور لم يترك بطله تائها في الحياة بعد ان جعل مشروعه يفشل ، بل بحث له عن ركن يأوي اليه في الاقطار الحجازية التي هرب اليها ، من يأسه ليقضي هناك بقية العمر بجوار بيت الله ، وهي طريقة على اي حال يلجأ اليها المرء احيانا او تلجأ اليها طائفة من المؤمنين حين تسد امامهم منافذ الحياة وتضيق بهم سبل العيش . فيجدون في رحابها شيئا من أمن وبقية من اطمئنان .

1 - ص ١٣٨ - ١٤٩ نفس المجموعة .

رومانسيته ..

وكثير من اقاصيص تيمور تحوي مظهرا من مظاهر السذاجة في المعالجة القصصية كالمبالغة في تصوير مظهر من المظاهر ، والمغالاة فيها الى ابعد الحدود لتكون وسيلة من وسائل الاقناع الجماهيري او الشعبي كما يتصور تيمور ، فالشرير في قصته شرير بدرجة غير معقولة وبطريقة لا يصدقها العقل ، والمنكود سيء الطابع منكود الطالع لدرجة غير معقولة !

والحوادث التي تجري لهذا ولذاك من الناس ، تختلق اختلاقا ، وتؤلف تأليفا لتؤدي الى هذا الغرض او ذاك . . . بغض النظر عن واقعيتها او ملاءمتها للحال ، او منطقيتها لدى القارىء العادي ، بله المثقف ، فإن هذه المظاهر كلها بقايا من اثر الذوق الشعبي وسيطرته على الانتاج الادبي ، وامتداد لنوع من المعالجة القصصية استمر زمنا طويلا يغمر الانتاج الادبي في الربع الاخير من القرن التاسع عشر والربع الاول من القرن العشرين ، كما انه اثر من آثار الرومانسية في الادب التي تعتمد على كثير من المواقف المحزنة او المبكية بدرجة غير معقولة ، وهي علاوة على ذلك او قبل ذلك راجعة الى سطحية في المعالجة القصصية ، والى نظرة محدودة في مفهوم القصة او الاقصوصة ونقص في معرفة المقومات الفنية التي ينبغي ان تتوفر في كل عمل فني حتى يبدو أمام القارىء مستكملا لجميع العناصر الضرورية اللازمة له .

على ان هناك سببا آخر قويا ، لا يقل عن الاسباب المتقدمة وهو سيطرة الرغبة في الاصلاح الاجتماعي ، او فكرة التوجيه على بعض انتاج تيمور ، مما جعله يتصور ان القضاء على الشر او الخرافة ، ينبغي لكي يؤتى ثماره ان تصور الخرافات والعادات البالية صورا مفزعة تحتوي على كل عناصر الشر والتأخر وتشتمل على جميع المفاسد التي تنتج عنها بحيث ينفر القارىء من ذلك المظهر .

وإذا صح ان هذا ما قصد اليه تيمور ، فإن الحقيقة ان تصوره لنتائج معالجاته للمواضيع الاجتماعية ، لم يؤت ثماره المرجوة ، لان الصور التي قدمها للقارىء ظلت صورا غريبة لا تمت الى واقعه بسبب ، ولا تستطيع ان تنبهه الى ما في تلك العادة أو ذلك المظهر من سيئات ، بل ربما اثارت السخرية من البطل او الفكرة كما سنرى .

ففي اقصوصة « الشيخ سيد العبيط » ، تجهيل للفلاحين بدرجة غير معقولة ، فالشيخ سيد يرد على البستاني بقوله (يلعن ابوك انت وهي) عندما يسأله البستاني ان يدعو له ربه ان يفتحها قدامه ويشفي ام عبد السلام مراته الغلبانة .

ويتقبل البستاني هذه التحية بقوله ربنا يسمع منك ، وليس من الطبيعي ان يطلب المرء من الله ان يسمع من شخص يلعن اباه مهما كان معتقدا في ولايته ، كما إنه ليس من الطبيعي ان تفهم كلمة (يلعن الخ . .) على انها دعوة للخير ، يضاف الى ذلك ان الأولياء لم يكونوا في يوم من الايام على هذا النحو ، ولكنه يريد ان يحارب ولايته فاظهره بهذا المظهر .

وحكاية وفاة الشركسي الذي اساء الى الشيخ سيد ، غير طبيعية فليس من البساطة ان يموت انسان مقتولا بيد زوجته ويدفن ببساطة على ان الشيخ سيد انتقم منه لان قتل زوجته له لم يتم في الخفاء ، بل نتيجة معركة دارت بينهما وحضرها الابناء . وحادثة تولى زوج ابنة الشيخ العمودية هكذا ببساطة مع انه لم يكن يحلم بها ، ليست مبررة على الاطلاق ، وكل ما ذكره المؤلف ان حوادث وقعت لم تكن في الحسبان عدها الفلاحون من قبيل المعجزات ، ساعدته الى الارتقاء الى المنصب ، ومثلها ولادة زوجته لطفلين ذكرين دفعة واحدة - هكذا مصادفة - وجدت لتكمل الجو من حول الشيخ سيد ، وتظهر كيف ان المصادفات هي التي جعلت منه شيخا ، مع انه لم يكن له يد في شيء مما حدث .

وبعد أن مهد له بهذه الحوادث العرضية التي جعلته وليا ، أخذ يكمل الحلقة حوله ليفسد ولايته ، فيجعله مجنونا ينحرف من الهدوء الى القسوة والبطش بدون مبرر وبطريقة تفقده عطف من حوله من الفلاحين وتحولهم من انصار للولي الى اعداء له ، كل هذا لينهي حياته تلك النهاية البشعة .

في نفس التيار اختيار تيمور للشيخ حسن سلام بالرغم من تقواه وجعله هدفا للشيخ سيد ينزل به الاضرار المتتابعة بدون اي مبرر او منطق ، او حتى اشارة للسبب والانفعالات التي تعرض لها بعد ذلك من تصور لجهنم وأبالستها ولهيبها ومرزباتها الى منظر صراع الموت الذي سيصرعه فيه عزرائيل وصراخه حوشوا يا ناس حوشوا يا ناس الشياطين والاغماء .

ثم التحول السريع الى الهدوء لمجرد سماع كلمة من (ابو حجازي) وابتسامته ثم نومه نوما هادئا مشبعا بالاحلام الجميلة ، كل هذه المناظر توحي للقارىء بان القاص لم يتمكن من المعالجة الفنية الصادقة لموضوعه بحيث يرتفع عن الذوق الجماهيري في تسلسل حوادثه .

كما ان من الطبيعي بعد أن حلت كل هذه المصائب على الشيخ ، وبعد ان هجره الناس ان لا تهجره بناته ولو من لقمة عيش جاف حتى لا يضطر الى قضم الطوب وازدراده كأنه العيش الجاف ، وكل هذه المعركة التي دارت بين الفلاحين المؤمنين بانهم انما يحاربون من اجل الله وفي سبيله ، وبين شيخ معدم انهكه الجوع ليس لها معنى فضربة عصا واحدة ، إن كان ولا بد كافية للقضاء عليه . ويظهر ان الكاتب احس بذلك فاعتذر عنه بقوله (وكيف تعقل الجماعة وهي تعمل معا عملا واحدا مشتركة الشعور والاحاسيس) ، كما اعتذر عنه مرة اخرى بانه لم يجن على احد بل جنى عليه القدر في حياته فحوله الى شبيه بالحيوانات المؤلهة في العصور الاولى . . . ولكن كل هذا لا يغفر له ان جعل القرية كلها تشترك إما تنفيذا او سكوتا على احالة الرجل الابله الى خليط من دم

وعظم ولحم وخرق بالية يكاد الناظر اليها لا يعرفها أهي جثة آدمي ام حيوان .

وهنات اخرى في هذه الاقصوصة لا يمكن تجاهلها اذا ما أردنا ان نطبق التقييم الفني للاقصوصة[1] فهناك حوادث كانت تعوق السرد القصصي وتمل القارىء وتشتت مشاعره كقصة لعب الراوي للكرة وصيده السمك والوصف الطويل لذلك . وكان من الممكن عدم الاطالة فيه والاكتفاء بحادثة بسيطة تربط بين الحوادث .

ومن مجموعة (شيخ سيد العبيط) ننتقل الى مجموعة (الحاج شلبي) لان فيها اقصوصة تعبر احسن تعبير عن ضعف المعالجة القصصية ، وهي اقصوصة (عفريت ام خليل)[2] التي كتبت بدافع الاصلاح الاجتماعي ، ولكن مع الاسف فشلت في ذلك كسابقتها « شيخ سيد العبيط» فهو هنا اراد ان يحارب خرافات العفاريت ، ولكن الذي لا يعرف المؤلف ، ويقرأ القصة حتى نهايتها يظنه من المؤمنين بهذه الخرافات ، وهذا اكبر دليل على فشله في معالجة الموضوع ، وان كانت بدايتها تسير سيرا حسنا ، تحس عندما تقرؤه انه يعالج الموضوع الاجتماعي على نحو فني سليم ، فشعبان افندي يحدث عم سيد البواب عن العفاريت وهو كاذب متعمد لذلك ، ويقدم لنا الكاتب مبرراته لذلك فشعبان افندي لم يكن من الصلاح في شيء ، فقد اهمل فرض الصلاة من زمن قديم ، كما اهمل فرض الصيام من عهد قريب ، وله مزاج في الخمر ، وبالرغم من ان هذه التصرفات او الاهمال غير مبرر في ذاته ، إلا انه تبرير لموقف شعبان افندي . وتبدو الاقصوصة طبيعية فالبواب من طائفة اقرب الناس الى الخرافات ، ولكن لا تلبث المفاجآت ان تظهر وتضطرد الحوادث في عجلة ، فتموت ام خليل الخادمة العجوز لشعبان افندي ، والتي كانت تمده بالخرافات التي يلقيها على الناس حول العفاريت ، ثم

---

١ ـ راجع .

٢ ـ ص ٣١ ـ ٥٤ .

يتخذ له فتاة اخرى كخادمة وفي اول ليلة بعد وفاة الخادمة العجوز يهجر النوم عينيه لانه شرب فنجانين من القهوة ، فيقلق ويرى في الظلام بعض اشكال غريبة ، فيصيح على أم خليل الميتة لتأتي له بالماء بعد ان جف ريقه ، فيتذكر انها ماتت فيصيح على الخادمة الجديدة يا بنت يا بنت ويشعر كأنه محموم ، ويتصبب العرق البارد من جبينه ويقوم فيبحث عن الفتاة فلا يجدها ، فيقف على ركبتيه وسط فراشه ويخرج من حلقه صيحة منكرة ترن في المنزل الصامت رنينا مزعجا ويتبعها صيحات اخرى فيجاوبه صوت آخر : عفريت . . عفريت ام خليل ، فيحول نظره نحو الصوت فاذا به يرى ماثلا امام عينيه شبح أم خليل يسير نحوه الهوينا ويتجمع الجيران . . وفي الصباح اخذت الفتاة تقص لهم ما رأته عن عفريت ام خليل ، وهو ايضا لم يجد مبررا امام الحاحهم من الحديث عنه والمبالغة ، وتأتي والدة الفتاة فتأخذها لانها لا تريد لابنتها ان تعيش في بيت تسكنه العفاريت . . . وتتطور الحوادث وتتكرر حكاية العفريت كل ليلة ، واصبح ينتقل من مكان الى مكان حتى يئس لان العفاريت تلاحقه في كل مكان بقيادة عفريت ام خليل لقتله ،فيهرع الى الأولياء ، وتقدم العفريت خطوة اخرى ، فأخذ يظهر له في رابعة النهار كإنما لم يكفه الليل . . حتى اذا تعقدت الامور على هذا النحو ، اخذت تنحدر الى الجانب الآخر ، ففي احدى الليالي يزوره العفريت فيصيح ، ويخاف الرجال وتصاب النساء بالتشنج ، وفي الصباح يحضر ملاحظ القسم ومعه ثلة من الجنود فيجرد سيفه ويقتحمون الغرفة فلا يجدون فيها سوى حطام شعبان افندي مثخنا بالجراح والرضوض ملوثا بالدم المتجمد ، تكسوه الملابس الممزقة ، فيجرونه جر الكلاب فيرقص الاطفال وتزغرد النساء فرحا بوفاة شعبان افندي ضحية العفاريت .

وقد اطلنا في سرد حوادث القصة متعمدين لنعطي صورة وافية عن نوع معالجة تيمور لاقاصيصه ، فهذه القصة تشبه قصة « شيخ سيد العبيط » فبطلا

القصتين جرا كما تجر الكلاب ، وكلاهما فرح الناس بموته ، وكلاهما تعالج موضوعا اجتماعيا . ولنا أن نتساءل بعد هذا ما الذي يريده تيمور من هذه الاقصوصة ؟ أمحاربة خرافة العفاريت ؟ لا يبدو ذلك ـ تأييد فكرة العفاريت ؟ ـ لا يعقل ، اذن ما الذي يريده ؟

إن الاقصوصة تؤكد وجود العفاريت على نحو مرعب وتؤكد ايضا فكرة امكان القضاء عليهم في شخص المصاب بأذاهم ، وهذا ليس علاجا للمشكلة بأي حال فاحضار ثلة من الشرطة او الجيش لمقاتلة العفاريت او استلال السيوف لذلك تشبه الى حد ما ، مغامرات دون كيشوت . . . وتؤكد أن تيمور لم يستطع أن يفصح عن ذاته او ان يكتب ما يريده .

وبين مجموعتي الشيخ سيد العبيط ، والحاج شلبي ، توجد عدة اقاصيص من هذا النوع ، اسيئت فيها المعالجة القصصية على نحو او آخر ، كالملل الذي اصاب سامي في اقصوصة الملل[1] لانه ليس مبررا بقدر كاف ، كما ان تيمور لم يتعمق مشاعر البطل ، ولم يقدم لنا اية معلومات عن السيدة التي تتصيد الشبان من الشوارع ، كما ان الصدفة قد لعبت دورا كبيرا او دورا رئيسيا في الاقصوصة ، فهي التي جعلت سامي يقابل السيدة الكبيرة وهي التي مهدت لمقابلته مع صديقه صديق بك ليتبادلا بمنتهى البساطة عشيقتيهما .

ونشأته النبيلة المحافظة ، لم يبد لها أثر في حياته مطلقا فهو لم يتردد عندما طلب الى العربة ، ولم يقاوم ولم يحدث عنده اي رد فعل ، بل القى بنفسه داخلها ، وكأنه مقدم على مكان يعرفه او تعوده من قبل .

وتشارك اقصوصة « ابو عرب »[2] في ظاهرة السطحية في المعالجة وإن كانت الفكرة التي يعالجها فكرة جديرة بالمعالجة . . . ولكنه اخرجها بطريقة غريبة

---

١ ـ ص ١١٠ ـ ١٢٤ .

٢ ـ ٩٤ ـ ٩٩ مجموعة الاطلال .

لا تثير القارىء ولا تقنعه بجدية ما يريد المؤلف ان يقوله له ، وإلا فأي قيمة لمعاداة (كلب) ونشوب معركة معه تنتهي بموت الكلب . . فيحاول ابو عرب قتل المعتدي بنفس الطريقة التي قتل بها الكلب .

ولكنه يتخاذل ويعود الى البيت ليضم ابنه الذي يقاسم القاتل نفس السن تقريبا .

تيمور يريد أن يصور نوعا من الصراع في النفس الانسانية . . حب الانتقام . بما يرمز اليه من الغرائز الانسانية الاولى ، عندما يقابل عاطفة من العواطف الانسانية المتسامية كعاطفة الابوة ، ولكن لم يوفق في المظهر الذي يظهر به هذه الفكرة .

وتبلغ الرومانسية عند تيمور في بعض الاقاصيص مبلغا كبيرا وخاصة في اقصوصة مثل « الكسيح »[1] فالتضحية التي يقدم عليها الغلام حتى لا يتألم معلمه تضحية خرافية لا يصدقها عاقل ، ولا يمكن ان يقدم عليها عاقل ، مهما كان شعوره نبيلا ، ومهما كان احساسه عميقا بالكارثة التي وقع فيها معلمه بعد أن بترت ساقاه ومهما كان اخلاصه له ، فإنه لا يمكن ان يقدم على مغامرة كالتي اقدم عليها في القصة ، وخاصة ونحن نعلم انه عندما يقطع ساقيه فلن تعود ساقا معلمه كما كانتا ، ولكن تيمور اراد ان يعبر عن احساس الغلام بالجميل نحو معلمه كما حاول ان يحل مشكلة المعلم الذي اصبح عصبي المزاج يثور كلما رأى الغلام بساقيه السليمتين ، ولم يهتد الى حل لهذه المشكلة سوى ان يقطع ساقي الغلام ، فيصبح الاثنان عاجزين بدلا من ان تخص البلوى احدهما ، وبذلك تهدأ ثائرة المعلم ، ولا يتصور ان غلامه يريد ان يقذف به الى الشارع كما يقذف بأية سلعة من سلع الحياة اصبحت عديمة الفائدة .

واحيانا ينسى تيمور مستوى أبطاله فيتحدث هو بلسانهم فتظهر آثار من

---

١ ـ ص ٧٢ ـ ٨٧ الشيخ عفا الله .

مستواه هو لا مستواهم هم ، فشخص مثل الشيخ عفا الله مثلا لا يستطيع ان يعبر عن القلق الذي شمله بعدما حدث لزوجة اخيه ، لا يستطيع ان يعبر عن ذلك بقوله : « وكان قلبي مسرحا لمختلف الاحساسات المتباينة ، الغضب ، الرحمة ، الكفران والتوبة ، الحب والبغض ، تتطاحن كلها باختلاط[1] . وكان بامكانه ان ينقل الى قرائه هذه العواطف القلقة في نفس الشيخ عفا الله ولكن باسلوب ساذج بسيط يتلاءم مع مستواه ، ولكن هذا لا يمنع من ان تكون هذه الاقصوصة من اجمل اقاصيص الفترة الاولى في حياته القصصية .

وهناك عدد من الاقاصيص تنقلنا نقلة سيئة الى اقاصيص الفترة الاولى من ظهور الاقصوصة في مصر ، فلا نكاد نفرق بين ما كتبه تيمور الذي اصبح اسما لامعا في عالم الاقصوصة ، وبين اقاصيص الضياء وفتاة الشرق ، التي مر عليها اكثر من نصف قرن .

وهذه المجموعة تتمثل في اقصوصة مثل « قوة الشباب »[2] ولا بد لنا من ان نستعرض حوادثها ، حتى نعرف أي نوع من الاقاصيص هي ، فتى احب فتاة من النافذة ، وظلا يتبادلان القبلات في الهواء ، ثم مات خالها ، فذهب ليعزي الاسرة فطلب اليه قريب للميت ان يذهب الى السوق لقضاء امر ، وعندما عاد بحمله رأى الفتاة واسلمها (القماش) ، ولم يكتف بذلك بل تواعد معها على اللقاء بعد نصف ساعة في السطح لانه يريد ان يراها ، ثم يصعد ليجدها هناك تقوده الى حجرة صغيرة فدنا منها (واختلس قبلة حارة وقعت لديها موقع القبول فاشرق وجهها ، وابتسمت برشاقة ولكن في شيء من الحياء) وبينما أنا اطلب القبلة الثانية رن الصراخ والعويل . . . ثم انتقلت الى حديث . . . ثم امسك بخصرها وهوى عليها يغمرها بقبلاته . . هكذا في بيت مأتم ومع فتاة مات خالها

---

١ ـ ص ١٢ .

٢ ـ ص ٥٧ ـ ٦٩ مجموعة الحاج شلبي .

في نفس اليوم ، ولم تزل جثته في الدار . وبين اثنين لم يتقابلا ولا مرة واحدة ، بل لم يتحدثا إلا بالاشارة فاذا بهما ينقلبان فجأة وفي رفة عين الى حبيبين وتنسى هي خالها ، ولم يلاحظهما احد ممن في الدار كله . . .

والحقيقة ان الكاتب لم يرض عن تصرفات البطل في صباه فجعله يقول عندما يتذكر تلك الحادثة بعد ان يرى الصورة بعد عشرة اعوام ، ما احط وادنأ هذه النفس التي ترتكب امثال هذه المنكرات ، ولكن هل انا المجرم الوحيد؟ ألسنا كلنا مجرمين !؟

مع ملاحظة ان موضوع هذه الصورة لم يعرف له اساس كيف حصل على الصورة التي ذكرته هذا المنظر لا ندري .

واقصوصة «صابحة»[1] لا تعدو أن تكون ترديدا لما تقرؤه كل يوم في صفحة الحوادث من الجرائد السيارة ، لا تزيد عنها في شيء تقريبا ، والفرق بينها وبين ما ينشر عن الحوادث اليومية هو المامه ببعض التفاصيل ، وسرده لها حتى شغلت هذا العدد من الصفحات ، أما في جوهرها فترديد لفكرة مكرورة عن هوى فلاح فقير ، يسرق ليتزوج بمن يحب ولكنها تأبى فيقتلها .

ولو كتب هذه الاقصوصة احد من كتاب أوائل القصص لما زاد على ان ناح على الفتاة او ندب حظ الفلاح ، وإن تحمس للموقف اكثر فسيرصع الاقصوصة ببعض المواعظ والابيات الشعرية عن الهوى والعشق .

وعلى كل فإن تيمور كما اتضح لنا قد خطا خطوة كبيرة الى الامام بالاقصوصة القصيرة ، وقضى على كثير من رواسب الماضي ، وشوائبه ، ولكنه لم يستطع ان يقضي ـ القضاء كله ـ على تلك الشوائب في هذه المجموعة ، وإن كان قد تمكن من ذلك في النهاية حتى اصبح كما تمثله آخر مجموعة قصصية له كاتبا من طراز عال من الصعب عليك ان تجد في اقاصيصه هنات او سيئات .

---

١ ـ ص ٣٠ ـ ٤٣ من مجموعة ابو علي عامل ارتست وقصص اخرى .

قديم ومجدد

بقيت لنا كلمة بسيطة نختم بها هذه الفترة الاولى من حياته القصصية وقد اقتضتنا الظروف كتابتها لان تيمور قد جدد بعض تلك الاقاصيص التي استعرضناها . . . او حذفها ، ونبادر فنقول إن اغلب الاقاصيص التي حذفها هي من الاقاصيص ذات المستوى الفني المنخفض ، ويبدو انه لاحظ ما فيها من ضعف وتفكك بعد ان تقدمت به السن ، واتسعت دراساته في عالم القصة الغربية بحيث اصبحت السبل التي ينبغي على الكاتب أن يسلكها واضحة امامه كل الوضوح ، وحذفه لها دليل على انه قد تطور بعد كتابته لها تطورا ملحوظا جعله يبرأ منها ، مثل اقصوصة « ذكرى »[1] واقصوصتي « جريمة حب ، وليلة الهنا »[2] أما الاقاصيص التي جددها او اعاد كتابتها فهي كثيرة ، مما يدل على انه يشاركنا في عدم رضاه عن ادب تلك الفترة ، وإن كانت بعض الاقاصيص التي جددها لم تخرج عن طبعتها القديمة كثيرا ، وكأنها دليل على ان ما افسده الدهر لا يصلحه العطار ، وبعضها الآخر جدد فيه كثيرا من تعبيراته فرفعها للمستوى الذي يليق بعضو المجمع اللغوي ، وفي البعض الآخر حذف منها مواقف او فقرات تدل على فهمه ويقظته ومعرفته لمواطن الضعف في تلك الاقاصيص .

فاقصوصة الشيخ جمعة مثلا[3] نجد فيها هذا النوع من التغيرات في التعبير :

---

١ ـ ص ١٣٥ ـ ١٤٦ مجموعة الشيخ عفا الله .

٢ ـ ص ١٣٠ ـ ١٣٩ ـ ١٤٢ ـ ١٤٨ من مجموعة الاطلال .

٣ ـ قديم طبعة سنة ٢٧ ص ١٨ وما بعدها جددها باسم حارس الجرن ص ٢٥١ ـ ٢٥٥ من دنيا جديدة المطبعة النموذجية .

قديم	جديد
تخرجان الألفاظ	ترسلان
على تلك المصلى اذهب اليه	الى ذلك المصلى كنت اذهب
وحينما يأتي الشيخ جمعة لمصر	فاذا سافر الشيخ جمعة الى القاهرة
مظله	ظلّه
فيحادثهن محادثات صغيرة مسلية	فيبادلهن ألوان الحديث

وكلها كما نرى تغييرات في الالفاظ ولكنه تغيير الى احسن .

وهناك جملة مثل (هذا الرجل المتعبد الخاشع الذي يملأ الدين فراغ قلبه ليس متقشفا ولا زاهدا للدنيا ، بل له اوقات صفو عديدة) حذفها وابدلها بجملة سهلة موجزة تؤدي المعنى وهي (وللشيخ جمعة اوقات صفو) على ان التغيير المهم هو حذف نصف الصفحة الاخيرة ، وقد احسن ، فهي اسطر تقريرية ، - كما قلنا سابقا - يقارن فيها بين البساطة وحياة العلم المعقدة .

أما قصة « الاطلال »[1] فقد طولها بعد أن كانت حوالي تسعين صفحة الى مائة واربعين صفحة ، وحدد زمانها بانها (نشأت في اعقاب القرن الماضي) وحذف منها بعض الحوادث مثل تخيل الطفل لظهور العفاريت له ، كما غيَّر كثيرا من التعابير ، كما فعل في الاقصوصة السابقة ، ولا نرى داعيا لسرد تلك التغييرات في التعبير ، وان كان من الواجب ان نلاحظ ان كثيرا من الجمل والتعابير التي حذفها كانت عليها مسحة من البساطة والمروعة ، فقدتها بعد أن حولها الى جمل رصينة وقورة وخاصة في بعض المواقف التي تلائم النوع الاول كجملة (اما بنت انتيكه خالص) التي قالتها الفتاة الاستقراطية عن الفتاة الاخرى فقد جعلها (انها فتاة من عامة الناس لا تليق بما لنا من مقام وجملة (كوني لطيفة) التي جعلها (احرصى على ان تكونى ذات لطف) .

---

١ - جددها باسم شباب وغانيات عيسى البابي الحلبي وشركاه سنة ١٩٥١ .

ومن طرائف التغييرات التي قدمها ، موضوع الدرس الذي سخر منه ، فقد كان في الاول هو حصة اللغة العربية[1] جعلها بعد ان جدد القصة (حصة الاملاء)[2] والسبب في ذلك معروف ، فقد اصبح تيمور احد الخالدين في مجمعهم ، واحد المدافعين عن اللغة العربية ، ولا يليق باحد حماة اللغة ان يسخر منها او من مدرسيها .

كما غيّر فيها منظرا كان موضوعا في مكانه ، وكان يدل كما سبق ان ذكرنا على استفادته من علم النفس في تصوير خلجات نفوس ابطاله ، ونعني بذلك نزعة السادية التي لدى البطل ، وضربه لتهاني واستكانتها امام ذلك ، احاله بعد ان هدأت نفسه ، وتقدمت به السن ، الى ان يمزق المروحة التي تضربه بها واكثر ما فعل آخر الامر انه ضربها بها ، ثم اعتذر وندم .

وقد زاد في القصة حوادث تافهة لا قيمة لها ، وجعل تهاني تحترف البغاء . وبقية الاقاصيص التي جددها لا تخرج تجديداته فيها عن النموذجين اللذين عرضناهما الآن .

الفترة الثانية من حياة تيمور القصصية

لقد سبق أن قلنا انه ليس الغرض من تقسيم حياة أديبنا الى فترتين ، هو ان نزعم ان كل فترة منها تعتبر نموذجاً معينا لا يشبه النموذج الآخر وإنما الغرض من ذلك هو محاولة تبيان بعض السمات العامة في كل من الفترتين .

وتيمور كأي أديب واع يتطور انتاجه كلما أوغل في الزمن ، وكلما تقدمت به الحياة لأن ثقافته لا شك تزداد عمقاً وأحاسيسه تصبح اكثر رهافة

---

١ ـ ص ١٩ .

٢ ـ ص ٢٥ .

وصدقا ، كما ان المدى الزمني يعطيه الفرصة ليتخلى تدريجيا عن بعض ما يشوب فنه من شوائب ويصل به إلى مستوى من الرفعة يتلاءم مع المزيد من الثقافة والاطلاع اللذين يضيفهما على مر الايام ، ولكن هذا لا يعني ان جميع ما لوحظ اثناء دراسة تلك المجاميع الأولى قد انقضى ، بل ان معناه ان كثيرا من تلك الهنات قد تقلصت ، وإن تكن آثارها لا تزال باقية هنا وهناك ، وأول ما يمكن ان نلاحظه من الامور التي اخذت تنمحي من قصص تيمور تلك النظرة القاسية التي ينظرها الى بطلات قصصه ، كما انتهى اختياره لنماذج معينة من الفتيات اللائي اصبحن لأي سبب من الأسباب في عرف المجتمع منحرفات ، واذا اضطرته الحياة كمعبر عما فيها من حسن وقبيح لان يصور حياة بعض اولئك الفتيات ، فانه لم يعد يكيل لهن التهم ، ويصفهن بالأوصاف القاسية التي كانت تعبر عن نزعة مثالية اخلاقية أملتها عليه ظروف حياته ونشأته ، والسبب في ذلك على ما يبدو لنا هو ان نظرة تيمور اخذت تتعمق الاشياء وتنظر اليها نظرة أوسع مما كان عليه الحال في السابق ، فلم يعد ذلك القطاع من البشر أهلا للزراية والتنكيل ، بل ربما أصبح في نظره اهلا للعطف والرعاية . ولعلنا حين نقرأ في أقصوصة مثل « قبلة الساق »[1] نلمس هذه الظاهرة بوضوح فقد اختفت تلك الكلمات التي كان يصف بها الغواني ، بل إنه استطاع أن يصور لنا من خلال مجتمعهم صورة انسانية « لعبده السهتان » وانفعالاته النفسية تجاه صبايا الملهى الذي يعمل فيه ، وقد وصل في تصويره لانفعالات الفتى حيال القدم العارية مدى عميقا ، بحيث يحس القارىء بالعطف على الفتى المحروم ، وحتى عندما ينقض على ساق الحاجة فاطمة بالرغم من كبر سنها ووقارها تحس ان ذلك الانقضاض نتيجة طبيعية لهذا النوع من الحياة المحرومة القاسية التي يحياها عبده السهتان ، وفي وسط كله صبايا وحسان ، وان كان هناك ما يمكن ان يلاحظ على الموقف كله فهو الاستجابة

---

١ ـ ص ٩٥ ـ ١٠٣ من مجموعة شفاه غليظة .

السريعة التي أبدتها الحاجة فاطمة والتي عبر عنها الكاتب بقوله : (وشاع صمت عميق لم يكن يشوب صفوه إلا بعض زفرات وتنهدات (مما يوحي بأنها اندمجت في الدور الذي اراده لها المؤلف ، مع ان جميع الحوادث التي سبقت ذلك الموقف توحي بأنها كانت تحتقره أشد الاحتقار وتزري به وبحياته التي يحياها ، يضاف الى ذلك كله ورعها وتقاها اللذان لا يمكن أن ينهارا هكذا فجأة بدون أية مقدمات او اي مبرر نفسي او منطقي ، ولو كان المؤلف قد حاول ان يشير خلال سرده القصصي الى اي مبرر يمكن ان يبرر به تصرفاتها لاصبح الوضع طبيعيا ، كما لو انه حاول ان ينشيء بينهما اي نوع من التفاهم ابعد من الاحتقار لكان الموقف طبيعيا .

وعلى كل فالذي يهمنا هو أن نشير الى ان هذا النوع من التصرفات او هذا النوع من صبايا الملاهى لم يعد وسيلة يصب بها جام غضبه على تلك الطائفة .

وملاحظة أخرى حول الوسط الذي يعيش فيه ابطال تيمور ، فقد انقرض الوسط الارستقراطي انقراضا تاما تقريبا من مجموعاته التي ندرسها في هذه الفترة من حياته القصصية .

واصبحت مناظر السايس والآغا والدادة ، وهي المناظر التي كانت تظهر بين الفينة والاخرى في المجاميع الاولى نادرة اذا لم نقل منعدمة بالمرة ، واصبح مجاله الحيوي هو الطبقات الوسطى او الدنيا من المجتمع ليبحث مشاكلهم ويصور نفسياتهم وينقل الى القراء كثيرا من خلجات انفسهم ، حتى ان الريف الذي كان يحظى بكثير من عنايته في مجاميعه الاولى اصبح نادر الوجود وليس منعدما في المجموعات الاخيرة .

واذا قدم لنا صورة عن ذلك فانما يقدمها ليرقى بها الى فكرة معينة ، اكثر من ان ينقل صورة من حياة الريف .

والمثل الذي نقدمه على ذلك (ابو الشوارب) في مجموعته المسماة بهذا

الاسم فهو لا يمثل الفلاح لحبه ولم يصوره ليقول لنا هكذا يعيش الفلاحون ، ولكنه يريد ان يقول من خلال حياة ابي الشوارب ، ان الذل الذي يضطر الانسان الى ان يتحمله لاي سبب من الاسباب واحتمال الاذى الذي تفرضه الظروف لا يمكن ان يستمر هكذا الى ما لا نهاية له من الحياة ، فجبن الشاويش ابي الشوارب واحتماله لجميع انواع المهانة والاذلال وتردده طيلة حياته المديدة والآلام التي قاساها بدون ما رحمة من الآخرين او هوادة ، كانت سببا في النهاية أدى الى الموقف الذي وقفه الشاويش عندما شنق الحاج رمضان سيده .

وعملية الشنق في حد ذاتها ، وان كانت تمثل اقسى انواع الرد على الاهانة الا انها تمثل في رأي ابي الشوارب القمة التي كان لا يستطيع ان يرفع رأسه اليها عندما كان معلمه العشماوي يقود امامه المدانين الى حبله الغليظ ، فكأنه يرد بذلك على الحاج رمضان وعلى سلفه .

وربما كان شارب ابي الشوارب في القصة يمثل الشيء الضنين لدى الانسان والذي يستطيع المرء ان يتحمل كل شيء الا ان يمس ، فقد كانت كل الاهانات مقبولة لديه قبل ان تصل الى شاربه الغالي ، وعندما وصلت اليه لم يملك نفسه من الانتقام كاحسن ما يكون ، على ان تيمور اهتم في المجموعات التي نتحدث عنها الآن بطبقة من البشر تعيش حياة اشبه ما تكون بحياة البهائم ، بل ربما كانت اسوأ منها .

ويمثل هذه الطبقة من الناس بطل اقصوصة الديك من مجموعة ابي الشوارب[1] وبوذا الرحيم من المجموعة نفسها[2] والفارة[3] .

ولكن هذه الاقاصيص تمتاز جميعها ـ اذا كان ذلك يمكن ان يسمي

١ ـ ص ٤٧ ـ ٥٩ .
٢ ـ ص ٩١ ـ ٩٦ .
٣ ـ ص ٩٧ ـ ١١٠ .

امتيازا ـ بضعف المعالجة الفنية فيها ضعفا كبيرا ، وكذلك تتابع كثير من انواع الرومانسية الساذجة في نقل الحوادث مما يفقدها قيمتها نهائيا ، وهو يتصور مثلا انه عندما يصف بطل اقصوصة الديك بانه مزقه وهناة ـ ويسرد عنه اوصاف مثل :

اخرس يا كلب ـ ابعد يا كلب ـ امش يا كلب . . . يضيف الى ذلك كله ركله بالاقدام ـ وجمع المصائب عليه مثل الساقين المشلولين والهيئة الزرية ثم الفجوة التي يعيش فيها ـ يتصور ان ذلك أدعى لان ينقل صورة مؤثرة في القارىء عن هذه الطبقة ، ولكن الواقع هو العكس .

كما ان النهاية التي اختارها للبطل ـ النهاية التي جعلت من المزقة البشرية على حد تعبيره جثة هامدة وذلك من اجل الديك الذي اختطفه ، والمعركة التي ادت الى تلك النتيجة ، تبدو مضحكة اكثر مما هي مؤثرة . وشبيهة بها اقصوصة بوذا الرحيم الذي كان يعيش في كهف مهجور ، فقد ابناءه وحفدته بدون ان نعلم شيئا عن ذلك ، فيتحول الى شبه معتوه ، بقتل بائع الفول .

ولكن ضعف المعالجة فيهما لا تصل الى المستوى الذي وصلته اقصوصة الفارة المشار اليها ، فبطلتها ضائعة في الحياة لا اب لها ولا ام ، ولا تعلم من اين جاءت ولا اين تذهب .

والالفة التي اوجدها المؤلف بين الفتاة البائسة وبين الفأرة تثير التقزز في النفس اكثر مما تدفع الى الشفقة ، وهذه المسامرة الطويلة بين الفتاة وبين الفارة تبدو مضحكة ، وهذا النوع من التآلف بينهما الذي يدفع الفأرة الى التوقف عن اللف والدوران خلف الاسلاك عندما ترى الفتاة يبدو غريبا ايضا .

ثم النهاية الدرامية التي سببت الكارثة التي حلت بالمنزل بسبب الفأرة . . الخ كل ذلك يزيد في ضعف الاقصوصة ، وفي تفاهتها .

واقصوصة الفأرة هذه تبدو كانها محاكاة لقصة روسية يظل البطل فيها

يتحدث مع الصرصار[1] ثم يقتله في النهاية ولكن الفـرق بينهما كبـير جـدا ، وعلى كل فمن حسن الحظ ان تيمور لم يستمر الى امد بعيد يقدم امثـال هـذه المخلـوقات وبالطريقة الرومانسية الساذجة . اذ انه اصبح في المجموعات الاخيرة يعرض علينـا طبقة أخرى من المشردين تذكرنا ببعض ابطال جـوركي ، وهـذه المخلـوقات الـتي قدمها تيمور مع تشردها تصبح في لحظة من اللحظات ذات معنى في الحيـاة وذات هدف مثل شخصية الرئيس حميدو[2] .

فهي اكثر تركيزا بالنسبة للمثل التي تقدمها .

فالرئيس حميدو هنا يمثل النموذج الانساني الضائع الذي يجد نفسه فجأة ، ويجد الامل الذي ينبغي له ان يسعى من اجله ، وبـذلك تتحـدد لحيـاته معـان جديدة تدفعه للسعي والاجتهاد .

والرئيس حميدو هذا نموذج لطبقة المكافحين فهو يعمـل وقـادا في احـدى السفن لمدة طويلة حتى اصبح كأنه والآلة الـتي يقف امـامها قـطعة واحـدة ، ولا نعرف شيئا عن احاسيسه اثناء تلك الفترة ، ولكننا نعلم ان قدمه تـنزلق فتـكسر ، وبذلك يضطر لدخول المستشفى وعندما يعود الى العمل مرة اخرى تمل نفسـه تلك الحياة ، فيتركها وتتعاوره ظروف الحياة ، وينتهي به الامر الى ان يصـبح متشردا في الطرقات اشعث اغبر في ثياب مهلهلة رثة هي فضلات مـن سربـال كاكي وقميص ازرق .

ولكن تيمور لا يتعمق نفسيته ولا يلقي كثيرا مـن الاضـواء على الـدوافع الخفية التي تدفعه في الحياة ، فالتشرد الذي اصاب الرئيس حميدو هنا جاءه بعد ان اصبح ضجرا ملولا امام تلك الآلة الكريهة التي لا يهدأ لها هدير ، والتي لا تحظى منه بغير بصقات المقت والازدراء .

---

١ ـ اظنها اقصوصة لتشخوف .

٢ ـ ص ٤ ـ ١٩ من مجموعة نبوت الخفير الطبعة الاولى سنة ١٩٥٨ .

ثم يضيف تيمور عنه قوله لقد ركبته رعونة واصبح مشاكسا وعر الاخلاق لا يلقي عمله منه الا الزراية والاهمال .

وجميع هذه التطورات التي حدثت في نفسيته قد نلمح انها ربما كانت بسبب كسره الذي لم يلبث ان يشفي ، ولكن تيمور لم يشر الى ذلك مطلقا لا من قريب او من بعيد ، كما لم يحاول ان يقدم تفسيرا آخر لهذا التطور الذي حدث في نفسية الريس حميدو ، وان كان تيمور قد قلب تلك النفسية رأسا على عقب وحولها من شخصية مكافحة قوية الى شخصية بليدة يعيش عالة على غيره فالريس هنا لا يستنكف أن يطالب زوجته وابنته بالطعام والشراب بدلا من ان يسعى هو من اجلهما ولا يفتأ يسألهما ان توفرا له اسباب الراحة كأن ذلك واجب عليهما ، مما اضطرهما الى ان تهربا منه ويستقلا بحياتهما ، ومارس هو حياة التشرد تلك الى ان وجد الهدف الذي اعاده الى نفسه مرة اخرى وجعله يعيش كما يعيش اي انسان يجد ان له رسالة كالآخرين في الحياة ، والهدف الذي وجده الريس حميدو هو السعي من اجل ابنته ، فهو قد احس بانه تخلى عن واجبه عندما راى صورتها في الصحيفة وقرأ عن خبر قرب زفافها ، كما احس بانه ترك مكانه لغيره في مثل هذه المناسبة التي يحرص عليها كل أب ويعمل جاهدا من أجلها سنوات عمره ، وبذلك قرر ان يبدأ دوره في الحياة مرة اخرى ليعد بنفسه جهاز عرس ابنته الذي ستحمله صف من المركبات تحيط به جوقات الموسيقى الصداحة على ان يكون هو في مقدمة الركب واقفا ورافعا عصاه يرقص على ايقاع الانغام ، وكان عليه بطبيعة الحال لكي يحقق هذا الامل ان يواصل عمله السابق فيحتويه جوف السفينة مرة اخرى .

وقد حاول تيمور ان يجعل الريس حميدو يفلسف الواقع ـ فوضع على لسانه كلمات يبدو انها تعبر عن مستوى المؤلف نفسه لا البطل مثل قوله (انها حقا لمعركة العمل في سبيل الجياة معركة في سبيل الرزق وان هذه الكائنات كلها

لتخوض المعركة فرادى وجماعات اناس وجماعات متعاطفات متآزرة ضعيفها يعينه القوي وصغيرها يحميه الكبير ، واذا هي ركب واحد يعمل للخير العام ويشق الطريق الى الامام) .

ان هذا الاحساس بمشاركة الحيوانات للانسان في العمل وبوحدة المصير بين جميع الكائنات الحية ، وتقديس فكرة العمل بهذه الطريقة ربما كان بعيدا عن ذهن متشرد مثل الريس حميدو ، دفعه الى عمله مرة اخرى مجرد عاطفة الابوة والحنان نحو ابنته .

وعلى كل فهو نموذج جديد في اقاصيص تيمور يمثل فكرة معينة .

وفي المجموعة نفسها شخصية اخرى تتشابه في بعض ملامحها العامة مع الشخصية السابقة ، ونعني بها شخصية الدرفيل[1] فهي شخصية متشرد ايضا سمي بالدرفيل لبدانته ، ينام منكمشا في نومته كانما هو كتلة شوهاء من اللحم لا معالم لها ولا سمات وهي ايضا تذكر بشخصيات جوركي الضائعة في الحياة .

وما ترمز اليه يشبه ايضا ما تمثله الاقصوصة السابقة ، فقد تحول الانسان الذي ينافس القطط الجائعة والكلاب الضالة وجرذان الدمن والشقوق ، الى شخص آخر تتحرك في نفسه نوازع البشر وتثور في اعماقه معاني كالغيرة والحنان والابوة .

والدافع والمحرك لهذا التغيير في الاقصوصتين واحد تقريبا كان في الاول ابنة الريس حميدو وهوهنا بنية تشبه ابنة الدرفيل ، وان كانت يقظة الريس حميدو جاءت في اللحظة التي اوشكت ان تتزوج فيها ابنته ، فان الدرفيل هنا وقد فقد ابنته ، حاول ان ينقذ فتاة اخرى شبيهة بها .

والدافع الذي يدفع الدرفيل الى الدفاع عن الفتاة الاخرى هو احساسه بانه قصر في حق ابنته حين تركها في المنزل وحيدة تقاسي من الآلام حتى توفيت ،

---

١ ـ ص ٢٢ ـ ٤٢ .

فاراد بموقفه الاخير ان يعوض عن ذلك الموقف بان احل تنطازية محل ابنته ، واخذ يدافع عنها ضد مجموعة السكارى والمعربدين الذين كانوا يطلبون اليها ان ترقص امامهم وبغض النظر عن وجود مآخذ في ان تكون فتاة متسولة في التاسعة من عمرها ناحلة البنية ذات قيمة من اية ناحية حتى لجمع من السكارى كانوا يتعاورونها على حد تعبيره بالوان من الدعابات لا حشمة فيها ولا استحياء ، بغض النظر عن ذلك فان القارىء يحس بعمق الدافع الانساني لدى الدرفيل ، وهو يحاول ان يبحث لها عن علاج وان يكون بجانبها ، حتى لا تكرر مأساة ابنته وهو عنها لاه .

وهذا الدافع النبيل هو الذي جعل شيئا ، يحرك بلادته الغريبة فيختطف الفتاة من بينهم ويهرب بها ، باحثا عن مأمن يقر بها فيه ويحميها من عبث مجموعة السكارى . وتستمر هذه النزعة في تأثير بعض العوامل الانسانية على اشخاصه تظهر بين الحين والآخر لتغير من تصرفات كثير منهم بما لا يتلاءم مع المؤثرات الجديدة لهم .

وشخصيات تيمور المتحورة هذه ليست على نمط واحد بل انها تختلف وتمتد لتشمل قطاعات كثيرة وقد رأينا نموذجين لطبقة المتشردين كيف تحورت شخصياتها وفقا لظهور الهدف الجديد ولدينا الآن شخصية اخرى ظهرت في مجموعة اقاصيصه كل عام وانتم بخير[1] شخصية انسان اناني لا يعيش الا لنفسه فقط يفكر فيها ويسعى من اجلها ، هذا الى ميل نحو التقتير والجمع وحرص على عدم الانفاق الا فيما تدعو الحاجة اليه ويصبح انفاقه من الضروريات التي لا مندوحة عنها ، وصاحبنا هذا يحس بالتذمر والضجر في ليلة العيد التي ينبغي ان يكون فيها الجميع مسرورين على اختلاف نصيبهم في الحياة ، ولكنه لا يستطيع لانه يعيش في قوقعته ولنفسه فقط لا يشارك الآخرين حياتهم ولا يحاول ان يعيش

---

١ - ص ٥ - ٢٨ .

مع غيره في ليلة كهذه ، بل انه ليتصور نفرا من اقربائه بـان لـو كشـف عـن صدورهم لقالوا له كل عام وانت مع الراحلين بل انه ليكاد يراهم وهـم فـرحون لوفاته ، يقتسمون امواله ومتاعه الذي جمعه بطرق مختلفة ، ربما لم يكن كثـير منهـا يتصف بالنزاهة والشرف ، وهل في اقتناص بيـوع جـبرية وقـع اهلهـا في مآزق وضوائق عمل انساني او شريف ؟ .

وتبدأ المشكلة تحل عندما يبدأ غلام الطباخ في البكاء لانـه يبحـث عـن حلة عيد جديدة ومن اين لوالده ان يهيئها لـه ،؟ وبـطبيعة الحـال لم يسـتجب صاحبنا لبكائه من اول الامر بل انه لقد هدد الطاهي وابنـه بـان عليهما ان يلـزما الصمت ولكنه لم يلبث ان بدأ يفكر في الغـلام وآلامـه ـ وفي نفسـه هـو ـ وكيف كان من المحتمل ان يصبح ابا لغلام كهذا ؟ .

وتبدأ انسانيته تفرض ذاتها شيئا فشيئا لتقضي على الكآبة التي كان يحس بها بالرغم من امواله الوفيرة فاذا به يخرج للـطفل حلـة جـديدة ويحس بـالسعادة تطفر من عيني الغلام ، ويستمر المد الانسـاني في تلك اللحـظة يغمـره فيفـكر في الاتصال بالآخرين ـ ببيت عمه وابنة عمه التي كان يتصور والدها حـانوتيا ينتـظر وفاته ولا ينسى في تلك اللحظة ان يأخذ معه الخاتم الذي اوصـته امـه ان يقـدمه هدية للزواج ، بعد ان اصبح يعيش لمعنى اكبر من الانانية .

والذي يلاحظ في الاقاصيص الثلاث ، ان العوامل الانسانية انبثقت فيها جميعا بسبب عاطفة الابوة ليس غـير ، ويمـكننا ان نلمس اسـباب ذلك في حـب تيمور ذاته للاطفال وولعه بهم ، ثم آلامه المستمرة بسبب وفاة ابنه مما جعل للابناء في نفسه مكانة ممتازة .

الموت ومشاكل الحياة

كثيراً ما يحس تيمور ، كما يبدو لنا من بعض اقاصيصه ، ان الحياة مليئة بالمشاكل التي يصعب حلها ، على الاقل في نظره هـو ، فيستخدم الموت كعـلاج نهائي لكل المشاكل . . . وقد تكون المشكلة كما صورها تتنافى مـع بعض العـادات والتقاليد ، ولا بد من ايجاد مخرج لذلك فيستخدم الموت ، كما قد تـكون المشـكلة وضعا شاذا يريد ان يقضي عليه ، فيحكم بـالموت على مسـبباته ، سـواء كانـت حيوانات ام جمادات وفي الحالة الاولى . . ربما كان يمثل بقايا الرواسب القـديمة في الاقاصيص الاولى ونعني بذلك فكرة الخير والشر او الجزاء والعقاب .

وسنختار كمثل على المشاكل التي لم تحل الا بالموت اقصوصتين ، اولاهما بعنوان صراع في الظلام[1] كتبها تيمور لتصور نوعا من العـلاقة الشـاذة بـين فـتى وزوجة ابيه .

وهي واحدة من اقاصيصه الناجحة التي تتـطور فيهـا الحـوادث تـطورا طبيعيا ونفسيا منسجما تمام الانسجام . . اما بـالايحاء او بـالتصريح ، فـالفتاة هنـا تحاول ان تحل الفتى محل ابيه ، بحركات ايحائية متعددة كأن تطلب اليـه ان يجلس في مكان ابيه (هذه صفته . . تلك سجادته . . انه قدح ابيك) الخ .

وبالرغم مما يقرره علماء الاخلاق او الدين ، فما حدث كما صـوره تيمـور طبيعي للغاية فمن سياق الحديث تحس ان المرأة من هذا النوع الذي (نسمع عنهـا عجائب الاخبار وقد كانت زوجة لشيخ الخفر) .

كما يبدو ان سنها لم يكن يختلف كثيرا عن سن الفـتى ، وعـلاقتها بـه لم تتخذ طابع الاحترام الذي تأخذه عادة العلاقة بين الفتى وزوج امه ، لانـه لم يعش معها في قرية واحدة ، بله في دار واحدة ، كما ان المشاكل الـتي تحـدث عـادة في

---

١ ـ ص ٢٩ وما بعدها من مجموعة كل عام وانتم بخير.

مثل هذه الظروف لم تقع فاصبح قلبه خاليا لان تحل فيه اية عواطف تجاهها . . .
وقد كانت هي لبقة بما اضفته عليه من حنان وتكرار الاشارة الى وجه الشبه بين الفتى وابيه (هامتك ـ قامتك ـ عمامتك . . ثم محاولتها ان تكمل الصورة نهائيا باحضارها المطرف الذي كان تلفح به ابوه . . حتى رائحته (انني لاشم منك رائحته ، رائحته عينها . . رائحة السعوط الذي كان ينشقه) وما يترك هذا النوع من الايحاء الذاتي في نفس الفتى بانه هو ابوه ، وما يتبع ذلك من قيامه مقامه في كل شيء . حتى لحية الوالد لم تتركها ، بل اشارت الى ان عدم وجودها هو الفارق الوحيد بينهما .

ولكن تيمور الاخلاقي لا يرضى عن هذه التصرفات ، وفي بيئة محافظة كبيئة الارياف لايجد بدا من التدخل ليضع حدا لتلك الحادثة يتلاءم مع بشاعة العمل نفسه .

وبذلك يحرق الفتى نفسه الدار وهو بداخلها ومعه زوج ابيه ، ويمنع الناس من ان يطفئوها ويصيح لا تقربوا الباب ، دعوا الدار تأكلها النار وبذلك افسد الاقصوصة من الناحية الفنية .

وان كان قد كسبها من الناحية الاخلاقية .

والاقصوصة الثانية التي انهاها بنفس الطريقة تقريبا هي اقصوصة (فلنبدأ الحياة)[1] .

وهي وان كانت تشبه سابقتها ـ كما قلنا ـ من حيث النهاية ، الا انها تختلف عنها في كثير من الامور فاسلوبها في كثير من جوانبه يحمل تعبيرات متصنعة مثل (ركين الصوت سنحت على وجهه اشراقة ، ويبعث في الاعطاف النشطة) بالاضافة الى انه ينقصها التحليل العميق لتصرفات ابطالها ، كما ينقصها القاء الضوء على نفسياتهم ، فالبطلة فتنة لا نكاد نعرف بالضبط سبب الهوس الذي

---

١ ـ ص ٤ ـ ٣٦ ثمر حنا عجب الطبعة الاولى عام ٥٨ .

اصيبت به حول وفاة خطيبها ، ولا اي مدى كانت علاقتها به حتى انها اصبحت تقضي ايامها كلها تحتضن صندوق الخطابات التي كان يبعثها لها ، وكل ما نعرفه عنه انه خطيب وكفى . اذ ان القصة تقدم لنا النتيجة جاهزة بدون ان نعرف مقدماتها ولهذا فمن الصعب ان نفهم نفسيتها ولا ان نكيف تصرفاتها ، حتى والدها لا نفهم الدوافع الخفية في حياته التي تدفعه الى التبذير والانفاق .

واهم من هذا كله المحامي ، الذي أوكل اليه والد الفتاة امرها بعد وفاته ، نستطيع ان نفهم محاولاته لتسليتها واخراجها من حياتها الحالية وعزلتها القاتلة التي تحاول ان تبقى عليها مربيتها ، كل ذلك يمكن ان يفهم الا موقفه من القصر نفسه لانه كما قال ـ يجب ان يباع لكي تسدد الديون المتراكمة على الفتاة ، ثم في نفس الوقت نجده يحرقه هكذا وبمنتهى البساطة ، لا لشيء الا ليخرج الفتاة من حياتها القديمة ، ثم يلتقط صندوق الرسائل ليلقي به في أتون النار ، اذ ان هذا وحده كاف في رأي المؤلف ليغير حياة الفتاة ، فتتحد نبضات قلبها مع نبضات قلبه ، اما ما يترتب على هذا التصرف الجنوني فليس في القصة اشارة اليه ، من انه من المتوقع ان يكون رد الفعل لهذا العمل لدى الفتاة عكس ما يتصوره المحامي ، بعد ان عرفنا تعلقها بقصرها وبصندوق الذكريات .

صحيح انه ليس من المفروض ان تكتب في الاقاصيص كل التفصيلات التي تحدث لكن من المحتم ان لا يوضع مشهد او موقف يمكن ان يثير في نفس القارىء اي تساؤل حول الهدف من وجوده . . وعلى العموم فهو حل لمشكلة وجد المؤلف نفسه امامها ووجد ان خير حل لها هي هذه الطريقة .

القصة وسيلة للتوجيه

لم يستطع تيمور ان يتخلى نهائيا عن الفكرة التي كانت مسيطرة عليه اثناء كتابته للمجاميع الاولى من اقاصيصه ، ونعني بها فكرة استخدام الاقصوصة كوسيلة للتوجيه المباشر ، وذلك بحشوها بكثير من المواقف الخطابية الوعظية ، ولا نزال نعتبر ذلك دليلا على ضعف المقدرة الفنية ، لانه عندما يعجز عن تقديم افكاره من خلال حوادث الاقصوصة ، او عندما يحسّ انه لم يتمكن ان يشعر القارىء بالهدف الذي كتبت من اجله القصة يلجأ الى هذا النوع من التخاطب المباشر مما يفقد القصة قيمتها كعمل فني صرف لا ينبغي ان يستخدم بطريق مباشر لمثل ذلك بل انه احيانا يشوه جمال بعض الاقاصيص التي يوفق ان يعرض فيها نموذجا نفسيا متكاملا ، مثل ما حدث لاقصوصة مجنون[1] .

فالزوجة فيها نموذج معين ، له طابعه الخاص ، مصابة بازدواج الشخصية ، فهي مولعة بفكرة الزوجية في حد ذاتها ، وتحب ان تخلص لزوجها كاحسن ما يكون الاخلاص والتفاني ، ولكن ذلك لا يمنعها ابدا بل ربما كان من مكملات شخصيتها ان يكون لها عشيق تخلو له في غرفة قريبة من غرفة زوجها ، كما فعلت مع الطبيب الذي كان يعالجه ، وما حدث مرة أخرى عندما تحول العشيق الى زوج ، واصبحت في حاجة الى عشيق آخر ، ليمثل نفس الدور على الزوج الجديد كما ان شخصية الطبيب واحاسيسه ، وعقدة الذنب وخيانة المهنة كلها عرضت في الاقصوصة بطريقة جيدة ، ولكنه مع الاسف ملأها على طريقة التعليم بمقاطع طويلة مملة مثل :

(ما كانت الحقيقة شيئا مجردا قائما بذاته يهبط علينا مهبط الغيث هي من صنع ايدينا وصنع انفسنا ، كل منا تصوغ حقيقته عوامل شتى من بيئة وتجربة

---

١ ـ ص ٥٥ ـ ١٠٢ من مجموعة كل عام وانتم بخير.

واستعداد جسماني وعقلي موهوب او مكسوب ، كل منا يضع مبدأه وفق ما يحتاج له من حظوظ وملابسات وما ركب فيه من مزاج ، هذه هي الحقيقة الخاصة بكل فرد وليست هي الحقيقة له على اختلاف عهوده واحواله)[1] .

ومثل قوله (تشيع في المجتمع الفاظ يتشدق بها الناس ويحوطونها بهالات من الاكبار والتقديس ، وان المجتمع ليتخذ في هذا لبوس طاغية حاكم بامره يشرع الحلال والحرام وفق هواه فليفعل المجتمع ما يشاء وليقرر ما يريد ، وليكن مثله مثل الاقطاب الدينيين في العصور الوسطى هؤلاء الذين ادعو لانفسهم القدرة على الاباحة والحظر والمنح والحرمان ، هؤلاء الذين حسبوا انفسهم قواما على ابواب الجنة يبيعونها لمن يهوون بالشبر والذراع ، هل أفلح اولئك الحاكمون المسيطرون في ان يغيروا مجرى الحياة ويحيلوا طبائع الناس .

ان كان ثمة من حاكم يأمر فيطاع وينهي فيردع فما ذلك الا القدر ، ذلك هو المسيطر الغلاب تعنو له الجباه وتخرّ له الجبابرة . .) الخ الخ .

واذا كان لهذه الاقصوصة أية قيمة بحد ذاتها بغض النظر عن الجمل التقريرية فيها ـ فان هناك اقاصيص تحس بتفاهة حوادثها ، تفاهة واضحة ، وتحس بالسبب الذي يدفع المؤلف ليكتب صفحات يبرر بها تلك الحوادث غير المنطقية التي وقعت لابطاله .

ولا بد لنا لتوضيح ذلك من استعراض حوادث اقصوصة واحدة على الاقل بقدر ما يمكننا من الانحياز لنصل من ذلك الى النتيجة التي نقصدها .

فاقصوصة « في غفوة الاقدار »[2] تمثل حياة فتاة عادية لا يعلم احد من امرها شيئا لانها لا تعدو ان تكون خادمة في منزل من المنازل الكثيرة التي تعمر بها القاهرة ، ولكنها في ليلة من الليالي ، وخلال غارة من الغارات التي كانت تتعرض

---

١ ـ ص ٥٧ .

٢ ـ ص ١٤٩ ـ ١٦٨ من نفس المجموعة .

لها القاهرة ، يلعب القدر دوره فتصبح الفتاة شيئا ذا قيمة في الحياة ، بعد ان يهدم المنزل نهائيا ولا يبق منه غير المكان الذي وجدت فيه ، ويتجمع الصحفيون ليلتقطوا لها الصور اثناء قيامها بالقاء نفسها الى الارض ، وتختطفها يد سيدة ترغب في استغلالها ويعرض ثري عليها الزواج ، وآخر وثالث ثم ينصرف الناس الى حياتهم بعد غارة أخرى وتلتفت انظارهم نحو غيرها ، فتعود سيرتها الاولى تبحث عمن كانت تعمل لديهم بعد ان تخلت عنها حاضنتها .

وتسأل نفسك بعد ان تقرأها : كيف يمكن لفتاة ان تصبح شيئا مهما في الحياة لا لسبب إلا أنها بقيت بين خرائب منزل دمرته القنابل ؟ واذا اهتم بها صحفي او اكثر بدافع السبق في تقديم بعض الغرائب ، فما الذي يدفع اكثر من انسان للتقدم لخطبتها والالحاح على طلب يدها ؟ لقد احس الكاتب نفسه بانه اضفى على الفتاة قيمة لا مبرر لها ، اذ لم تقم باي عمل يمكن ان يكون سببا في كل ذلك ، ولهذا فقد كتب حوالي ثلاث صفحات من الكلام التقريري عن الاقدار وتصريفها للامور وكيف ان العبقرية وليدة الغفوات التي تغفوها الاقدار الى غير ذلك من الكلام الممل ، الذي يبرر به كيف تحول منزل الفتاة الى قاعة للمزايدات .

وثالثة هذه الاقاصيص في المجموعة التي نتحدث عنها اقصوصة « هذه الحصاة »[1] التي كتبها تيمور بروح المعلم الذي يريد ان يحذر الناس من مصير شبيه بمصير الفتى الذي ترك المدرسة وهو لا يخفي هذه الروح ، بل انه ليقول صراحة على لسان الفتى نفسه :

(وقصارى ما ابتغيه منها ان تنتفع بتلك التجربة التي مرت بي فاكون قد اسديت اليك جميلا) .

وتبحث عن التجربة اين هي ؟ فلا تجدها ثم تبحث عن الجميل الذي

---

١ ـ ص ١٩١ ـ ٢٠٣ .

اسداه اليك فلا تجده ايضا ، لأن القصة نفسها لا تحمل سوى حادثة تافهة كتبت عدة مرات ومجتها الاذواق وهدف الكاتب منها - بدون ان نحاول عرضها - يتلخص في فقرة كهذه :

(في حياتك احداث قد تعدها تافهة لا بال لها ولكنك لا تلبث ان تجد لها من النتائج ما عساه يغير فهمك في هذه الحياة) .

(ربما صدرت عنك نأمه على غير قصد او بدرت منك كلمة فاذا انت قد الفيت نفسك تشق طريقا غير طريقك المرسوم واذا البون شاسع جدا بين ماضيك المطوي وحاضرك المرموق . . .) .

وعلى كل فان هذه المجموعة تكاد تكون المجموعة الوحيدة من اقاصيص الفترة الثانية التي حفلت بهذا النوع من العرض الصريح لافكار المؤلف وافكار ابطاله ، لا يكاد يشبهها في هذه الظاهرة سوى اقصوصة «حامل الاثقال»[1] التي وردت فيها الكلمات التالية : (لا تحسبن يا صديقي انك وحدك الذي لا يستغني عن حمله كل امرىء منا فيه شيء من ذلك ، ان من احمال الحياة واثقالها ما هو الا جزء من المرء لا يحول عنه ولا يزول ، وانه لخير وسيلة لتوفير التوازن والتوافق عنده فنحن نحيا باثقالنا وان كانت ترهقنا لانها سبب من اسباب ما نطمح اليه من سعادة واطمئنان) .

وعلى كل فان ما قاله تيمور اذا كان يعبر عن حقيقة من حقائق الحياة فان الحادثة التي رواها والتي ساقت الى مثل هذا الكلام حادثة غير منطقية ابدا فلا يعقل ان يحمل حمال «الاحجار على كتفه لا لشيء الا لان مهنته حمال ، ولانه لم يجد ما يفعله» .

ومع هذا فهو يسمي هذه الفكرة لدى الحمال وما اثارته في نفسه ، فكرة انسانية ويقول للبطل : (لقد اثرت في نفسي فكرة انسانية خالدة انت واحد من

---

١ - ص ٣٨ - ٤٨ من مجموعة تمر حنا عجب .

ابطالها الافذاذ ، فكرة تحياها بشخصك وتعبر عنها بمنهج حياتك) واضاف الى ذلك ان اضفى اليه صفات من العبقرية فقد وصفه (بان عينيه تشعان وميضا ينبيء عن بصيرة نيرة وفطنة ضافية لكأنه فيلسوف اوتي حكمة الدهر واستبطن اسرار الوجود مع ان الموضوع كله لا يستحق هذه الحفاوة من المؤلف ولعلها فكرة خطرت في ذهنه عن آلام الانسان واضطراره لتحملها فاراد ان يصوغها قصة تجري حوادثها على يد بطل تصوره يمثلها ، ولكنه لم ينجح في ذلك .

مشاكل الساعة

هناك كثير من المشاكل الاجتماعية لا تزال تشغل ذهن تيمور تتعلق بمختلف نواحي الحياة ، وهو يحاول ان يجد لها حلولا كامتداد للتيار القديم الذي كان يسخر القصة لهذا الهدف ، وقد عاق هذا الهدف اقاصيصه الهادفة من أن تبلغ مرحلة من النضوج الفني ، وحسبنا كدليل على ذلك ان نختار له اقصوصتين الاولى كتبها بعنوان « نجاح »[1] وفيها يتعرض للصحافة الحديثة وما وصلت اليه ويقارنها بصحافة الماضي مما دفعه الى تقديم صورة كاريكاتورية لها ، معرضا باسلوبها ، وبالمواضيع التي تتناولها .

وقد اختار لبطلها صحفيا في اول حياته الصحفية اسم (منصور رافع الدين) ليرمز بذلك الى الجيل القديم من الصحفيين ، كما اختار لها عدة مواضيع ، كـ « الرجال قوامون على النساء » ، « المرء باصغريه قلبه ولسانه » ، « همزة الوصل خير من همزة القطع » ، وبطبيعة الحال لم تلاق هذه المواضيع أية استجابة من الصحيفة التي يعمل فيها رافع الدين .

فاضطر الى ان يعمل لدى جزار ، بعد ان عجز عن الحصول على قوت

١ ـ ص ٤٤ وما بعدها من مجموعة نبوت الخفير .

يوم وبعد ان اخذت زوجه تبيع اجزاء من مكتبته كلما اعوزتها الحاجة الى شيء من النقود .

وخلال ذلك يعرض تيمور بعض المواضيع التي تلاقي رواجا في المجتمع الحديث كالمواضيع الآتية : كيف تذبح حماتك بدون الم ؟ اب يراقص ابنته رقصة الروك اندرول ، شفاه من البلاستيك تحت الطلب . . . وينتهي الامر برافع الدين الى ان يصبح الصحفي (شخلع) بعد ان يكتب مقالا بعنوان (جزار في المذبح يسلخ زوجته في حفلة وجودية راقصة) . . وتنهال عليه الدراهم ، وبذلك يصبح محررا ثابتا في الصحيفة .

وطبيعي ان قصة كهذه لا يمكن ان تسمى اقصوصة فنية لانها لا تحوي من مقومات الفن القصصي شيئا بالرغم من انه نشرها في احدى مجموعاته القصصية الاخيرة ، وقد كان بامكانه ان يصل الى النتيجة التي ارادها لو انه حاول ان يتعمق موضوعه بعض الشيء فيصل الى الاسباب التي جعلت من الصحافة الرخيصة شيئا ذا قيمة في المجتمع ولكنه لم يفعل .

والاقصوصة الثانية بعنوان « زوج وضرتان »[1] . حاول فيها ان يعالج مشكلة تعدد الزوجات ، وان يرسم صورة منفرة لتلك الحياة التي لا يستطيع ان ينعم بها لا الزوج ولا الزوجات ، ولكنه بهذا الدافع رسم صورة مهزوزة تتسم بالغرابة وتلاحق الحوادث بشكل غير طبيعي ، مماجعله يفشل في ان يعرض المشكلة عرضا واقعيا يجعل القارىء يحس بان هناك مشكلة ينبغي ان يتحاشاها فالاقصوصة اولا ليست الا ضغطا لحياة كاملة ، كل جانب من جوانبها يصلح ان يكون اقصوصة ، ولكنه حاول ان يكدس فيها الحوادث جميعها .

وبذلك فقدت الاقصوصة عنصرا عنصرا من عناصرها وهو التركيز ، ورسم قطاع من حياة متميز عن غيره ـ لا حياة كاملة مضغوطة في صفحات ، ولو انه

---

١ ـ ص ١٢١ ـ ١٤٣ .

تخير موقفا واحدا في حياة الزوج مع ضرتيه ، لحظة واحدة فقط وتعمقها ورسمها بطريقة فنية اصيلة لتمكن من الوصول الى الهدف الذي يقصده ، كما ان الحوادث المتلاحقة في الاقصوصة تبدو في شكل الانهيار المفاجىء يصيب الزوج ، ويسلمه للشلل بحيث يفقد سيطرته على المنزل كله ، ويبدأ يتعرض لنوع من المهانة والاذلال والانتقام على يد زوجته الاولى التي صبرت عليه طويلا عندما اتخذ لها ضرة .

كما ان ما حدث ليلة وفاته ، نوع من الحوادث المتلاحقة لم يجد تيمور بدا من ان ينهيه بحادث حريق ايضا ، تحرق الزوجة فيه زوجها كرد على اهانته السابقة لها ، ولا نعرف سر شغفه بالحرائق كحلول نهائية للمشاكل .

ولو اننا درسنا شخصية الزوجة الاولى بعناية لوجدنا ان من المستحيل على انسانة مثلها ان ترتكب عملا فظيعا كهذا ، اللهم إلا أن تكون قد اصيبت بنوبة من نوبات الجنون فجأة ، وذلك ما لم يحدث مطلقا ، كما ان جميع تصرفاتها الماضية ليس فيها ما يدل على انها مصابة بمرض نفسي كالسادية مثلا ، يجعلها تتلذذ بتعذيب الاخرين ، ولهذا فان اي تفسير لتصرفاتها غير وارد اطلاقا ، اللهم الا رغبة المؤلف في ان يقنع الآخرين بسوءات حياة الزوجية في ظل اكثر من زوجة .

افكار مجردة

حاول تيمور من خلال عدد لا بأس به من الاقاصيص عرض بعض الافكار المجردة ، ونعني بذلك . . المشاكل الذهنية التي تشغل الاذهان وقد سلك لذلك سبيلين ؛ اولهما الاستعانة ببعض الاساطير القديمة ، عندما يرى ان المشكلة التي يعالجها تحتاج الى شيء شبيه بالخوارق والمعجزات او عندما يرى ان تسلسل

حوادثها بالشكل الذي يريده لا يصبح منطقيا في العصر الحاضر ، او لا يمكن للاحياء التعبير عنه او بحثه .

وثانيهما ، هو خلق بعض الحوادث الحديثة وبعض الشخصيات لتعبر عن تلك الافكار التي راى توضيحها او ابداء رأي من الآراء فيها ، وهو في كلا الاسلوبين عالج اقاصيصه بالطريقة التي عالج بها بعض المشاكل الاجتماعية التي سبق ان عرضنا لها ، وبمعنى آخر لم ينجح في ان يلبس هذه الافكار لباسا فنيا رفيعا يميزها به عن المقالات الجافة ، او الحواديت الرمزية التي تروي عادة بغرض التدليل على فكرة معينة او هدف مقصود ، ويظهر ان اهتمامه بتلك الافكار كان اكبر من اهتمامه بالاقصوصة نفسها ، ففكرة مثل تناسخ الارواح مثلا ، او الخلود بمعنى آخر كما يريده تيمور[1] وكما سمى به الاقصوصة التي نحن بصددها فكرة كهذه لا يمكن ان يعبر عنها في اقصوصة حديثة وعلى لسان اشخاص معاصرين ، لانها تصبح نوعا من الخرافات والاوهام ، كما انه لا يمكن الاعتماد فيها على علم او تاريخ لانه لم يقم لدى البشرية حتى الآن دليل على امكانية وجود حياة كهذه ، وكل ما يقال حول الموضوع لا يعدو ان يكون نوعا من الاساطير والخرافات ، لهذا فقد لجأ تيمور الى اسطورة فرعونية روى عنها الاقصوصة التي تمثل عملية التناسخ المشار اليها ، وهي لهذا السبب لم تتبلور في حادثة متطورة وكما ينبغي ان يحدث في اية اقصوصة فنية ، وانما تركزت في وثيقة من ورق البردى ، تروى على لسان احد الموتى حكاية وفاته ثم انتقال روحه مرة اخرى لانسان آخر .

وتروى عن حياته الثانية شيئا من التفاصيل والمغامرات ، ثم تنتهي الحياة بوفاة ثانية ، ولعلها تحياها مرة ثالثة فرابعة الى ابد الآبدين ، وذلك هو الخلود كما عبرت عنه الشخصية الفرعونية ، ولا ندري ان كان هذا الحل لمشاكل الخلود من الحلول التي يعتنقها تيمور ، ام ان الامر لا يعدو مجرد فكرة خطرت في ذهنه فكتبها .

---

١ ـ ص ١١٦ ـ ١٤٠ من مجموعة نبوت الخفير .

وهناك اسطورة أخرى فرعونية ايضا[1] عبر بها عن فكرة ان المال والجاه والقوة ليست هي الوسائل التي يحصل بها المرء على ما يريده من الحياة ويلاحظ ان افكارا كهذه سبق ان عولجت في بداية كتابة الاقصوصة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وكانت تستوحى اقاصيص العامة، وحكايات الف ليلة وليلة وغيرها، واقصوصة تيمور هذه لا تختلف عن تلك الاقاصيص في شيء ابدا اللهم الا انه سماها اسطورة، بينما كانت في السابقة تروي على انها قصص اخلاقية وعظية مثلا.

حتى تطور الحوادث وتحول البطل من انسان عادي الى بطل خرافي بفعل شيء من تأثيرات كاهن فرعوني قديم تشبه تطورها في السابق على يد كتاب الاقصوصة الاول، وهي على اي حال حكاية من حكايات العوام الرمزية ولا شيء اكثر من ذلك، يحاول فيها البطل ان يحصل على محبوبته الاميرة، وهو الفقير المعدم، بان يصبح بطلا شجاعا مقداما يحصل لبلاده على نصر حربي رائع، ولكنه حين يقابل فتاته يجدها هائمة في حب فتى مجهول كانت تشاهده في الحقول بنايه يعزف عليه الحان قلبه، وبطبيعة الحال لم يكن ذلك الشاب سوى البطل الحربي الشجاع ايام تعاسته.

وثالثة الاقاصيص التي يستعرضها مما استوحاه من حياة الفراعنة اقصوصة ابنة ايزيس[2] عن قدرة الله وقدرة الانسان، وكيف ان جهود المثال مهما كانت قيمتها، لا تساوي شيئا بالنسبة للتمثال الالهي، المتمثل في ابنة الفنان نفسه حتى ان رفاقه الذين قدموا لمشاهدة التمثال المسمى بابنة ايزيس، اخذوا يتسللون واحداً اثر الآخر بعد ان شاهدوا المثال، وتصوروا انهم قد ظفروا بجوهر التعبد الحقيقي المصنوع بيد الله نفسه، وعلى كل فهي تمثل نوعا من التصوف الذي

---

١ ـ ص ١٢٩ ـ ١٤٨ من مجموعة كل عام وانتم بخير.

٢ ـ ص ١٦٥ ـ ١٧٤.

يمارسه تيمور احيانا .

اما النوع الآخر من الافكار الـذي اجـراه في قصص دارت حـوادثها في العصور المتأخرة فنجد منها عددا لا بأس به ، مـوزعة على عـدة مجمـوعات مـن مجموعاته الأخيرة . منها مثلا اقصوصة الطائر الطليق[1] وهـو يعـالج فيهـا فـكرة استحالة الحرية الشاملة ، بمعنى ان المرء كلما حاول ان يتخلص من قيد يغله فـانه سرعان ما يقع بين براثن قيد آخر ربما لا يختلف عنه كثيرا .

وهكذا يظل الانسان يبحث عن الحرية في كل مكان ولكنه لا يصل اليها لانه مشدود برغباته في الحياة ، وهذه الرغبات في حد ذاتها قيود ثقيلة تشـد اليهـا المرء وتحدّ من حريته .

كما انه حاول في اقصوصة أخرى مـن نفس المجموعة[2] ، ان يعـبر عـن فكرة الترابط البشري بين الناس وكيف انهم يكونون كيانا واحـدا ، ولـكن حـظها من النجاح ليس احسن من سابقتها ويمكن ان يطلق عليها الوصف الذي سبق ان اوردناه في الفصل الاول ، اي انها صورة منتزعة في غفلة عن اصحابها .

تيمور والأوهام

عالج تيمور في كثير من الأقاصيص التي إستعرضنا بعضها خلال دراسـة مجموعاته القصصية الأولى ، أفكاراً كثيرة تعيش في ذهن العامة كالولاية الـكاذبة ، والأوهام التي تتعلق بتأثير الجان وغـيرهم في الإنسـان ، وبـالرغم مـن أن تلك القصص جميعها ليست لها أية قيمة فنية كما لاحظنا حينـذاك ، إلا أنهـا تـدل على إتجاه عقلي تحرري يرفض أن يخضع لما يتعارف عليه الكثيرون ، ويحاول أن يسـاهم

١ ـ ص ١٥٦ ـ ١٦٢ من مجموعة ثمر حنا عجب .
٢ ـ ص ١٢٨ ـ ١٣٨ .

في تخليصهم منه بكتابة تلك الأقاصيص وتقديم صورة منفرة لما كانوا يتصورونه حقائق أو كرامات ، وقد كان في كتاباته تلك ينساق مع الروح الجديدة التي كانت تحاول جاهدة أن تنشر الوعي والعقل محل الجهالة والأوهام . . وكان المفروض أن يستمر في هذا التيار أو على الأقل أن لا يسير في إتجاه آخر قد يفهم منه أنه أخذ يغير رأيه فيما كان يكتبه عن تلك المواضيع .

ولكن الذي حدث أننا أصبحنا نقرأ عدداً من أقاصيصه في هذه المجموعات الأخيرة يحار القارىء أمامها لما يعرفه عن تحرر تيمور الذهني وثقافته المتنوعة ، ولا يستطيع إنسان أن يجزم بأنه أصبح يؤمن بما كان ينتقده بالأمس ، وذلك لأن الأقاصيص الحديثة التي كتبت حول هذا الموضوع لا تحمل أية مواقف سلبية صريحة من تلك القضايا ، وإن كنا لا نستطيع أن نجزم أنه أصبح سلبياً حيالها ، وكل ما يمكن أن يقال في هذا الموضوع ، أن تيمور أحس بتقدم الزمن وبمرور تجارب كثيرة عليه في الحياة ، وبما سمعه عن حوادث أو عوالم لم يستطع تفسيرها ، أصبح حيادياً في الموضوع ينقل ما يسمعه أو يقرأ عنه من حوادث تتعلق بتلك القضايا بدون أن يؤيدها أو يدحضها ، وإن كانت نهاياتها وتطور حوادثها المختلفة تدل على أنه غير راغب جدياً في إنكارها .

ولدينا عدة أقاصيص يمكن أن تدخل ضمن ذلك الأطار فأقصوصة مثل (ولي الله)[1] مع روايته لتاريخ بطلها غير المشرف وتعامله السابق مع رجال الأمن ، بالرغم من هذا فإن الأقصوصة بعد أن تنتهي من قراءتها تترك في نفسك كثيراً من الميل نحو تصديق كراماته ، وتأثيره في شفاء الناس ، وإزالة الآلام عنهم ، ولم يحاول تيمور حتى بمجرد الإشارة الخفية أن يفهمك إن ما تراه العين إنما هو بتأثير الوهم أو الخداع ، بل تركك تتصور كما لو كان الأمر قد وقع بالفعل ، وإن طريد العدالة السابق أصبح ولياً بالفعل .

---

١ ـ ص ٦٩ـ ٨٣ من مجموعة شفاه غليظة .

ومثلها أقصوصة (عندما تحيا مع الأطياف)[1] تظن وأنت تقرأها أن تيمور أصبح خرافياً، فكل هذا الهيام بالصورة والآثار التي تركتها في نفس صاحبها وجميع ما ترتب على ذلك من حوادث ثم فقدانها في الوقت الذي قيل إن صاحبتها ماتت فيه.. كل هذا يحدث بدون أن يتدخل تيمور بواسطة أحد من أبطاله ليثبت أن شيئاً من هذا لا يمكن إلا أن يكون نوعاً من الخرافات، تحيا في ذهن إنسان مريض بمرض عصبي، يجعله يعيش في جو من الأوهام حتى ليعتبرها حقائق.

وقد يقال إنه ليس على الكاتب أن يفرض شخصيته على أبطاله فيجعلهم يتحدثون بما يريد، ويعتنقون من الآراء ما يريده لهم، ولكن الرد على ذلك بأنه لا ضير على الكاتب من أن يختار أي نوع من الشخصيات مهما كانت شاذة أو مريضة ولكن بشرط أن يقدمها على حقيقتها لا على أنها شخصيات كاملة مستوية التفكير.

وهذا ما لم يحدث مع تيمور، الذي ترك القارىء في حيرة من أمر هذه الصورة الغريبة التي تطيع في الوقت المناسب لوفاة صاحبها.

وفي نفس المجموعة أقصوصة أخرى[2] مبنية على نوع من الأوهام يشبه كثيراً أحلام اليقظة لدى المراهقين، سود بها صفحات كثيرة لا داعي لها أبداً.

وعلى كل فإن هذا النوع من الأقاصيص وإن كان ضمن ما أسميناه بالفترة الثانية من حياته القصصية، إلا أنه لم يمتد به إلى نهاية أقاصيصه ومجموعاته التي أصدرها خلال الأعوام الأخيرة، فقد إنتهت تقريباً ولم تعد تظهر نهائياً.

---

١ - ص ١٠٧ وما بعدها من مجموعة خلف اللثام.
٢ - ص ٥ - ٢٤

أقاصيص من كل مكان

للملاحظة التي أبداها المستشرق الروسي عن تيمور ، والتي قال فيها إنه غزير الإنتاج لدرجة لا يستطيع أن يلاحقه بها ، أهمية كبرى تدل على دقة في الملاحظة بالفعل . فتيمور كتب عدداً كبيراً من الأقاصيص وأصدر مجموعات كثيرة منها ، كما أعاد كتابة وإصدار عدة مجموعات ، كما لاحظنا في السابق ، وقد دفعته غزارة الإنتاج إلى عدم القدرة على إختيار الشخصيات التي يرسمها ، فأصبح بعضها شخصيات لا يستطيع القارىء فهم سبب وجودها ، أو الفائدة من وجودها أساساً ، وهذا النوع من الأقاصيص وافر في مجاميعه القصصية مما يدل على أنه يكتب عن كثير من الحكايات والحوادث والملاحظات التي يمر بها أو يشاهدها أو يسمع عنها ، ولا نستطيع بطبيعة الحال أن نحلل جميع تلك الأقاصيص أو نستعرض حوادثها ، فذلك ما لا فائدة منه ، ويكفينا أن نشير إلى بعض تلك الأقاصيص .

وأولها أقصوصة (إحسان لله)[1] التي جمع على بطلها التشوه ، الجسماني والنفسي ، وتآلب جميع ظروف الحياة ، ومحالفة سوء الطالع له ، منذ شهد الضوء في هذه الحياة .

فقد قضت والدته نحبها وهي تلده وذلك في حد ذاته طالع نحس فيه الكفاية ولكنه لم يكتف بذلك ، فقد شب حريق في الدار ثاني يوم ولادته كاد يقضي على كل ما فيها ، وكان العام الذي قضى فيه طفولته الأولى عام جدب عانت الأسرة فيه أسباب العسرة والضيق ، فتشاءم الأب والأهل بل سائر من في القرية من هذا الفتى الغريب .

وكان لا بد أن ينشأ تحت سيطرة امرأة أبيه ، تسيمه سوء العذاب

---

١ - ص ١٠٣- ١١٩ من مجموعة إحسان الله وقصص اخرى ، طبعة أولى .

وتغري أباه بإبغاضه والتقزز منه والتشدد في معاملته له .

ليس هذا فحسب بل لم يكن بـالفتِي الـوسيم المشرق الـطلعة ، الــذلق اللسان الذي يستميل ببشاشته القلوب ، وإنما كان جهـم الـوجه ، بـائن القماءة ، دميم الخلقة منطوياً على نفسه .

ثم جاءت الصدفة لتجعل منه متسولا عندما الـق إليـه شـخص مجهـول مبلغاً من المال في حجره ، وعن طريق الحرفة الجـديدة في حيـاته وهـي التســول يوحي تيمور إلى القارىء بأن المذكور أصبح بطريقة من الطرق ـ وفي رأي البعض ـ رجلاً يطلب الناس منه البركات ، إذ أن إمرأة عجوزاً تتوكأ على عصـا تـدنو منـه تضع في يده على إستحياء وصمت ، قطعة من النقود ، ثم تهمس في أذنـه ملحـة أن يسأل لها الله شفاء ابنتها التي أضنتها العلة

وتحس من الطريقة التي تنهال بها الصدقات سريعاً عليه . . يتلو بعضـها البعض كإنما يحرضه على الأستجداء لا المقاومة ، وتتـطور الأمـور بسرعـة مـذهلة فيشد أبو المعاطي يسراه بلفائف إلى عنقه ويتوكأ على عكاز غليظة . . الخ .

وقليلاً قليلاً يتجلى أبو المعاطي قبالة المسجد وهو يضع على رأسه العمامة الخضراء الضخمة ويرتدي جبة متكاثرة الرقاع المختلفة الألوان وعلى الصدر السبحة ذات الحبات المائة الغلاظ . . . ويلتف حوله الأتباع يحيونه تحية التودد والإكبار . . الخ .

وتنتهي بذلك الأقصوصة كما بدأت بعد أن أحال أبا المعاطي إلى شـحاذ ومشعوذ ونصف ولي ، بعد أن أهمل بطبيعة الحال المهمة التي قدم القـاهرة أسـاساً من أجلها ، وربما خطر على بال القارىء بعد أن يقرأها هذا السؤال : هـل يـريد تيمور أن يقول أن الإستجداء خير من حياة الفلاح في الريف ؟ لقد صور الشحاذة على أنها عمل مريح وسهل ووجد أن فيها حلاً لجميع مشاكل أبي المعاطي الخلقيـة والنفسية .

ومثلها شخصية (شيخ الخفر)[1] يخيل لمن يقرؤها أن تيمور يحارب التقدم والتنظيم ويدعو إلى الإبقاء على البدائية والفطرة، لأن التجربة التي تمثلها تلك الأقصوصة تدل على ذلك بل إنها لتصور عملية التطوير والتنظيم بصورة ساخرة، وفي مجموعة ثالثة نجد أقصوصة (ملاريا الحب)[2] التي بنيت على حكاية تافهة، ملئت بحديث عن الحب وكيف أنه في حياة المرأة عنصر لا يقل خطراً عن الماء والهواء . . . وخروج البطلة بملابس النوم واختفاؤها في سيارة الطبيب، والصدفة التي جمعته بها كل ذلك تقرأه فلا تحس بأكثر من أن تيمور يكتب أحياناً كل ما يخطر له على بال ما دام أن فيه شيئاً من الغرابة أو الطرافة.

ولا شك أنه لو أعاد قراءة كثير من هذه الأقاصيص مرة أخرى لحاول أن يلغي أكثرها أو يعيد كتابتها بالطريقة الفنية السليمة التي تتلاءم مع مستوى الأقاصيص الأخرى التي سنعرضها.

المستوى الفني لأقاصيص المرحلة الثانية

على الرغم مما سبق أن لاحظناه في الصفحات السابقة مما يعتبر إضعافاً للجانب الفني في أقاصيص تيمور، فإن هذه الفترة بما صدرت فيها من مجاميع مختلفة تتميز بعدد كبير من الأقاصيص التي بلغت مرحلة بعيدة من النضج الفني مما أصبحت معه المقارنة بين هذه الأقاصيص وما كانت عليه الأقصوصة قبل ككاتب أقصوصة من كثرة معاناته لها وإستمراره أكثر من أربعين عاماً في الكتابة المستمرة، ونعني به جانب التحليل النفسي وإعطاء تبريرات كافية لتصرفات أبطاله، وسنضطر لإيضاح ذلك إلى دراسة عدة أقاصيص تمثل جوانب مختلفة من

---

١ - ص ٩٣ وما بعدها من مجموعة خلف اللثام.

٢ - ص ٤١ - ٥٨ مجموعة شفاه غليظة.

الحياة وطرائق متعددة للعلاج الفني .

وأول هذه الأقاصيص التي سنستعرضها ، أقصوصة (من منا الوغد)[1] التي تعتبر من أروع ما كتبه في هذه المجموعة ، بل ربما من أروع ما كتبه على الإطلاق فهي خلو من الحوادث المفتعلة ، التي كان يلجأ إليها هو ومن قبله من الكتّاب للوصول بالقصة إلى النهاية التي يريدونها ، كما إنها خلو من الأسلوب الخطابي أو الكلمات المباشرة التي يعبر بها عن أفكار معينة كثيراً ما كانت تقحم إقحاماً . وهي بسيطة للغاية ، وعميقة في بساطتها تلك ، وقد أحسن في اختيار ضمير المتكلم أثناء سرده لحوادثها ، لأنه إستطاع أن يتقمص شخصية البطل تقمصاً ليس فيه تكلف ولا إفتعال .

كما إن حوادثها قد تطورت تطوراً هادئاً طبيعياً إلى الغاية التي ينبغي أن تصل إليها ، كما تطورت مع الحوادث وبشكل رائع نفسيات أبطالها ، وتغيرت حسب الظروف التي أحاطت بهم وخضعوا لتفاعلاتها ، مما أدى إلى تغير تقبلهم للأشياء والحوادث تغيراً متناسقاً للغاية ، كما تحس وأنت تقرؤها جوانب من الضعف الإنساني ونوع من الصراع الخفي في نفس الإنسان بين حبه للحياة والعيش في بحبوحة وبين محافظته على كرامته وشرفه وكيانه ، كما تحس بمحاولات الإنسان ليخدع نفسه عن أشياء بديهية ، ويظل يحاور ويداور ويلتمس المعاذير والأسباب الملفقة التي قد يحس في أعماقه بأنها كاذبة لا لشيء إلا ليحصل على متاع الحياة .

وتحس أكثر من ذلك كيف تهوي قدم الإنسان في رمال ناعمة لا يحس وهو يطؤها أنها ستبتلعه في يوم من الأيام ، كما تحس أكثر وأكثر بمعنى الدخول في تجربة ، وكيف تذوب كثير من قيم الإنسان أمام بعض المغريات .

وتحس أخيراً بأن عمليات التمويه هذه التي إستمرت ردحاً من الزمن لا

---

١ ـ ص ٥٠ ـ ٩٦ من مجموعة تمر حنا عجب .

بد لها أن تقف في يوم من الأيام وعند نقطة معينة لا يمكن الاستمرار بعدها .

وإذا انتقلت إلى شخصية أخرى في القصة هي شخصية الطالب الذي كان زميلاً للفتاة أيام الدراسة لا تملك إلا أن تكرهه ، فإذا كرهته أحسست بقدرة المؤلف على تصويره بطريقة بارعة ، تكرهه بالرغم من نجاحه في الوصول إلى الهدف الذي سعى إليه ، وتمكنه من التسلل إلى منزل الأسرة بصفاقة غريبة ، واستطاعته أن يفرض نفسه على الأسرة كصديق لها ، ثم تطور الأمر إلى تمكنه من التسلل إلى نفس الزوجة ليمتلكها آخر الأمر ، وكأنه يسير في خط يعرف مقدماً نهايته ، وتزداد حيرتك من شخصيته وأنت لا تعرف من أين يأتي بالمال .

وتحس أيضاً بأن الأسرة مسوقة سوقاً إلى هذه النهاية التي وصلت إليها وكأنها قضاء لا يرد ، بالرغم من لحظات يقظة الضمير المفاجئة والمتقطعة والتي انعدمت نهائياً في أواخر فصول المسرحية التي مثلها الطالب .

ولا تلبث أن ترثي للزوجة ـ وإن كنت لا تعفي الزوج من مسئوليته أمام ما وصلت إليه الأمور ـ كل ذلك بتحليل دقيق رائع لعواطف البطل والبطلة وصدق ظاهر فيها مع بساطة متناهية في السرد والرواية .

الشيء الوحيد الذي يمكن أن يؤخذ على المؤلف هو أنه لم يتمكن من اختيار اللحظة المناسبة التي يجعل فيها البطل يقص حكايته وآلامه وتجاربه النفسية طيلة تسلسل أحداث القصة ، فقد اختار اللحظة التي قضى فيها على زوجته ليتذكر الرواية كلها . بهدوء نفس وراحة بال ، وكأنه لم يفعل شيئاً أبداً ، أقل ما يمكن أن يقال عنه أنه إرتكاب عملية قتل ، إذ كان من المتوقع أن يحدث لديه رد فعل بعد قتلها على أي نحو .

ولكن ذلك لا يمكن أن يقلل من قيمة الأقصوصة وأهميتها بحال من الأحوال .

وهناك أقصوصة أخرى سماها (الحكم لله)[1] استطاع من خلال البساطة في عرض أفكار أبطالها ، أن يقدم نموذجاً إنسانياً متميزاً ، ويكفي أن تعرف أنه يحلل فيها نفسية إنسان محكوم عليه بالاعدام ، إنسان كان يعيش حياة آمنة لا يشوبها شيء ، فيها كثير من التقوى والورع ، حتى يقتنع بأن عليه أن يدافع عن شرفه فيرتكب جريمة قتل ، ولو لم تتطور الأمور بالنسبة إليه لأبعد من ذلك لاستقبل نهايته بنفس راضية ، وهو مؤمن أنه أدى واجباً كان ينبغي عليه إداؤه ، ولكن هذا الواشي الذي أنهى إليه حديث الخيانة لا يلبث أن يعترف بأنه غير صادق فيما إدعاه ، وإن ما قاله كان من قبيل الكيد لا غير ، وتشعر بالصراع الذي ينشأ في نفس القاتل بعد أن إختلطت الأمور في نفسه ، وفي كل ذلك تحس باستسلام المؤمن بقضاء الله وبالنهاية التي تنتظره .

وأحياناً تأخذ بعض أقاصيصه الناجحة طابعاً من طوابع السخرية اللطيفة التي يعرض من خلالها أحداث الأقصوصة كما حدث في عوامة[2] عمران أفندي التاجر العزوف عن المشاكل والدخول في المغامرات ، حين يضطر إلى شراء حلقة من المطاط مما يسمونه (العوامة) ، والتي تستعمل في تعلم السباحة ثم يضطر إلى شراء لبوس البحر . . ثم . . ثم . . الخ حتى يلاقي حتفه على شاطىء البحر .

وكما حدث في أقصوصة موعد أيضاً[3] التي يبدو فيها موقف الوالد متناقضاً لدرجة مضحكة .

---

١ ـ ص ١٠٣ ـ ١١٧ من مجموعة كل عام وأنتم بخير .

٢ ـ ص ١٦١ ـ ١٧٤ من مجموعة أبو الشوارب .

٣ ـ ص ١٨٩ ـ ١٩٩ من مجموعة إحسان الله .

الآثار التي تركها تيمور في تطور القصة القصيرة

بعد أن درسنا كثيراً من الأقاصيص التي كتبها تيمور منذ أن بدأ حياته الأدبية حتى الآن أي في مدى يبلغ حوالي أربعين عاماً من حقنا أن نسأل أنفسنا عن الآثار التي تركها في فن الأقصوصة، والاختلافات بينه وبين من سبقوه، ودوره في الحياة القصصية وهل هو حقيقة رائد الأقصوصة المصرية أم لا، والشيء الذي لا شك فيه أن تيمور في كثير من أقاصيصه الأخيرة لا يعتبر امتداداً للأقصوصة قبل خمسين عاماً، لأنه يمثل نواحي جديدة فيها لم تطرق قبله كما أن ثقافته الواسعة مكنته من التخلص شيئاً فشيئاً من كثير من عيوب الأقصوصة التي سبقته.

ولولا بعض الإستثناءات البسيطة لقلنا أن تيمور خلّص الأقصوصة من سيطرة الذوق الشعبي عليها وأصبح يكتب أقاصيصه - إلا ما ندر - على نحو لا يراعي فيه أن يرضي هذا أو ذاك من الناس.

كما أنه خلص كثيراً من قصصه بالتدريج وليس جميعها بطبيعة الحال، من الحوادث المتلاحقة التي كانت تظهر في جميع إنتاج السابقين له تقريباً والتي ظهرت في كثير من أقاصيصه هو نفسه.

كما نستطيع أن نزعم أن فكرة الغرض من كتابة القصة هو التسلية لم يعد الطابع المميز له وإن كانت هناك أقاصيص لا شك أنه كتبها لطرافة حوادثها ولما يمكن أن تقدمه من التسلية.

واختفى على يديه مظهر بدائي كان يتمثل في الاستشهاد بالشعر على طريقة الحواديت، كما أن قصص الحب الرومانسي، وإن وجدت في أول أقاصيصه، إلا أنها أخذت تتلاشى شيئاً فشيئاً وإن لم تنقرض نهائياً، ليحل محلها حب إنساني أعمق.

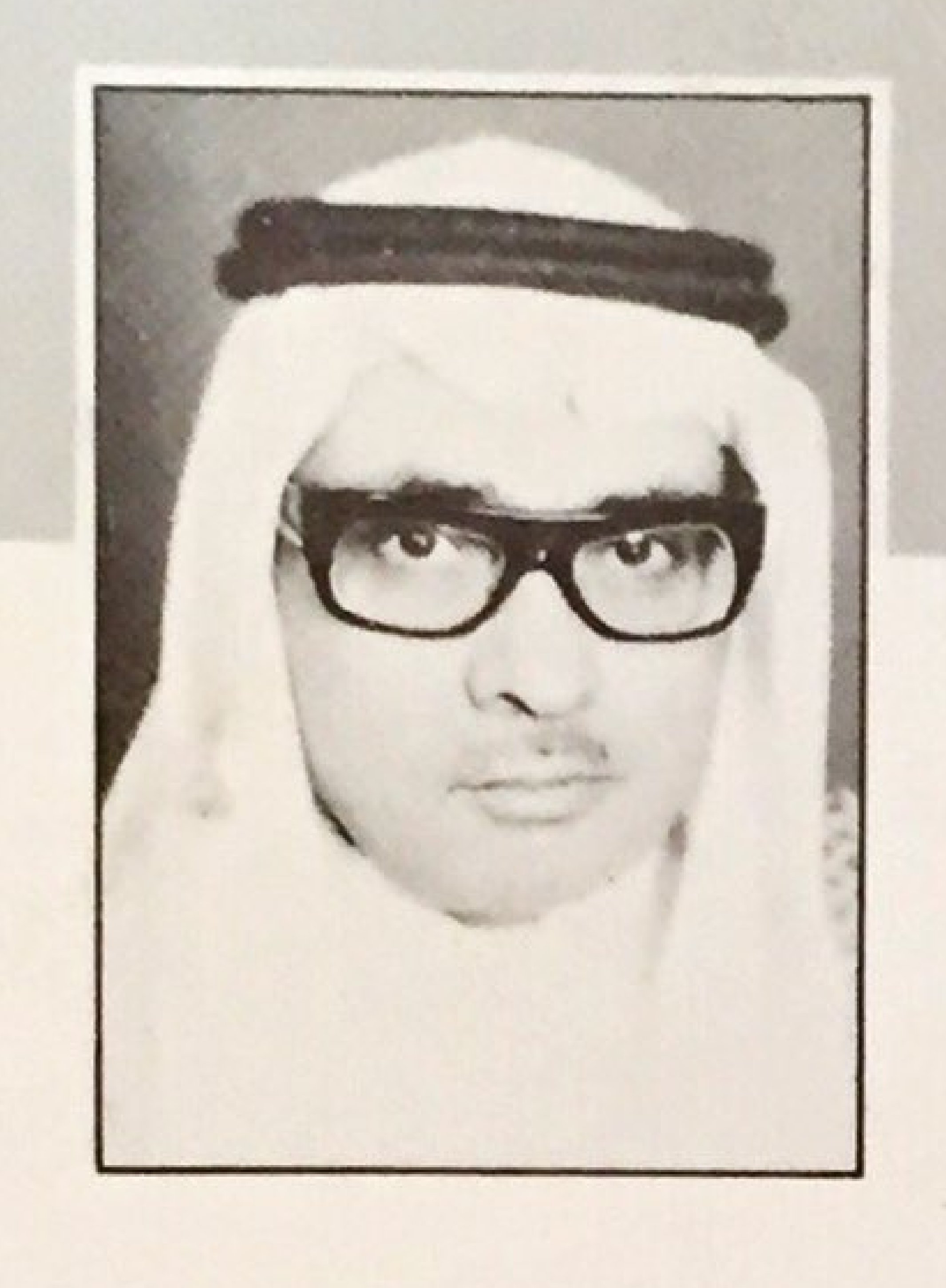
وبالاختصار يمكن أن يقال عن تيمور ، أنه عاصر فترة نشوء القصة فحفلت أقاصيصه الأولى بأغلب نقائص تلك الفترة وإن تكن قد تميزت منذ البداية بلمحات من الفن لم تتوفر فيمن سبقه .. ثم ظلت تلك النقائص تتقلص تدريجياً ، ولكنها لم تختف فحتى آخر مجموعة نجد هناك أقاصيص يمكن أن نظن أنه كتبها قبل أكثر من ثلاثين عاماً[1] . وبذلك يكون قد أخرج الأقصوصة من قوقعة ضيقة كانت تعيش فيها ولكنه لم يوصلها إلى القمة لأن رواسب الماضي لا زالت تلاحقه أحياناً .

---

١ ـ راجع أقصوصة رجع إلى قواعده ، ص ١٨٣ ـ ٢٠٠ من مجموعة نبوت الخفير.

الفهرست

شركة الطباعة العربية السعودية
ذات مسؤولية محدودة
العمارية - الرياض



المؤلف بقلمه

شغلت مديراً لإدارة الإرشاد والثقافة
العامة فمديراً عاماً للمطبوعات ومحرراً لمجلة
الإذاعة.. فوكيلاً لوزارة الإعلام.
احلت الى التقاعد وأنا في أوائل الثلاثينات
من عمري

ولدت بمكة المكرمة كما في حفيظة النفوس
في مدينة الطائف كما في الواقع.
درست في الكتاب ثم في مدرسة أهلية ثم
في العزيزية الابتدائية. فالمعهد العلمي
السعودي فكلية الآداب. بجامعة الملك
فؤاد "يوم دخلتها" جامعة القاهرة الآن

